جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

المغرب والأندلس في كتابات الجغرافيين المسلمين
خلال القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي
(دراسة في التاريخ الحضاري)

إعداد

نهاية فؤاد فريد مسعود

إشراف

الدكتور عامر القبيج

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التاريخ
بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين.

2018م

المغرب والأندلس في كتابات الجغرافيين المسلمين
خلال القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي
(دراسة في التاريخ الحضاري)

إعداد

نهاية فؤاد فريد مسعود

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 2018/02/15م، وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة

التوقيع

1. د. عامر القبيج / مشرفاً ورئيساً
.....
2. د. عثمان الطل / ممتحناً خارجياً
.....
3. د. عدنان ملحم / ممتحناً داخلياً
.....

الإهداء

إلى زهرة الوجود، ينبوع الحنان والصبر والأمل

... أمّي ...

إلى والدي العزيز إجلالاً وإكراماً

إلى من هم أقرب إليّ من روعي

... إخوتي وأخواتي ...

إلى من فارقونا بغتة.. فتركوا في القلب لوحة وفي العيون دموعاً

... أخي محمد وأختي نجوى ...

إلى من وقف إلى جانبي وشاركني أفراحي وهمومي

... زوجي الغالي ...

إلى زهرة عمري

... ابنتي غزل ...

إلى والديّ زوجي العزيزين

الشُّكْرُ وَالتَّقْدِيرُ

أَتَقَدِّمُ بِجَزِيلِ الشُّكْرِ وَالتَّقْدِيرِ وَالاِحْتِرَامِ مِنَ الدُّكْتُورِ عَامِرِ القَبَّاحِ مُشْرِفاً وَمُعَلِّماً،
لِما قَدَّمَهُ مِن نَصِيحَةٍ وَإِشْرَادٍ وَجَهْدٍ طَيِّبَةٍ فِتْرَةَ الدِّرَاسَةِ.

كَمَا وَأَتَقَدِّمُ بِخَالصِ شُكْرِي وَتَقْدِيرِي مِنَ أَعْضَاءِ لَجْنَةِ المُنَاقَشَةِ: الأَسْتاذِ الدُّكْتُورِ
عُثْمَانَ الطَّلِ، وَالدُّكْتُورِ عِدْنَانَ مَلْحَمِ، عَلَيَّ ما بَدَلَهُ مِن جَهْدٍ فِي قِرَاءَةِ هَذَا البَحْثِ
وَتَقْوِيمِهِ.

وَالشُّكْرُ مَوْصُولٌ إِلى أَساتِنِي فِي قِسمِ التَّارِيخِ؛ الَّذِيهِ أَعْضَاءُ وَالي فِضَاءِ العِلْمِ
والمَعْرِفَةِ خِلالَ مَسِيرَتِي الأَكادِيمِيَّةِ.

كَمَا وَأَشْكُرُ جَمِيعَ العَامِلِيَةِ فِي مَكْتَبَةِ جَامِعَةِ التَّجَارَةِ الوِطَنِيَّةِ، وَبِخَاصَّةِ الأَسْتاذِ
فائِزِ سَلُومِ وَالأَسْتاذِ عَبدِ اللهِ نَصْرِ، وَكَذَلِكَ مَوْظِفِي مَكْتَبَةِ بَلَدِيَّةِ طَولُكَمِ، لِما قَدَّمَهُ مِن
مُساعدَةٍ خِلالِ إِعدادِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ.

نِهايةً

الإقرار

أنا الموقعة أدناه، مقدمة الرسالة التي تحمل العنوان:

المغرب والأندلس في كتابات الجغرافيين المسلمين خلال القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي (دراسة في التاريخ الحضاري)

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وأن هذه الرسالة كاملة، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أي درجة علمية أو لقب علمي أو بحث لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:

اسم الطالبة:

Signature:

التوقيع:

Date:

التاريخ:

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
ج	الإهداء
د	الشكر والتقدير
هـ	الإقرار
و	فهرس المحتويات
ح	الملخص
1	المقدمة
3	دراسة في المصادر
4	معجم البلدان، لياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبدالله بن عبدالله (ت.626هـ— 1229م)
14	آثار البلاد وأخبار العباد، للقزويني، أبي يحيى زكريا بن محمد بن محمود (ت.682هـ / 1283م)
20	كتاب الجغرافيا، لابن سعيد، علي بن موسى المغربي (ت.685هـ / 1286م)
27	الفصل الأول: جغرافية بلاد المغرب وأوضاعها الاجتماعية والدينية
28	- جغرافية بلاد المغرب
32	- أصول البربر وقبائلهم
37	- صفات البربر وعاداتهم
42	- المعتقدات الدينية البربرية
46	الفصل الثاني: الثروات الزراعية والحيوانية في بلاد المغرب والأندلس
47	- الثروات الزراعية والحيوانية في بلاد المغرب
62	- الثروات الزراعية والحيوانية في بلاد الأندلس
75	الفصل الثالث: الثروات الطبيعية والأوضاع الصناعية والتجارية في بلاد المغرب والأندلس
76	- الثروات الطبيعية والصناعات في بلاد المغرب
82	- الثروات الطبيعية والصناعات في بلاد الأندلس
89	- الأوضاع التجارية في بلاد المغرب والأندلس
98	الفصل الرابع: الأوضاع العمرانية في بلاد المغرب والأندلس

الصفحة	الموضوع
99	- العمارة المدنية
108	- العمارة الدينية
112	- العمارة العسكرية
120	الخاتمة
122	قائمة المصادر والمراجع
b	Abstract

المغرب والأندلس في كتابات الجغرافيين المسلمين
خلال القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي (دراسة في التاريخ الحضاري)

إعداد

نهاية فؤاد فريد مسعود

إشراف

الدكتور عامر القبيج

الملخص

توخت هذه الدراسة إبراز مظاهر الحياة السياسية والحضارية في بلاد المغرب والأندلس؛ من خلال كتابات جغرافي القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي: معجم البلدان للحموي، أبي عبدالله، ياقوت بن عبدالله (ت 626هـ/ 1229م)، وأثار البلاد وأخبار العباد للقزويني، أبي يحيى، زكريا بن محمود (ت 682هـ/ 1283م)، وكتاب الجغرافيا لابن سعيد المغربي، أبي الحسن، علي بن موسى (ت 685هـ/ 1286م). ولما كانت المصادر المذكورة جغرافية بطبيعتها؛ فقد أولت اهتمامها النواحي الجغرافية بالدرجة الأولى، إلا أن ذلك لم يمنعها من التطرق إلى نواحي شتى؛ فاشتملت على معلومات مهمة حول مختلف النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعمرانية، وبخاصة في بلاد المغرب والأندلس، موضوع البحث. ولو حظ أن هذه المصادر لم تقتصر في موضوعاتها - من الناحية الزمنية - على معلومات القرن الذي عاش فيه مؤلفوها وحسب؛ بل اشتملت على معلومات كانوا قد نقلوها عن آثار من سبقوهم.

وتمثلت بلاد المغرب، وفق ما جاء في مصادر الدراسة، بالمنطقة الجغرافية الواقعة من إقليم برقة شرقاً حتى المحيط الأطلسي غرباً، ومن البحر المتوسط شمالاً حتى الصحراء الكبرى وبلاد السودان جنوباً. وأما بلاد الأندلس؛ فأراضي شبه الجزيرة الإيبيرية التي خضعت للحكم الإسلامي، والتي لم تكن حدودها ثابتة، بسبب الصراع الذي لم يتوقف بين الممالك المسيحية والمسلمين في تلك الديار.

واهتمت مصادر الدراسة بالناحية القبلية والسكانية، وبخاصة في بلاد المغرب، إذ شكّل البربر الغالبية العظمى من سكانها، وعنيت بالحديث عن أسباب تسميتهم بالبربر، وأصولهم، وأقسامهم، وأكثرت من تعداد قبائلهم البترية والبرنسية على حد سواء، وأتت على دياناتهم قبل الإسلام. وتأثرت مصادر الدراسة ببعض الكتابات التاريخية المبكرة؛ فتحاتمت كثيراً على البربر ووسمتهم بالشر والجهل وسوء الخلق، وذلك بسبب غرابة عاداتهم وتقاليدهم، وأما بلاد الأندلس؛ فلم تحظ بنفس الدرجة من اهتمام مصادر الدراسة على الصعيد المذكورة.

على صعيد آخر؛ اشتملت مصادر الدراسة على كثير من مظاهر الحياة الاقتصادية في بلاد المغرب والأندلس بكافة جوانبها، وأولها الزراعية، نظراً لخصوبة أراضيها، والظروف المناخية المستقرة، ومصادر المياه المتنوعة كالأنهار والينابيع والأودية. وبسبب ذلك، ونظراً للعلاقة الطردية بين مختلف عناصر الحياة الاقتصادية؛ فقد نشطت الحركة التجارية والصناعية في بلاد المغرب والأندلس على الصعيدين الداخلي والخارجي. وأفادت مصادر الدراسة أن مسلمي هذين البلدين حققوا العديد من الإنجازات الحضارية في مختلف المجالات، كبناء المدن، التي شيدت فيها المرافق الدنيوية والدينية والعسكرية المختلفة كالأسواق، والموانئ، والحمامات، والقصور، والمساجد، والأسوار، والحصون. وأما مظاهر الحياة العلمية في بلاد المغرب والأندلس؛ فلم تتناولها مصادر الدراسة بإسهاب.

المقدمة

شهدت البلاد الإسلامية خلال القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي حركة تأليف نشطة في مختلف المجالات التاريخية والجغرافية والحضارية، ويشهد على ذلك العدد الكبير من المصنفات التي وصلت إلينا كنتاج للنهضة الثقافية التي سادت جنبات القرن المذكور. وأسهم الجغرافيون المسلمون بنصيب وافر في هذه الكتابات، التي لم تشتمل موضوعاتها على معلومات جغرافية وحسب؛ بل تضمنت معلومات سياسية وحضارية مهمة شملت معظم أنحاء العالم الإسلامي، ومن هذه المؤلفات الجغرافية: معجم البلدان للحموي، أبي عبدالله، ياقوت بن عبدالله (ت 626هـ/ 1229م)، وآثار البلاد وأخبار العباد للقزويني، أبي يحيى، زكريا بن محمود (ت 682هـ/ 1283م)، وكتاب الجغرافيا لابن سعيد المغربي، أبي الحسن، علي بن موسى (ت 685هـ/ 1286م).

ونظراً لاحتواء تلك المصنفات على معلومات قيمة حول أوضاع بلاد المغرب والأندلس السياسية والاجتماعية والاقتصادية والعمرانية؛ فقد أثرت الدراسة الإفادة منها، بهدف الوقوف على ما تضمنته من معلومات حول التاريخ السياسي والحضاري لتلك البلاد، ولمحاولة إبراز إسهامات المغاربة والأندلسيين في صياغة معالم الحضارة الإسلامية، وللوقوف على أهم مظاهر العلاقة التكاملية الوثيقة ما بين الجغرافيا والتاريخ والحضارة، والتأكيد على الوحدة الحضارية التي سادت العالم الإسلامي بجناحيه الشرقي والغربي، ومن هنا تأتي أهمية هذه الدراسة. وبالإضافة إلى ما ذكر؛ تكمن أهمية هذه الدراسة في محاولة منح المعلومات التاريخية والحضارية التي اشتملت عليها المصادر الجغرافية الاهتمام الكافي، وبخاصة أن الباحثين لم يركزوا كثيراً على هذا الجانب، مما أدى إلى قلة الدراسات الحديثة التي تناولت هذا الموضوع من الزاوية المشار إليها.

واستُهلَّت الدراسة بتناول مصادرها الجغرافية الرئيسية، دراسة وتحليلاً، ثم تناولت موضوعاتها على امتداد أربعة فصول، وفي مقدمتها الفصل الأول الذي جاء بعنوان: جغرافية بلاد المغرب وأوضاعها الاجتماعية والدينية، واشتمل على جغرافية بلاد المغرب، وأصول

البربر وقبائلهم، وصفاتهم، وعاداتهم وتقاليدهم، والحياة الدينية لديهم. وأما الفصل الثاني: الثروات الزراعية والحيوانية في بلاد المغرب والأندلس؛ فتناول الغطاء النباتي والثروة الحيوانية والبحرية في كلا البلدين، والتوزيع الجغرافي لهذه الثروات.

وجاء الفصل الثالث بعنوان: الثروات الطبيعية والأوضاع الصناعية والتجارية في بلاد المغرب والأندلس، وتناول بالبحث والدرس ثروات كلا البلدين على اختلاف أنواعها، بالإضافة إلى الصناعات والمهن التي راجت فيهما، ومن ثم طرق هذا الفصل مراكز التجارة الداخلية والخارجية، والصادرات والواردات. أخيراً؛ تناول الفصل الرابع: الأوضاع العمرانية في بلاد المغرب والأندلس؛ فتطرق إلى مظاهر الحضارة العمرانية في كلا البلدين، وفي مقدمتها العمارة المدنية؛ كبناء المدن والقصور والقناطر وسائر المرافق العامة، ثم العمارة الدينية كالمساجد والمقامات، بالإضافة إلى العمارة العسكرية؛ كالقلاع والحصون والأسوار.

واختتمت الدراسة بخاتمة اشتملت على أهم نتائجها.

دراسة في المصادر

معجم البلدان، لياقوت الحموي، شهاب الدين، أبي عبدالله، بن عبدالله
(ت. 626هـ/1229م).

آثار البلاد وأخبار العباد، للقزويني، أبي يحيى، زكريا بن محمد بن محمود
(ت. 682هـ/1283م).

كتاب الجغرافيا، لابن سعيد، علي بن موسى المغربي (ت. 685هـ/1286م).

دراسة في المصادر

معجم البلدان، لياقوت الحموي، شهاب الدين، أبي عبدالله، بن عبدالله (ت.626هـ/1229م):

ياقوت بن عبدالله، الرومي، الحموي، البغدادي⁽¹⁾، ويذكر بعض المؤرخين أن ياقوتاً أراد فيما بعد أن يستبدل اسمه باسم مقارب له في اللفظ، فأطلق على نفسه اسم يعقوب، ولكن اسمه ثبت عليه، واشتهر به⁽²⁾، وكان قد ولد سنة 575هـ/1180م⁽³⁾، في آسيا الصغرى (بلاد الروم)⁽⁴⁾، وكني بأبي عبدالله، ولقب شهاب الدين⁽⁵⁾. وأما عن صفاته الخلقية؛ فقد وصفه ابن المستوفي (ت.637هـ/1239م)، بأنه كهل، أشقر، أحمر اللون، أزرق العينين⁽⁶⁾، واتصف بطيب الخلق، وحسن الصحبة⁽⁷⁾.

وكان ياقوت الحموي قد أسر من مسقط رأسه صغيراً وحمل إلى بغداد، فاشتره تاجر يعرف بعسكر بن أبي نصر إبراهيم الحموي (ت.606هـ/1210م)، وكان أمياً لا يعرف غير التجارة، فجعله بالكتاب ليتعلم القراءة والكتابة، لينتفع منه في ضبط تجارته، ولما كبر ياقوت قرأ

⁽¹⁾ الحموي، معجم البلدان، ج1، ص7؛ ابن المستوفي، تاريخ، ق2، ص527؛ القفطي، إنباه، ج4، ص80؛ المنذري، تكملة، ص250؛ ابن خلكان، وفيات، ج6، ص127؛ الذهبي، تاريخ، ج45، ص244؛ سير، ج45، ص312؛ العبر، ج3، ص198؛ الياقعي، مرآة، ج4، ص59؛ ابن العماد، شذرات، ج5، ص120؛ انظر أيضاً: الزركلي، الأعلام، ج8، ص131؛ كحالة، معجم، ج7، ص179؛ سركييس، معجم، ج2، ق2، ص1941؛ أبو عيانة، دراسات، ص227.

⁽²⁾ الحموي، معجم الأدياء، ج1، ص41؛ ابن خلكان، ج6، ص127؛ ابن العماد، ج5، ص1941.

⁽³⁾ المنذري، ص250؛ ابن خلكان، ج6، ص139.

⁽⁴⁾ الحموي، معجم البلدان، ج1، ص7؛ ابن المستوفي، ق2، ص527؛ القفطي، ج4، ص80؛ المنذري، ص250؛ ابن خلكان، ج6، ص127؛ الذهبي، تاريخ، ج45، ص244؛ سير، ج45، ص312؛ العبر، ج3، ص198؛ الياقعي، ج4، ص59؛ ابن العماد، ج5، ص120؛ انظر: الزركلي، ج8، ص131؛ كحالة، ج7، ص179؛ سركييس، ج2، ق2، ص1941.

⁽⁵⁾ الحموي، معجم البلدان، ج1، ص7؛ معجم الأدياء، ج1، ص18؛ القفطي، ج4، ص80؛ المنذري، ص250؛ ص249؛ ابن خلكان، ج6، ص127؛ الذهبي، تاريخ، ج45، ص244؛ سير، ج45، ص312؛ العبر، ج3، ص198؛ الياقعي، ج4، ص58؛ ابن حجر، لسان، ج6، ص239؛ ابن العماد، ج5، ص120؛ انظر: الزركلي، ج8، ص131؛ كحالة، ج7، ص178؛ سركييس، ج2، ق2، ص1941؛ أبو عيانة، ص227؛ السعدي، ياقوت، ص9؛ مارون، الشعراء، ص26؛ الهيتي، التراث، ص240.

⁽⁶⁾ ابن المستوفي، ق2، ص528.

⁽⁷⁾ ابن حجر، ج6، ص239.

شيئاً من النحو واللغة، وأشغله سيده بالأسفار، فكان يتردد إلى كيش⁽¹⁾، وعُمان ويعود إلى الشام، ثم جرت بينهما جفوة، فاعتقه سيده سنة 596هـ/1200م، وأصبح حراً طليقاً، واحترف بعد ذلك مهنة نسخ الكتب وبيعها في بغداد، وأفاد من ذلك كثيراً حيث اتصل بالكثير من كبار المفكرين والرواة⁽²⁾.

وأصبح الحموي كثير الترحال بهدف التجارة، وبخاصة تجارة الكتب، إلى جانب طلبه العلم والمعرفة، فاتجه إلى الشام والعراق ومصر وخراسان⁽³⁾، وتوجه إلى دمشق في سنة 613هـ/1217م، وقعد في أسواقها وناظر بها، ثم خرج إلى حلب فالموصل وأربل⁽⁴⁾، وخراسان ومرو⁽⁵⁾ وخوارزم⁽⁶⁾. وصادف ذلك خروج التتار سنة 616هـ/1220م، فهرب وقاسى في طريقه المضايقة والتعب إلى أن وصل الموصل وأقام بها مدة، ثم انتقل إلى سنجان⁽⁷⁾، وارتحل منها إلى حلب، فأقام بها إلى أن مات، وكان قد اشتغل في مرو بأخذ

(1) كيش: كانت تعرف عند العرب القدماء باسم جزيرة قيس، عند مضيق هرمز بموازة الساحل الشرقي للخليج العربي. انظر: الإدريسي، نزهة، ج1، ص152، 151؛ الحموي، معجم البلدان، ج4، ص422.

(2) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص7؛ معجم الأدباء، ج1، ص18؛ ابن المستوفي، ج2، ص527؛ القفطي، ج4، ص80؛ ابن خلكان، ج6، ص127؛ الذهبي، تاريخ، ج45، ص244؛ سير، ج45، ص312؛ العير، ج3، ص198؛ ابن حجر، ج6، ص239؛ ابن العماد، ج5، ص120؛ انظر: الزركلي، ج8، ص131؛ كحالة، ج7، ص179؛ سرکيس، ج2، ق2، ص194؛ أبو عيانه، ص227؛ الهيتي، ص240.

(3) خراسان: كلمة فارسية معناها مطلع الشمس، وهي جزء من بلاد فارس، تمتد ما بين العراق غرباً والهند وأفغانستان شرقاً، وتشتمل حالياً على إيران وأفغانستان وبعض مناطق آسيا الوسطى. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج2، ص401، 402؛ الحميري، الروض، ص215.

(4) أربل: مدينة في العراق من أعمال الموصل، أكثر سكانها من الأكراد الذين استعربوا. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج1، ص167؛ القزويني، آثار، ص290.

(5) مرو: كلمة فارسية، تعني الحجارة البيضاء، وهي من أشهر مدن خراسان من بلاد فارس. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج5، ص132، 133؛ الحميري، ص533.

(6) خوارزم: من بلاد خراسان، وهي ناحية، ومن أكبر مدنها جرجانية الواقعة في جنوبها. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج2، ص452، 453؛ الحميري، ص225.

(7) سنجان: مدينة في العراق، بالقرب من الموصل، سميت نسبة إلى بانيتها، وقيل أن سفينة نوح عليه السلام مرت وارتطمت بجبل، فقيل: هذا سن جبل جار علينا، فسميت سنجان، وسنجان تعريب لسنكار. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج3، ص297؛ الحميري، ص326.

معلومات كثيرة لكتابه معجم البلدان الذي اشتهر به، وأتمه بحلب بمساعدة الوزير جمال الدين القفطي (ت. 625هـ/1227م)⁽¹⁾⁽²⁾.

وفيما يتعلق بشيوخه؛ فقد التقى بمشايخ الشام والعراق ومصر وعلمائها وشاهد أدبائها وفضلاءها، وجالس صدورها وكبرائها، وأخذ عنهم الأدب الكثير واستفاد من علومهم⁽³⁾، ومن أهم شيوخه:

— الأديب النحوي العروضي أبو المرجي، سالم بن أحمد بن سالم التميمي، المعروف بالمنتخب البغدادي (ت. 611هـ/1215م)، درس عليه ياقوت اللغة العربية والعروض في بغداد⁽⁴⁾.

— عالم الفقه واللغة والأدب والفرائض والحساب، العكبري، محب الدين، أبو البقاء، عبدالله بن الحسين الحنبلي الضرير البغدادي (ت. 616هـ/1219م)، وقد تأثر ياقوت بأسلوبه في شرح الشعر، وأخذ عنه الكثير من آرائه في اللغة⁽⁵⁾.

— عالم فنون الأدب والنحو واللغة والعروض والقوافي والبيان والشعر، والحديث والحساب، ابن المستوفي، أبو البركات شريف الدين المبارك بن أحمد بن موهوب الأربلي (ت. 637هـ/1239م)، وهو صاحب كتاب تاريخ أربل⁽⁶⁾.

(1) جمال الدين القفطي: أبو الحسن، علي بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الواحد الشيباني، ولد في قفط، لقب بالقاضي الأكبر، درس في القاهرة؛ استوزر حلب، وهو أحد الكتاب المشهورين في النظم والنثر، وكان ملماً بالعلوم اللغوية والدينية، إضافة إلى علم المنطق والنجوم والهندسة والتاريخ، ومن كتبه: الدر الثمين في أخبار المتيمين. انظر: الحموي، معجم الأدباء، ج8، ص175، 177؛ القفطي، ج1، ص8، 11؛ الكتبي، فوات، ج3، ص1117، 1118.

(2) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص8؛ معجم الأدباء، ج1؛ ص20؛ القفطي، ج4، ص82؛ ابن خلكان، ج6، ص127؛ ابن حجر، ج6، ص239؛ ابن العماد، ج5، ص120؛ انظر: كحالة، ج7، ص179؛ سركيس، ج2، ق2، ص1941، 1942.

(3) ابن المستوفي، ص527.

(4) الحموي، معجم الأدباء، ج11، ص178؛ القفطي، ج42، ص67؛ الصفدي، الوافي، ج10، ص(201، 202)؛ انظر: كحالة، ج4، ص201.

(5) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص142؛ ابن خلكان، ج3، ص(100، 101)؛ الذهبي، سير، ج22، ص(91، 92)؛ انظر: مارون، ص34.

(6) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص138؛ ابن خلكان، ج4، ص(147-151)؛ الذهبي، سير، ج23، ص49، 50؛ انظر: مارون، ص34.

— عالم الفقه والحديث الشافعي، عبد الرحيم بن الإمام أبي سعد، عبد الكريم السمعاني (ت. 617هـ/120م)، وكان ياقوت يتردد على مجالسه في مرو⁽¹⁾.

وانتفتت المصادر التاريخية أن الحموي كان يتمتع بمكانة علمية رفيعة، وأنه كان مثالاً للصدق والثقة والذكاء وحسن الفهم⁽²⁾، وكان أديباً⁽³⁾ وشاعراً وصاحب نثر ولغة ونحو⁽⁴⁾، ومؤرخاً وأخبارياً⁽⁵⁾ متحريراً صدوقاً⁽⁶⁾، وهو صاحب التصانيف المشهورة، والعالم بتقويم البلدان⁽⁷⁾، وتوفي في الخان بظاهر مدينة حلب سنة 626هـ/1229م، وكان عمره خمسين سنة⁽⁸⁾.

واشتهر الحموي بالكثير من المؤلفات ذات القيمة العلمية الكبيرة، فعلى الرغم من كثرة ترحاله؛ فقد ألف الكثير من الكتب في المجالات المختلفة، فعد موسوعي في اهتماماته وتأليفه؛ ووصفه الذهبي بقوله: "صاحب التصانيف الأدبية في التاريخ والأنساب والبلدان وغير ذلك"⁽⁹⁾.

ومن مصنفاته النحوية: الرد على ابن جنى (ت. 392هـ/1001م)⁽¹⁰⁾ عند كلامه في الهمزة والألف من كتاب سر الصناعة، وكتابه أوزان الأسماء والأفعال الحاصرة لكلام

(1) الحموي، معجم البلدان، ج5، ص116؛ الذهبي، سير، ج45، ص10؛ انظر: مارون، ص36.

(2) ابن النجار، المستفاد، ص426؛ ابن حجر، ج6، ص238.

(3) المنذري، ج3، ص249؛ الذهبي، تاريخ، ج45، ص245؛ سير، ج45، ص312؛ اليافعي، ج4، ص59.

(4) ابن النجار، ص426؛ الذهبي، تاريخ، ج45، ص245؛ سير، ج45، ص312؛ انظر: الزركلي، ج8، ص131؛ كحالة، ج7، ص179.

(5) الذهبي، تاريخ، ج45، ص245؛ سير، ج45، ص312؛ انظر: الزركلي، ج8، ص131؛ كحالة، ج7، ص179.

(6) ابن النجار، ص427.

(7) الذهبي، تاريخ، ج45، ص245؛ انظر: كحالة، ج7، ص179.

(8) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص9؛ معجم الأديباء، ج1، ص40؛ ابن المستوفي، ق2، ص527؛ القفطي، ج4، ص83؛ ابن خلكان، ج6، ص139؛ الذهبي، سير، ج45، ص313؛ العبر، ج3، ص198؛ اليافعي، ج4، ص60؛ ابن حجر، ج6، ص239؛ ابن العماد، ج5، ص122؛ انظر: الزركلي، ج8، ص131؛ كحالة، ج7، ص178؛ سركييس، ج2، ق2، ص1941.

(9) الذهبي، العبر، ج3، ص198.

(10) ابن جنى: عثمان بن جنى، أبو الفتح، الموصلية، النحوي، اللغوي، صاحب التصانيف البديعة في علم الأدب، ومن تصانيفه سر الصناعة، والكافي والتلقين والخصائص بالنحو وغيرها، توفي في بغداد سنة 392هـ/1001م. انظر: القفطي، ج2، ص(335-337)؛ ابن خلكان، ج3، ص(246، 247)؛ السيوطي، بغية، ص132.

العرب⁽¹⁾، وكتابه مجموع كلام أبي علي الفارسي (ت. 377هـ / 987م)⁽²⁾⁽³⁾، وكتاب الأبنية⁽⁴⁾، الأبنية⁽⁴⁾، وألف في الأدب وتراجم الأدياء كتاب معجم الأدياء، واختار له ياقوت اسم "إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب" في أربعة مجلدات، وعرف أيضاً بطبقات الأدياء، ذكر فيه أخبار النحاة واللغويين والقراء وعلماء الأخبار والأنساب وكل من صنف في الأدب⁽⁵⁾، وله الكثير من الطبقات.

ومن تصانيفه في النسب: المقتضب في كتاب جمهرة النسب، وذكر فيه أنساب العرب⁽⁶⁾، وألف في التاريخ: المبدأ والمال في التاريخ⁽⁷⁾، وكتاب الدول⁽⁸⁾، وكتاب تاريخ علي السنين⁽⁹⁾، ومختصر تاريخ بغداد⁽¹⁰⁾، وصنف في الملل والنحل كتاب أخبار الملل والنحل وقصص أهل النحل في مقالات أهل الإسلام⁽¹¹⁾، وصنف في الشعر: كتاب ضرورات الشعر، وأخبار الشعراء، وأخبار المتنبي⁽¹²⁾، ومعجم الشعراء⁽¹⁾، وكتاب الشعراء المتأخرين

(1) القفطي، ج4، ص85.

(2) أبو علي الفارسي: الحسين بن أحمد بن عبد الغفار بن سليمان النحوي، ولد في فسا من بلاد فارس، رحل إلى بغداد ودرس فيها النحو، وكان عالماً بالعربية، اتهم بالاعتزال، ومن مصنفاته: التذكرة، ومسائل الحلبيات، توفي في بغداد سنة 377هـ/987م. انظر: الحموي، معجم الأدياء، ج4، ص(232-235)؛ القفطي، ج2، ص(308، 309)؛ ابن خلكان، ج2، ص(80، 82).

(3) ابن خلكان، ج6، ص129؛ ابن العماد، ج5، ص122.

(4) الحموي، معجم الأدياء، ج1، ص22؛ ابن خلكان، ج6، ص129؛ ابن المستوفي، ق2، ص528.

(5) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص8؛ معجم الأدياء، ج1، ص21؛ ابن خلكان، ج6، ص128؛ الذهبي، تاريخ، ج45، ص245؛ سير، ج45، ص312؛ سرقيس، ج2، ق2، ص1941.

(6) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص8؛ معجم الأدياء، ج1، ص22؛ ابن المستوفي، ق2، ص527؛ ابن خلكان، ج6، ص129؛ الذهبي، سير، ج45، ص312؛ الدلجي، الفلاحة، ص97؛ ابن العماد، ج5، ص122؛ انظر: كحالة، ج7، ص179.

(7) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص8؛ معجم الأدياء، ج1، ص22؛ ابن المستوفي، ق2، ص527؛ ابن خلكان، ج6، ص128؛ الذهبي، سير، ج45، ص312؛ الدلجي، ص97؛ ابن العماد، ج5، ص122.

(8) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص8؛ معجم الأدياء، ج1، ص22؛ ابن المستوفي، ق2، ص527؛ ابن خلكان، ج6، ص129؛ الذهبي، تاريخ، ج45، ص245؛ سير، ج45، ص312؛ ابن العماد، ج5، ص122.

(9) ابن النجار، ص427.

(10) الحموي، معجم الأدياء، ج1، ص22؛ ابن المستوفي، ق2، ص528؛ ابن خلكان، ج6، ص129.

(11) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص9؛ الدلجي، ص97.

(12) الحموي، معجم الأدياء، ج1، ص22؛ ابن المستوفي، ق2، ص528؛ المنذري، ص249؛ ابن خلكان، ج6، ص129؛ انظر: الزركلي، ج8، ص131.

والقدماء⁽²⁾، وله كتاب منتخب كتاب الأغاني⁽³⁾. وقد أوصى ياقوت بكتبه ومجموعاته قبل وفاته إلى عز الدين أبي الحسن علي بن الأثير (ت. 630هـ/1233م)⁽⁴⁾، صاحب كتاب التاريخ الكبير، وكان مقيماً بحلب⁽⁵⁾، وأوقف كل كتبه ببغداد على مسجد الزيدي بدرج دينار⁽⁶⁾.

وفيما يتعلق بميوله واتجاهاته؛ كان ياقوت متعصباً ضد علي بن أبي طالب (35-40هـ/655-660م) رضي الله عنه، وقد أجمعت المصادر أنه كان شديد الانحراف عن علي، وذلك يعود لكثرة اطلاعه على كتب الخوارج⁽⁷⁾⁽⁸⁾.

وكان قد انتقل إلى دمشق في سنة 613هـ/1217م، وجال في بعض أسواقها، وفيها أجرى مناظرة مع أحد غلاة الشيعة، تكلم خلالها بطريقة لا تتسم بالتعقل وبعد النظر، وحدثت مشادة كلامية بينهما تطرق فيها ياقوت إلى شخصية علي بن أبي طالب، فثار الناس عليه وكادوا يقتلونه، فسلم منهم وخرج من دمشق منهزماً، ووصل إلى حلب⁽⁹⁾. إلا أن ابن حجر خالف تلك

(1) الحموي، معجم الأدباء، ج1، ص22؛ ابن المستوفي، ق2، ص528؛ المنذري، ص249 ابن خلكان، ج6، ص129؛ الذهبي، تاريخ، ج45، ص245؛ الدلجي، ص97؛ انظر: الزركلي، ج8، ص131.

(2) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص8؛ معجم الأدباء، ج1، ص22؛ ابن المستوفي، ق2، ص527؛ الذهبي، تاريخ، ج45، ص245؛ سير، ج45، ص312؛ ابن العماد، ج5، ص122.

(3) الحموي، معجم الأدباء، ج1، ص22؛ ابن المستوفي، ق2، ص528؛ ابن خلكان، ج6، ص129.

(4) ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني، المعروف بابن الأثير الجزري، وكان عالماً بالحديث، والتاريخ، والأنساب، ومن مؤلفاته مختصر كتاب الأنساب، وأخبار الصحابة، توفي في الموصل سنة 630هـ/1233م. انظر: ابن الأثير، اللباب، ج1، ص(5، 6)؛ ابن خلكان، ج3، ص(348، 349)؛ الذهبي، سير، ج45، ص(354، 355).

(5) الحموي، معجم الأدباء، ج1، ص40؛ القفطي، ج4، ص84؛ ابن خلكان، ج6، ص129؛ ابن العماد، ج5، ص122.

(6) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص9؛ معجم الأدباء، ج1، ص40؛ القفطي، ج4، ص84؛ ابن خلكان، ج6، ص129؛ الذهبي، سير، ج45، ص313؛ ابن العماد، ج5، ص122؛ انظر: كحالة، ج7، ص179.

(7) الخوارج: فرقة إسلامية ظهرت بعد صيفين سنة 37هـ/658م، وكان أول ظهورهم في جيش علي بن أبي طالب، عقب رفضهم فكرة التحكيم، حيث سموا بالخوارج لخروجهم عن جيش علي، وتتفرع هذه الفرقة إلى فرق متعددة منها الإباضية، والصفوية، والواصلية وغيرها. انظر: البغدادي، الفرق، ص(54-62)؛ البكائي، حركة، ص11.

(8) القفطي، ج4، ص82؛ ابن خلكان، ج6، ص(127، 128)؛ الذهبي، تاريخ، ج45، ص244؛ ابن العماد، ج5، ص121.

(9) الحموي، معجم الأدباء، ج1، ص19؛ ابن خلكان، ج6، ص29؛ سرقيس، ج2، ص1941.

المصادر؛ حيث نفى عنه تهمة الانحراف، فيقول: "لم أرَ في شيء من تصنيفه التصريح بالنصب⁽¹⁾، بل يحكي فيها فضائل علي على ما يتفق عليه ذكره"⁽²⁾.

ومن ناحية أخرى؛ لم تكن علاقته وطيدة مع السلطة، سوى العلاقة التي جمعه مع الوزير جمال الدين القفطي، فأهداه كتابه معجم البلدان⁽³⁾، وعلى الرغم من ذلك؛ فإن القفطي لم يكن راضياً عن ياقوت ولا عن كتبه، قال القفطي: "وتأملته في منظره ومخبره، فتوسمت فيه أموراً لم يخل حدسي فيها، وعلمت أنه لا يصلح للعشرة"، كما اتهم ياقوت بعسر الفهم وتلفيق الكتب، وقلة العلم بالعربية وأصولها، والامتناع عن التراجع عن الخطأ⁽⁴⁾. وقد أرسل ياقوت رسالة إلى القفطي وهو في الموصل يخبره بأحواله البائسة، وتمنى المثل بين يديه، فتحقق طلبه وتوجه فيما بعد إلى حلب، فرحب الوزير به؛ نظراً لحاله التعس، رغم كرهه له، فظل ياقوت يتردد عليه ويلازمه ويحضر مجالسه، وهكذا وجد ياقوت الراحة في ظله، فأخذ يجتمع بالعلماء والفضلاء، ويقرأ الكتب وينسخ، طلباً للمال والمعاش⁽⁵⁾.

ولعل من أبرز مؤلفاته في الجغرافيا كتاب معجم البلدان، الذي يعد من أهم المصادر التي اعتمدت عليها الدراسة، وهو معجم في المدن والقرى والخراب والعمار والسهل والوعر من كل مكان، ويعد موسوعة جغرافية لا غنى عنها، وكان قد اشتغل بأخذ معلومات كثيرة لكتابه معجمه هذا في مرو⁽⁶⁾، وفرغ من تأليفه في حلب سنة 621هـ / 1224م، وجعله هدية لخزانة وزير حلب جمال الدين القفطي⁽⁷⁾.

(1) النصب: من النواصب، هم الذين يدينون بكراهية علي بن أبي طالب، وسموا بذلك لأنهم ناصبوه العداء. انظر: ابن منظور، لسان، ج1، ص762؛ ابن تيمية، العقيدة، ص164.

(2) ابن حجر، ج6، ص240.

(3) خصباك، في الجغرافيا، ص288؛ أبو ليل، ياقوت، ص18.

(4) القفطي، ج4، ص81.

(5) م. ن؛ المنجد، ص58؛ السعدي، ص15.

(6) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص8؛ معجم الأدباء، ج1؛ ص20؛ القفطي، ج4، ص82؛ ابن خلكان، ج6، ص127؛ ابن حجر، ج6، ص239؛ ابن العماد، ج5، ص120؛ انظر: كحالة، ج7، ص179؛ سركيس، ج2، ق2، ص(1941، 1942).

(7) مؤنس، تاريخ، ص512؛ خصباك، ص289.

وبين الحموي دوافعه لتأليف كتابه من خلال مقدمته، ونفى عن نفسه أية غاية دنيوية يكسبها من تأليفه، فقال: "لم أقصد بتأليفه، وأصمد نفسي لتصنيفه لهواً ولعباً ولا رغبة حدثني إليه ولا رهباً، ولا حنيناً استفزني إلى وطن ولا طرباً حفزني إلى ود وسكن". فكان ياقوت يرى أن عمله هذا جاء للعظة والتفكر فيمن سبق من الأمم الماضية بالاطلاع على أماكن سكنهم والاتعاظ لما جرى لهم، مدلاً على ذلك بالآيات القرآنية، ويرى أن التصدي لتصنيف معجم جغرافي كالذي فعله، هو واجب تجاه المشتغلين بالسير والتراجم والأخبار، والفقهاء والأدباء، وأهل الحكمة والطب وعموم المسلمين⁽¹⁾.

واعتمد الحموي في تأليف معجمه على مصادر متنوعة وموثوقة، وأورد في مقدمته أسماء السابقين في هذا المضمار، ومنهم أفلاطون⁽²⁾ وبطليموس⁽³⁾ وغيرهما، ومن مصادره الإسلامية التي ركزت على ذكر البلاد والممالك: ابن الفقيه (ت.340هـ/952م)، والإصطخري (ت.346هـ/957م)، وابن حوقل (ت.367هـ/978م)، والبكري (ت.487هـ/1099م) وغيرهم؛ كما اعتمد على دواوين العرب والمحدثين، وتواريخ أهل الأدب والرواة، وما شاهده في أسفاره⁽⁴⁾. وذكر أحد الباحثين أن مصادر ياقوت غير محدودة، ومن الصعب تحديدها؛ لكثرة لكثرة إفادته من رحلاته، ونقله عن الكثير من الجغرافيين والرحالة والمؤرخين⁽⁵⁾.

أما عن منهج الحموي في معجمه؛ فقد عرضه مرتباً على حروف الهجاء، يتقدمه خمسة فصول، تناول فيها صورة الأرض، ومعنى الإقليم، واصطلاحات جغرافية من مهمة مثل

(1) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص26؛ انظر: أبو ليل، ص45.

(2) أفلاطون: (427-347ق.م)، هو أرسطوقليس بن أرسطون، فيلسوف يوناني، من أعظم فلاسفة العالم، وواضع الأسس الأولى للفلسفة الغربية، أسس أكاديمية أفلاطون. انظر: بدوي، موسوعة الفلسفة، ج1، ص(154-189)؛ الحفني، موسوعة الفلسفة، ج1، ص(157-160).

(3) بطليموس: (ت.168م)، كلوديس بطولوميس، فلكي وجغرافي يوناني، له نظرية في هيئات الأفلاك، وهي أن الأرض لا تتحرك والأفلاك تدور حولها. انظر: الموسوعة العربية العالمية، ج4، ص(466،467)؛ العابد، بطليموس، الموسوعة العربية، ج5، ص(169،170).

(4) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص9.

(5) أحمد، الرحلة، ص181.

الفرسخ⁽¹⁾ والبريد، وكذلك فصل في بيان حكم الأراضي المفتوحة في الإسلام، كحكم قسمة الفيء والخراج فيما فتح صلحاً وعتوة، ثم بعد ذلك رتب الأسماء الواردة في معجمه على حروف الهجاء، وأكد على كتابة وشكل هذه الأسماء خشية التحريف، ثم يذكر سبب التسمية والاشتقاق اللغوي ما أمكن ذلك، مبيناً كنه هذا الاسم إذا كان موضعاً أو جبلاً أو ماءً أو عيناً أو صنماً أو غير ذلك، وتفاصيل موضعه كدرجة عرضه وطوله، ثم يحدد موقعه، ويتحدث عن أسماء المشهورين المنسوبين إليه، مقدماً أصحاب رواية الحديث عن الرسول والآثار، ثم يذكر الأدباء والشعراء والنوابغ في علوم شتى⁽²⁾.

وامتاز كتابه بالثقافة المتنوعة؛ فقد احتوى على الكثير من المواضيع؛ كالعلوم اللغوية والجغرافية والتاريخية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والعمرانية، وأضفى ياقوت على معجمه لوناً من الملامح السياسية، وتعرض إلى النواحي الاقتصادية في بيان الإقطاعات والمعادن مثل الذهب والفضة وغيرها، وفي الصناعات التي اشتهرت بها البلاد كالمنسوجات والفخار والسمك المملح وأوراق الكتابة، وتطرق إلى الملامح الاجتماعية، وأضاف بعض النواحي الثقافية المتعددة، كتعرضه للمساجد وما تضمنه من صنوف العلم والمعرفة، وحرص ياقوت على ذكر ترجمة لصنف من العلماء النابيين الذين عاصروه، وذلك في آخر حديثه عن الموضوع. وكان يسرد القصص والأساطير والحكايات، متحفظاً في ذلك، فيقول معقّباً: "هذا ما وجدته في كتب السابقين"، و "ولولا أنني وجدته في كتبهم لما كتبه"⁽³⁾.

ولا بد من ذكر مصنف آخر يعد جزءاً من كتابه (معجم البلدان)، ألا وهو كتاب المشترك وضعاً والمختلف صقاً، وهو كتاب كبير ومفيد⁽⁴⁾، وقيل إنه مختصر من كتابه معجم

(1) الفرسخ: كلمة معربة (فارسنك)، وهي وحدة للطول تقوم على المسافة التي يقطعها المسافر، ويتألف الفرسخ من ثلاثة أميال، أي حوالي ستة كيلومترات. انظر: الرازي، مختار، ص237؛ فيروز آبادي، القاموس، ج1، ص275؛ انظر أيضاً: هنتس، المكابيل، ص94؛ فاخوري، موسوعة وحدات، ص144.

(2) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص9؛ انظر أيضاً: أبو عيانة، ص(229، 230).

(3) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص(10، 11).

(4) م، ن، ج1، ص8؛ معجم الأدباء، ج1، ص22؛ ابن المستوفي، ق2، ص527؛ ابن العماد، ج5، ص122.

البلدان⁽¹⁾. وبالنسبة لأهمية معجم البلدان لدراسة أوضاع بلاد المغرب والأندلس الحضارية؛ فيمكن القول أنه قدم وصفاً للحياة الاجتماعية للبربر في بلاد المغرب، ورد أصلهم إلى أفريقيش بن قيس الصيفي حينما غزا أفريقية واختلط بسكانها الأصليين من الأعاجم وسمع رطانتهم، فأطلق عليهم هذه اللفظة، وأورد قبائلهم، إلا أنه لم يدخل في التفاصيل، بل اقتصر في أغلب الأحيان على ذكر أسمائها وذكر البلاد التي نسبت إليها، كقبيلة صنهاجة وكتامة ولواته وزناته ومكناسة، وظهر الحموي متحاملاً على البربر، فوصفهم بصفات القبح والشر والجفاء والطيش والفتنة والضلالة، وذكر في بعض المواضع بعض صفاتهم الأخرى باختصار⁽²⁾.

وتطرق الحموي إلى عادات البربر وتقاليدهم، ولم تخل معلوماته من بعض المدح في مواضع مختلفة، فوصفهم بالكرم والشجاعة التي كان يمارسونها وفق طقوسهم. وتحدث عن طقوسهم وعاداتهم ومعتقداتهم الدينية والطوطمية وعبادتهم الأوثان والكواكب قبل الإسلام، ولم يغفل الإشارة إلى جهود بعض الفاتحين المسلمين كعمرو بن العاص وعقبة بن نافع الفهري (ت. 64هـ/664م)⁽³⁾، وبين بعض المذاهب التي انتشرت في بلاد المغرب كمذهب الإباضية⁽⁴⁾، الذي ساد في المغرب الأوسط على يد عبد الرحمن بن رستم عبد الرحمن بن رستم (160-171هـ/76-787م)⁽⁵⁾، مؤسس الدولة الرستمية، وعاصمتها مدينة تاهرت، أما البلاد الأندلسية فلم تحظ باهتمامه من الناحية الاجتماعية.

(1) المنذري، ص 249؛ الذهبي، سير، ج 45، ص 312؛ سركيس، ج 2، ق 2، ص 1942.

(2) الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص (438-439)، ج 4، ص (261، 489، 490).

(3) عقبة بن نافع بن عبد قيس بن فهر: تولى أمر أفريقية في ولايتين الأولى (50-55هـ/670-675م)، والثانية (62-64هـ/662-664م) وهو من ولاة الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان (41-60هـ/661-680م). انظر: ابن الأثير، الكامل، ج 3، ص (465، 466)؛ ابن عذاري، البيان، ج 1، ص 19؛ الناصري، الاستقصا، ج 1، ص (39، 40).

(4) فرقة الإباضية: فرقة خارجية، أسسها عبدالله بن إياض المقعسي المري التميمي (ت. 86هـ/705م)، وهي فرقة معتدلة، إلا أنهم عرفوا في المغرب بتطرفهم. انظر: ابن قتيبة، المعارف، ص 266؛ البغدادي، ص (82، 83)؛ الزركلي، ج 4، ص 61؛ صادق، جذور، ص 197.

(5) عبد الرحمن بن رستم بن بهرام الفارسي: من فقهاء الإباضية، عرف بالزهد والتواضع، مؤسس مدينة تاهرت، وهو أول ملوك الرستميين. انظر: ابن عذاري، ج 1، ص 196؛ الزركلي، ج 3، ص 306.

واهتم الحموي بالجانب الاقتصادي في كل من بلاد المغرب والأندلس، وفي سياق حديثه عن الحياة الزراعية والحيوانية؛ أشار إلى مصادر المياه الضرورية للزراعة، وأفاد أن بلاد المغرب قد اعتمدت في زراعتها على مياه الأمطار، وأشار إلى أهم الأنهار؛ كنهر تانسيفيت القريب من مراكش، ونهر المفروش في فاس، وأتى على استخدام المزارعين للدوايب المائية وصهاريج تخزين المياه، أما الأندلس فمن أهم أنهارها نهر تاجه في مدينة شنترين، ونهر الوادي الكبير، وتطرق إلى أهم المحاصيل في مختلف المناطق المغربية والأندلسية؛ ومنها الزيتون والنخيل والعنب والزعفران، إلى جانب ذكر الحيوانات البرية والبحرية، وتحدث عن أهم الصناعات المغربية والأندلسية، مثل صناعة النسيج في سجلماسة والمرية، وصناعة البسط في سبتة، وبعض الصناعات الغذائية، كتجفيف الفواكه كالزبيب في سجلماسة، والتين في مالقة، وتطرق إلى الثروة المعدنية والأحجار الكريمة، وذكر أهم المراكز التجارية التي ربطت بلاد المغرب ببلاد السودان.

وتطرق الحموي للأوضاع العمرانية الدينية كالمساجد، مثل مسجد القيروان الذي يعود في بنائه إلى عقبة بن نافع الفهري، والمسجد الجامع في قرطبة، وذكر بعض الكنائس، وتطرق إلى العمارة المدنية كبناء المدن، كمدينة فاس التي كانت تنقسم إلى عدوتي الأندلسيين والقرويين، ومدينة زويلة، والقصور كقصور سفاقس وتونس، والقناطر، والحمامات، والموانئ والمراسي كميناء تونس، والآثار والأوابد كبيت الملوك في طليطلة، علاوة على تطرقه للأبنية العسكرية كالقلاع والحصون في مدينة قرطبة وسبتة وسفاقس، والأسوار الدفاعية في المغرب والأندلس.

آثار البلاد وأخبار العباد، للقزويني، أبي يحيى، زكريا بن محمد بن محمود (ت. 682هـ/ 1283م)

زكريا بن محمد بن محمود الأنصاري القزويني⁽¹⁾، من سلالة أنس بن مالك الأنصاري (ت. 93هـ/ 712م)⁽¹⁾⁽²⁾، ولد سنة 600هـ/ 1203م، في مدينة قزوين شمال

⁽¹⁾ القزويني، عجائب، ص 19؛ ابن سعيد، الجغرافيا، ص 49؛ الصفدي، ج 14، ص 206؛ الذهبي، تاريخ، ج 51، ص 101؛ حاجي خليفة، كشف، مج 5، ص 373؛ انظر: الزركلي، ج 3، ص 46؛ كحالة، ج 2، ص 183؛ سركيس، ص 1508؛ شفق، تاريخ، ص 199؛ زيدان، تاريخ، ج 3، ص 232؛ أحمد، ص 297؛ حميدة، أعلام، ص 405؛ الهيتي، ص 247؛ خصباك،

إيران⁽³⁾، ينحدر من أسرة عربية عراقية أصيلة⁽⁴⁾، ويلاحظ من خلال لغته العربية، أنها لا ترتفع إلى مستوى اللغة التي عرفناها عند معاصريه، نظراً لكثرة الغريب فيها، فربما لم تكن العربية لغة طفولته⁽⁵⁾، وكنى بأبي يحيى⁽⁶⁾، ولقب بالقاضي عماد الدين⁽⁷⁾.

ونزل القزويني دمشق في عام 630هـ/1233م، وتأثر هناك بالصوفي محي الدين ابن عربي (ت. 636هـ/1239م)⁽⁸⁾⁽⁹⁾، ودرس الفقه ثم انتقل إلى العراق، وتولى منصب القضاء في الحلة⁽¹⁰⁾ سنة 650هـ/1252م، وفي واسط⁽¹¹⁾ سنة 652هـ/1254م، أيام الخليفة المستعصم

ص 292؛ منتصر، عجائب، تراث، ج 1، ص 685؛ القزويني، دائرة، ج 27، ص 8309؛ يوسف، الموصل، عدد 15، ص 92؛ حسون، الفكر، عدد 4، مج 1، ص 435.

⁽¹⁾ أنس بن مالك الأنصاري البخاري: يكنى بأبي حمزة، وهو من رواة الحديث، ومن صحابة الرسول عليه السلام، وخادمه في المدينة. انظر: المزي، تهذيب، ج 3، ص 352؛ الذهبي، سير، ج 3، ص (396-403).

⁽²⁾ القزويني، ص 19؛ الصفي، ج 14، ص 206؛ حاجي خليفة، مج 5، ص 373؛ انظر: الزركلي، ج 3، ص 46؛ كحالة، ج 2، ص 183؛ زيدان، ص 232؛ منتصر، ج 1، ص 685؛ حسون، عدد 1، ص 435.

⁽³⁾ القزويني، ص 19؛ ابن سعيد، ص 49؛ انظر: الزركلي، ج 3، ص 46؛ كحالة، ج 2، ص 183؛ سركيس، ص 1508؛ كراتشكوفسكي، تاريخ، ق 1، ص 360؛ زيدان، ص 232؛ أحمد، ص 297؛ منتصر، ج 1، ص 685؛ القزويني، دائرة، ج 27، ص 8309.

⁽⁴⁾ كراتشكوفسكي، ق 1، ص 360؛ حميدة، ص 405؛ الهيتي، ص 247؛ القزويني، دائرة، ج 27، ص 8309.

⁽⁵⁾ الصفي، ج 14، ص 206؛ انظر: كراتشكوفسكي، ق 1، ص 360؛ حميدة، ص 205.

⁽⁶⁾ القزويني، ص 19؛ ابن سعيد، ص 49؛ الصفي، ج 14، ص 206؛ الذهبي، تاريخ، ج 51، ص 101؛ حاجي خليفة، مج 5، ص 373؛ انظر: الزركلي، ج 3، ص 46؛ كحالة، ج 2، ص 183؛ سركيس، ص 1508؛ شفق، ص 199؛ زيدان، ج 3، ص 232؛ أحمد، ص 297؛ حميدة، ص 405؛ الهيتي، ص 247؛ شفق، ص 199؛ منتصر، ج 1، ص 685؛ القزويني، دائرة، ج 27، ص 8309.

⁽⁷⁾ الصفي، ج 14، ص 206؛ الذهبي، تاريخ، ج 51، ص 101؛ حاجي خليفة، مج 5، ص 373؛ انظر: كحالة، ج 2، ص 183؛ سركيس، ص 1508؛ شفق، ص 199.

⁽⁸⁾ ابن العربي: محي الدين محمد بن علي، أبو بكر الطائي الحاتمي المرسي، برع في التصوف وله فيه مصنفات كثيرة، ومن كتبه: فصوص الحكم، وكان ظاهري المذهب في العبادات، باطني النظر في الاعتقاد، توفي سنة 636هـ/1238م. انظر: الصفي، ج 3، ص 56؛ الذهبي، تاريخ، ج 46، ص (354، 353)؛ ميزان، ج 3، ص (659-661).

⁽⁹⁾ القزويني، ص 19؛ ابن سعيد، ص 49؛ كراتشكوفسكي، ق 1، ص 360؛ سركيس، ص 1508؛ زيدان، ص 232؛ حميدة، ص 405؛ منتصر، ج 1، ص 685؛ القزويني، دائرة، ج 27، ص 8309.

⁽¹⁰⁾ الحلة: مدينة في العراق بين الكوفة وبغداد، كانت تسمى بالجامعين، أسست سنة 495هـ/1102م. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج 2، ص 338؛ الحميري، ص 197.

⁽¹¹⁾ واسط: تقع بين البصرة والكوفة، سميت بواسط لتوسطها بين المدينتين، عمرها الحاج بن يوسف التقي (ت. 95هـ/714م) سنة 86هـ/705م. انظر: الإدريسي، ج 1، ص (382، 383)؛ الحموي، معجم البلدان، ج 5، ص (400، 401).

العباسي (639-656هـ/1242-1258م)، وظل في منصبه حتى دخول المغول بغداد سنة 656هـ/1258م⁽¹⁾. وكانت له صداقة وطيدة في الموصل مع ضياء الدين بن الأثير(ت. 637هـ/1239م)⁽²⁾⁽³⁾، ومما يجدر ذكره أن المعلومات عن حياة القزويني الشخصية قليلة ونادرة.

وكان القزويني من أكثر الكتاب شعبية وقرباً من الجماهير، فمعرفة جمهور القراء بالمصنفات الأدبية لم ترتبط بالطبع دائماً بأسماء كبار العلماء، بل كانت غالباً من نصيب تلك المصنفات المحببة إلى نفوسهم والمتجاوبة مع رغباتهم، وإذا كان ياقوت قد بلغ الأوج في نمط المعاجم فإن القزويني يعد من أكبر العلماء وصفاً للكون، ومبسطاً للعلوم من أجل سواد الناس⁽⁴⁾.

وبعد القزويني ناقلاً مثالياً، ويقدم لنا نموذجاً حياً لأدب عصر التدهور، أما أسلوبه فقد تميز بالوضوح، ولديه مقدرة فائقة في تبسيط أكثر الظواهر تعقيداً، بطريقة جذابة واضحة، كما إن أسلوبه يجمع بين البساطة والتنوع، على الرغم من أنه يقدم في كثير من الأحيان صورة متداخلة الألوان من روايات المؤلفين السابقين⁽⁵⁾.

(1) القزويني، ص19؛ ابن سعيد، ص49؛ الذهبي، تاريخ، ج51، ص101؛ حاجي خليفة، مج5 ص373؛ انظر: الزركلي، ج3، ص46؛ كحالة، ج2، ص183؛ كراتشكوفسكي، ق1، ص361؛ سركيس، ص1508؛ زيدان، ص232؛ أحمد، ص297؛ حميدة، ص405؛ الهيتي، ص247؛ منتصر، ج1، ص685؛ القزويني، دائرة، ج27، ص8309؛ يوسف، ج15، ص92؛ حسون، ج4، مج1، ص435.

(2) ضياء الدين، ابن الأثير: نصر الله بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري، أبو الفتح، درس بالموصل، وكان ملمماً بعلوم القرآن والحديث، وعلوم اللغة، من مصنفاته: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ورسائل ابن الأثير، عمل وزيراً في عهد صلاح الدين (567-589هـ/1172-1191م)، توفي في بغداد سنة 637هـ/1239م. انظر: ابن خلكان، ج5، ص(389، 391)؛ ابن العماد، ج5، ص(187، 188)؛ الزركلي، ج8، ص21.

(3) القزويني، ص19؛ انظر: كراتشكوفسكي، ق1، ص361؛ حميدة، ص405؛ القزويني، دائرة، ج27، ص8309.

(4) حميدة، ص406.

(5) كراتشكوفسكي، ق1، ص360؛ الهيتي، ص248.

ومن مؤلفاته المشهورة مصنف في وصف الكون، اسمه "عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات"⁽¹⁾، وقد رفعه إلى حاكم بغداد في عهد المغول⁽²⁾، ويرى العلماء المعاصرون، أن هذا الكتاب أهم أثر أنتجه كاتب عربي في العصور الوسطى، وكثيراً ما قارن العلماء القزويني بهيرودوت⁽³⁾، ولعل هذه المقارنة لا تخلو من بعض الوجاهة، على الرغم من أنه يجب الاعتراف، بأن القزويني لا يفضل هيرودوت، سواء من ناحية الروح النقدية أو المنهج⁽⁴⁾. ومن الواضح من عنوان الكتاب، أنه ينتمي إلى نمط العجائب، وهو عن نظام الكون. والكتاب قسماً، يشملان الكلام على العالمين العلوي والسفلي كل على حدة، وتسبق هذا مقدمة تحوى تصنيفاً عاماً لجميع الموجودات وفق مذهب أرسطو⁽⁵⁾، ويبحث القسم الأول في العالم العلوي، حيث يتناول الكلام عن الأجرام السماوية وسكان ذلك العالم من الملائكة، وفي التوقيطات والتقاويم والأعياد والمناسبات. أما القسم الثاني فمكرس للأرض وظواهرها بأوسع معنى، حيث يتناول عناصر الأرض الأربعة: النار، والهواء، والماء، والتراب ويحتوي على وصف لتقسيم المعمورة إلى سبعة أقاليم، ثم يعرض بشكل سريع ممالك الطبيعة الثلاث: النباتية، والحيوانية، والمعدنية، ثم يتحدث عن الإنسان وخصائصه، ويعقب ذلك الكلام عن المخلوقات الأخرى ابتداءً من الجن والغيلان⁽⁶⁾، ولكن هذا الكتاب ضم الغث والسمين من المعلومات دون نقد وتمحيص⁽⁷⁾، وقد ترجم إلى الفارسية والتركية⁽⁸⁾.

(1) القزويني، ص 19؛ الذهبي، تاريخ، ج 51، ص 101؛ انظر: كراتشكوفسكي، ق 1، ص 361؛ زيدان، ص 233؛ حميدة، ص 604؛ الهيتي، ص 248.

(2) كراتشكوفسكي، ق 1، ص 361؛ حميدة، ص 604.

(3) هيرودوت: (484-425 ق.م)، مؤرخ إغريقي، لقب بأبي التاريخ، ألف تسعة كتب في تاريخ الفرس ومناطق توسعهم، ونزاعهم مع الإغريق. انظر: البستاني، دائرة، ج 5، ص 3222؛ العابد، ج 22، ص (37،38).

(4) كراتشكوفسكي، ق 1، ص 360؛ القزويني، دائرة، ج 27، ص 8309.

(5) أرسطو: أرسطوطاليس، (384-322 ق.م)، يوناني الأصل، وهو أحد تلامذة أفلاطون، لقب بالمعلم الأول لأنه أول من وضع التعاليم المنطقية. انظر: البستاني، دائرة، ج 3، ص (74-80)؛ كامل وآخرون، الموسوعة الفلسطينية، ص (32-34).

(6) كراتشكوفسكي، ق 1، ص 360؛ الهيتي، ص 248.

(7) سركيس، ص 1507؛ حميدة، ص 406.

(8) زيدان، ص 233؛ حميدة، ص 406.

ومن اهم مصادر الدراسة؛ كتاب القزويني: آثار البلاد وأخبار العباد الذي جمع فيه مادة موسوعية تتميز بالطرفه والغرابه، مما له صلة بأسماء البلاد وسكانها، بشكل مبسط، يسهل على القارئ فهمه، وتوخي كذلك إشعار القارئ بمعجزات الخالق _ عز وجل _ وإبداعه بهدف الوعظ والاعتبار⁽¹⁾. وقد اقتبس القزويني جغرافيته من خمسين مؤلفاً على الأقل⁽²⁾، ونقل في هذا الكتاب الكثير مما كتبه سابقوه من الجغرافيين المسلمين، كما اتصل بكثير من الرحالة وقرأ آثارهم، وأفاد من مشاهداتهم، ولا سيّما ما يتعلق بالأندلس وأوروبا. ومن مصادر بعض المؤلفات الجغرافية للجاحظ(ت.255هـ/867م)، والمسعودي (ت.346هـ/957م)، والجهاني (ت.375هـ/986م) وبعض الرحلات، وجمع القزويني مادة واسعة من بعض المصادر الأخرى، مثل مؤلفات أبي حامد الغرناطي(ت.565هـ/1170م)⁽³⁾، ومحمد العبدري (ت.688هـ/1289م)⁽⁴⁾، وإبراهيم الطرطوشي الأندلسي (ت.477هـ/1085م)⁽⁵⁾، وأحمد بن بن عمر العذري (ت.477هـ/1085م)⁽⁶⁾، بعد أن أتيح لبعضهم زيارة بعض المدن الأوروبية⁽⁷⁾.

(1) القزويني، آثار، ص5.

(2) الهيتي، ص248.

(3) أبو حامد الغرناطي: محمد بن عبد الرحيم بن سليمان بن ربيع القيسي الغرناطي، ولد سنة 473هـ/1080م، في غرناطة، وهو رحاله جغرافي، تميز برحلاته إلى بلاد بعيدة ومجهولة، مزج في كتابته بين الجغرافيا والعجائب والغرائب، ومن كتبه تحفة الألباب، توفي في دمشق سنة565هـ/1169م. انظر: الصفدي، ج2، ص312؛ الذهبي، تاريخ، ج39، ص (233، 234)؛ مؤنس، ص(303، 304، 305)

(4) العبدري: أبو عبدالله، محمد بن العبدري البلسني، تميز بصدق روايته وحيوية أسلوبه، له رحلة سميت بالرحلة المغربية، رحل سنة 686هـ/1287م من أفريقية إلى الإسكندرية ثم إلى مكة والقدس، توفي سنة 688هـ/1289م. انظر: مؤنس، ص(518، 519)؛ كراتشكوفسكي، ق1، ص(367، 368)؛ زيدان، ص233؛ حميدة، ص402.

(5) إبراهيم الطرطوشي: إبراهيم بن يعقوب اليهودي، الطرطوشي، رحالة اشتغل بتجارة الرقيق، كثرت رحلاته إلى أوروبا، وصف في رحلاته البلدان بما فيها من حاصلات وتجارة، إضافة إلى ذكر الطرق والمسافات بتفصيل واسع، إضافة إلى المعلومات السياسية والاجتماعية. انظر: مؤنس، ص(76-80).

(6) أحمد بن عمر أنس العذري الدلائي: أبو العباس، من المرية، ولقب بابن دلهاث، كان حافظاً محدثاً متقناً، رحل في طلب العلم، ومن مؤلفاته: أعلام "دلائل" النبوة، ونظام المرجان في المسالك والممالك. انظر: الحميدي، جذوة، ج1، ص213؛ الضبي، بغية، ص167، الحموي، معجم البلدان، ج5، ص140.

(7) كراتشكوفسكي، ق1، ص366؛ حميدة، ص406.

وكان القزويني قد جعل لكتابه آثار البلاد وأخبار العباد ثلاث مقدمات: الأولى عن الحاجة إلى بناء المدن والقرى، والثانية عن خواص البلاد، وتنقسم إلى تأثير البلاد في السكان والنبات والحيوان، والثالثة عن أقاليم الأرض وأخبار الأمم الماضية وتراجم الأولياء والعلماء والسلطين والأدباء وغيرهم. ووصف الأرض بناءً على الترتيب المعروف، أي بتقسيمها إلى سبعة أقاليم، وفي داخل كل إقليم يرد وصف مختلف للبلاد، والمدن، والجبال، والجزر، والبحيرات، والأنهار، وفقاً لحروف المعجم، ويورد بعض التفاصيل التاريخية، وسير مشاهير الرجال في الأماكن المختلفة⁽¹⁾، ويهتم بأحوال البلاد والسكان، مضيفاً كل ما عثر عليه من طرفة ونادرة وعجيبية خارقة، وهو مزود بمجموعة من الصور والرسوم⁽²⁾، وتقترب جغرافية القزويني في هذا الكتاب من حيث طرازها من معجم ياقوت الجغرافي، بل إنه يستعير منه الكثير، إلا أن مادته الجغرافية لا يمكن مقارنتها مع مادة ياقوت، أو بمادة الجغرافيين الأوائل، وجاء توزيعه المادة في هذا الكتاب على صورة سبعة معاجم مستقلة بحسب الأقاليم السبعة، ليجعله سهل التناول، ولم تحظ جغرافية القزويني بوجه عام بشهرة وانتشار واسع، لكنها عرفت في عدد من الترجمات الفارسية والتركية⁽³⁾.

وقد اعتمدت الدراسة على آثار البلاد وأخبار العباد، وبخاصة لما تطرق فيه إلى الحياة الاجتماعية البربرية من خلال الإشارة إلى القبائل، وبدا متحاملاً على أهل بعض المدن المغاربية أيضاً عندما وصف أهلها بالحمق والقبح والطيش، ولكنه لم يتجاهل بعض العادات الحميدة كعادة إكرام الضيف.

وحظي الجانب الاقتصادي بنصيب وافر من المعلومات التي أفادت الدراسة، إذ تطرق إلى الثروة الزراعية، وركز على بيان مصادر مياه الشرب والزراعة، كالأمطار والأنهار والأودية والصحاريح، وأشار إلى أصناف النباتات والأشجار كالزيتون والتين والتفاح واللوز، بالإضافة إلى الحيوانات التي كانت منتشرة في بعض مناطق المغرب والأندلس، وتحدث عن أهم

(1) كراتشكوفسكي، ق1، ص364.

(2) الهيتي، ص248.

(3) كراتشكوفسكي، ق1، ص365؛ حميدة، ص405.

أهم مصادر الثروة الاقتصادية كتوفر المعادن كالذهب والفضة والنحاس وغيرها، في قرطبة والمرية ومالقة، ومراكش وسفاس وفاس، علاوة على بعض الصناعات الغذائية والنسيجية، كتجفيف التين، وتمليح الأسماك، وصناعة البسط والمنسوجات وغيرها، وتحدث عن أهم المراكز التجارية كمدينة المرية في الأندلس، ومدينة تونس في بلاد المغرب. وأولى الحركة العمرانية اهتمامه، فتطرق إلى بناء المدن كقرطاجنة والقيروان، والمساجد كمسجد القيروان ومسجد قرطبة، وأشار إلى الكنائس ككنيسة شنت مرية، وإلى القصور في سفاس وطراقه، والفنادق والحمامات، والقلاع والأسوار والحصون.

كتاب الجغرافيا، لابن سعيد، علي بن موسى المغربي (ت.685هـ/1286م)

علي بن موسى بن سعيد المغربي⁽¹⁾، وقيل علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد العمري الغرناطي⁽²⁾، نسبة للصحابي عمار بن ياسر (ت. 37هـ/657م)⁽³⁾، وكان ابن سعيد قد ولد سنة 610هـ/1213م⁽⁴⁾، في قلعة يحصب، أو قلعة بني سعيد شمال غرب مدينة غرناطة⁽⁵⁾⁽⁶⁾، وكني بأبي الحسن⁽⁷⁾، ولقب نور الدين⁽⁸⁾، وتلقى علومه في مدينة إشبيلية⁽⁹⁾.

وكان ابن سعيد قد خرج من الأندلس مع والده إلى المشرق عام 636هـ/1239م، نية الحج إلى بيت الله الحرام، ومر بتونس، ثم رحل إلى الإسكندرية سنة 639هـ/1242م⁽¹⁰⁾،

⁽¹⁾ ابن سعيد، الجغرافيا، ص5؛ رايات، ص12؛ المغرب، ج1، ص3؛ المقتطف، ص(14، 15)؛ السيوطي، بغية، ج2، ص209؛ انظر: مؤنس، ص461.

⁽²⁾ ابن سعيد، الجغرافيا، ص5؛ رايات، ص12؛ المغرب، ج1، ص3؛ المراكشي، ذيل، ج5، ق1، ص411؛ الصفي، ج14، ص648؛ الكتبي، ج3، ص103؛ ابن فرحون، ص208؛ السيوطي، بغية، ج2، ص209؛ المقري، نفع، ج2، ص(262، 270)؛ انظر: أحمد، ص189؛ خصباك، ص291.

⁽³⁾ ابن سعيد، المقتطف، ص(14، 15)؛ المراكشي، ج5، ق1، ص412؛ الصفي، ج14، ص648؛ الكتبي، ج3، ص103؛ السيوطي، بغية، ج2، ص209؛ المقري، ج2، ص270؛ مؤنس، ص466.

⁽⁴⁾ ابن سعيد، الجغرافيا، ص5؛ رايات، ص12؛ المغرب، ج1، ص3؛ المقتطف، ص(14، 15)؛ السيوطي، بغية، ج2، ص209؛ خصباك، ص291

⁽⁵⁾ غرناطة: مدينة تقع على بعد أربعة فراسخ من البيرة، وبينها وبين قرطبة ثلاثة وثلاثون فرسخ. انظر: الإدريسي، ج2، ص536؛ الحموي، معجم البلدان، ج4، ص221.

⁽⁶⁾ ابن سعيد، الجغرافيا، ص5؛ رايات، ص12؛ المقتطف، ص9؛ المراكشي، ج5، ق1، ص411؛ السيوطي، بغية، ج2، ص209؛ المقري، ج2، ص270؛ مؤنس، ص465؛ خصباك، ص291

⁽⁷⁾ ابن سعيد، الجغرافيا، ص5؛ رايات، ص12؛ المغرب، ج1، ص3؛ المقتطف، ص(14، 15)؛ السيوطي، بغية، ج2، ص209؛ انظر: مؤنس، ص461؛ خصباك، ص291

⁽⁸⁾ ابن سعيد، الجغرافيا، ص5؛ رايات، ص12؛ المغرب، ج1، ص3؛ المراكشي، ج5، ق1، ص411؛ الصفي، ج14، ص648؛ الكتبي، ج3، ص103؛ ابن فرحون، ص208؛ السيوطي، بغية، ج2، ص209؛ المقري، نفع، ج2، ص(262-270).

⁽⁹⁾ ابن سعيد، الجغرافيا، ص8؛ المقتطف، ص(14، 15)؛ مؤنس، ص(471، 472)؛ أحمد، ص189؛ خصباك، ص291.

⁽¹⁰⁾ ابن سعيد، الجغرافيا، ص8؛ المقتطف، ص(14، 15)؛ مؤنس، ص(471، 472).

فاستقبله علماءها وأدباؤها بحفاوة، وصار له الكثير من المعارف فيها⁽¹⁾. ثم انتقل إلى دمشق فالموصل إلى أن وصل بغداد، وعاد بعد ذلك إلى تونس وتوفي فيها⁽²⁾.

وتتلمذ ابن سعيد على يد الكثير من العلماء وعلى رأسهم والده موسى، فأسرت أسرته محبةً للعلم والثقافة والشعر، ويذكر ابن سعيد شيوخته في تراجمه ويشير إلى إفادته منهم، ومن أهم هؤلاء:

— الأديب إبراهيم بن محمد بن إبراهيم، أبو إسحاق، الملقب بالأعلم البطليوسي، ومن أبرز مؤلفاته آداب أهل بطليوس⁽³⁾، توفي سنة 637هـ/1240م⁽⁴⁾.

— الأديب الهيثم بن أحمد بن الهيثم بن أبي غالب، وكان على علم بالرواية والشعر⁽⁵⁾.

— الشاعر النحوي موسى بن علي الطرياني، أبو عمران، توفي سنة 639هـ/1241م⁽⁶⁾.

— الشلوبيني، عمر بن محمد بن عمر الأزدي، أبو علي، من كبار علماء النحو واللغة، من كتبه كتاب القوائين، توفي في اشبيلية سنة 645هـ/1247م⁽⁷⁾.

— المؤرخ عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي، الدمشقي، أبو القاسم، شهاب الدين، أبو شامه، سمع عليه مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ومن مصنفاته (الروضتين في أخبار الدولتين)، توفي سنة 665هـ/1267م⁽⁸⁾.

(1) ابن سعيد، الجغرافيا، ص8؛ مؤنس، ص471.

(2) ابن سعيد الجغرافيا، ص(12، 13)؛ المقتطف، ص(14، 15).

(3) بطليوس: مدينة من أعمال ماردة، تقع على نهر يانه غربي قرطبة. انظر: الإدريسي، ج2، ص545؛ الحموي، معجم البلدان، ج1، ص530.

(4) ابن سعيد، المغرب، ج1، ص289؛ الزركلي، ج1، ص62.

(5) ابن سعيد، المغرب، ج1، ص263؛ المقري، ج4، ص(351، 352)؛ انظر: عبيدات، الموحدون، ص278.

(6) ابن سعيد، اختصار، ص202؛ المغرب، ج1، ص214؛ السيوطي، بغية، ج2، ص307.

(7) ابن سعيد، المغرب، ج2، ص103؛ ابن خلكان، ج3، ص451؛ الزركلي، ج5، ص62.

(8) الكتبي، ج2، ص269؛ السيوطي، بغية، ج1، ص297؛ الزركلي، ج3، ص299.

وألف ابن سعيد الكثير من المؤلفات التي مازج فيها بين مواضيع مختلفة، منها الشعر والأدب والتراجم والتاريخ والجغرافيا والرحلات، واتسمت مؤلفاته بأهمية كبيرة نظراً لنوعية معلوماتها وبيئتها، وأهمية توثيقها، وثبوت أخبارها⁽¹⁾، وذكر المقرئ (ت. 1041هـ/1631م) أن ابن سعيد قد كتب أربعمئة مؤلف، ولم يصلنا منها إلا بعض العناوين والقطع⁽²⁾.

ومن أشهر مصنفاته: كتاب المغرب في حلى المغرب" أو "المغرب في محاسن حلى أهل المغرب"⁽³⁾، وضم هذا الكتاب تصنيفاً مرتباً للبلاد، فكلما ذكر بلداً ذكر كوره وما يحيط بها من أنهار ومنتزهات وكل من وفد إليها من ملوك وأدباء وشعراء، فبدأ بذكر طبقة الأمراء، فطبقة الرؤساء، ثم طبقة العلماء، ومن ثم طبقة الشعراء وبعدها طبقة من الأشخاص الذين لم يذكر لهم نظم، فضلاً عن ذكر النوادر لإبعاد الملل عن القارئ، فجمع في هذا الكتاب بين العلم والأدب والجد والهزل، ويمتاز كتابه بسلاسة الأسلوب، ونصاعة البيان، وثراء اللغة، ودقة التعبير، وتحديد الأسماء والتمييز بين الأوصاف والعبارات⁽⁴⁾، واشترك ابن سعيد مع والده في إتمام هذا الكتاب⁽⁵⁾. وكما ألف كتاب رايات المبرزين وغايات المميزين، وقدمه إلى جمال الدين بن يغمور (ت. 663هـ/1264م)⁽⁶⁾، ولابن سعيد كتاب المشرق في حلى أهل المشرق⁽⁷⁾.

(1) ابن سعيد، المقتطف، ص(17، 18).

(2) ابن سعيد، الجغرافيا، ص14.

(3) ابن سعيد، رايات، ص15؛ المغرب، ج1، ص3؛ المقتطف، ص(16، 17)؛ الصفدي، ج14، ص648؛ الكتبي، ج3، ص103؛ السيوطي، بغية، ج2، ص209؛ ابن فرحون، ص209؛ المقرئ، ج2، ص(262، 271).

(4) ابن سعيد، المغرب، ج1، ص3، 4.

(5) ابن سعيد، الجغرافيا، ص8.

(6) ابن يغمور: جمال الدين موسى بن يغمور، أبو الفتح، تولى نيابة السلطنة بالقاهرة، ونيابة دمشق 647هـ/1250م عن الملك توران شاه، نسبت له المدرسة الیغمورية، توفي سنة 663هـ/1264م ودفن في المقطم. انظر: أبو شامة، تراجم، ص234، 235؛ اليونيني، ذيل، ج2، ص(330، 331)؛ ابن كثير، البداية، ج13، ص(189، 188)؛ العيني، عقد، ص(412، 413).

(7) ابن سعيد، رايات، ص16؛ المغرب، ج1، ص3؛ المقتطف، ص(16، 17)؛ الكتبي، ج3، ص103؛ السيوطي، بغية، ج2، ص209؛ ابن فرحون، ص209؛ المقرئ، ج2، ص271.

ومن مصنفاته الشعرية: ديوان شعر، وكتاب المحلى بالأشعار⁽¹⁾، والغرة الطالعة في شعراء المائة السابعة، وقيل في فضلاء المائة السابعة⁽²⁾، وكتاب ملوك الشعر⁽³⁾. وصنف في الشعر والنثر: كتاب المرقصات والمطربات، ويعرف أحياناً باسم المرقص والمطرب، وهو مختارات من الشعر والنثر في المشرق والمغرب⁽⁴⁾، وكتاب المقتطف من أزاهر الطرف⁽⁵⁾، الذي احتوى على الشعر والنثر ونماذج من الموشحات والأزجال، والمَلَح⁽⁶⁾.

وصنف في الأدب أيضاً: ريحانة الأدب⁽⁷⁾، والأدب الغض⁽⁸⁾، وألف في التراجم: كتاب الغصون اليبانة في محاسن شعراء المائة السابعة، وترجم فيه ابن سعيد لستة وعشرين شاعراً⁽⁹⁾؛ فبدأ بتراجم الذين عرف سنوات وفاتهم، ثم تراجم الذين لم يوقف منهم على ذلك، ثم الذين استقر العلم على حياته عند انتهاء هذا التصنيف، وذلك في سنة 657هـ/1259م⁽¹⁰⁾.

وله أيضاً: كتاب القدح المَعلى في التاريخ المَحلى، ووصل إلينا مختصر بعنوان اختصار القدح⁽¹¹⁾، ويحتوي على تراجم لشعراء الأندلس في عصر الطوائف (422-479هـ/1031-1086م)، والمعاصرين من أدباء الأندلس وشعرائها في النصف الأول من القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي. ومن مؤلفاته في التاريخ: كتاب نشوء الطرب في تاريخ جاهلية العرب، خصصه للحديث عن تاريخ العرب في عهد الجاهلية، ومن كتبه: لذة الأحلام في تاريخ

(1) ابن سعيد، الجغرافيا، ص24؛ رايات، ص16؛ المغرب، ج1، ص3.

(2) ابن سعيد، الجغرافيا، ص20؛ رايات، ص16؛ السيوطي، بغية، ج2، ص273.

(3) ابن سعيد، الجغرافيا، ص21؛ رايات، ص16؛ المقري، ج2، ص271.

(4) ابن سعيد، الجغرافيا، ص19؛ رايات، ص16؛ المقتطف، ص(16، 17)؛ الصفي، ج14، ص649؛ الكتبي، ج3، ص103؛ ابن فرحون، ص209؛ السيوطي، بغية، ج2، ص209؛ المقري، ج2، ص271.

(5) ابن سعيد، الجغرافيا، ص21؛ رايات، ص16؛ المغرب، ج1، ص3؛ المقتطف، ص(16، 17)؛ ابن فرحون، ص209؛ المقري، ج2، ص271.

(6) ابن سعيد، المقتطف، ص(307، 310).

(7) ابن سعيد، الجغرافيا، ص24؛ رايات، ص16؛ المغرب، ج1، ص3؛ السيوطي، بغية، ج2، ص209.

(8) ابن سعيد، رايات، ص16؛ السيوطي، بغية، ج2، ص209.

(9) ابن سعيد، الجغرافيا، ص24؛ رايات، ص16؛ المقتطف، ص16.

(10) ابن سعيد، الغصون، ص2، 4.

(11) ابن سعيد، الجغرافيا، ص20؛ رايات، ص16؛ المقتطف، ص(16، 17)؛ ابن فرحون، ص209؛ المقري، ج2،

ص271.

أمم الأعاجم، وهو في تاريخ الأمم العجمية التي اعتنقت الإسلام⁽¹⁾، وكتاب: كنوز المطالب في آل علي بن أبي طالب⁽²⁾، والطالع السعيد في تاريخ بني سعيد⁽³⁾، وكتاب: حياة المحل وجني النحل، وهو عبارة عن كتابين في التاريخ مرتباً على السنين، وكتاب المعرب عن سيرة ملوك أهل المغرب⁽⁴⁾.

وفي الرحلات له: كتاب: النفحة المسكية في الرحلة المكية، يصف فيه رحلته لأداء فريضة الحج⁽⁵⁾، و كتاب عدة المستجز وعقلة المستوفز، ويشتمل على وصف رحلته الثانية من تونس إلى الشرق في سنة 666هـ/ 1268م⁽⁶⁾. وله مؤلفات أخرى منها: الشهب الثابتة في الأنصاف بين المشاركة والمغاربة، والصبيحة الغراء في حلى حضرة الزهراء⁽⁷⁾، وكتاب: نتائج نتائج القرائح في مختار المراثي والمدائح⁽⁸⁾، والغراميات، وحل الرسائل⁽⁹⁾، والملتقط من السلك السلك من حلى العروس الأندلسية⁽¹⁰⁾، وكتاب المرزومة (الرزمة)⁽¹¹⁾.

وألف ابن سعيد كتاب الجغرافيا في الأقاليم السبعة، والذي يسمى أيضاً: بسط الأرض في الطول والعرض⁽¹²⁾، ويعد هذا الكتاب أحد مصادر الدراسة موضوع البحث، وحسب حسين مؤنس فإن هذا الكتاب فيه مشكلة حقيقية ليس بسبب الاختلاف حول اسمه بين مخطوطة وأخرى، أو بسبب المفارقات الجسيمة بين نصوص هذه المخطوطات، بل في نسبة الكتاب إلى علي بن

(1) ابن سعيد، الجغرافيا، ص 20؛ رايات، ص 16.

(2) ابن سعيد، الجغرافيا، ص 21؛ رايات، ص 16؛ الصفدي، ج 14، ص 648.

(3) ابن سعيد، الجغرافيا، ص 20؛ رايات، ص 16؛ المغرب، ج 1، ص 3؛ ابن فرحون، ص 209؛ السيوطي، حسن، ج 1، ص 453؛ المقرئ، ج 2، ص 271.

(4) ابن سعيد، الجغرافيا، ص 24؛ رايات، ص 16.

(5) ابن سعيد، الجغرافيا، ص 21؛ رايات، ص 16؛ المقرئ، ج 2، ص 273.

(6) ابن سعيد، الجغرافيا، ص 24؛ رايات، ص 16.

(7) ابن سعيد، المغرب، ج 1، ص 3.

(8) ابن سعيد، الجغرافيا، ص 24؛ رايات، ص 16.

(9) ابن سعيد، الجغرافيا، ص 24؛ رايات، ص 16؛ الصفدي، ج 14، ص 648.

(10) ابن سعيد، الجغرافيا، ص 24؛ رايات، ص 16.

(11) ابن سعيد، الجغرافيا، ص 19؛ رايات، ص 16؛ ابن فرحون، ص 209؛ المقرئ، ج 2، ص 271.

(12) ابن سعيد، الجغرافيا، ص 25؛ انظر: مؤنس، ص (495-500).

سعيد إطلاقاً، فإن العارف بابن سعيد وأسلوبه الأدبي وطريقته في التفكير يشعر لأول ما يقرأ شيئاً من بسط الأرض، أنه لا يمكن أن يكون لهذا الأديب المتأنق المولع بالزينة اللفظية والسجع الأنيق على أسلوب أهل عصره. فكتابه بسط الأرض، لا يعتمد سوى على إبراز الحقيقة العلمية ولو أدى الأمر إلى ركافة الأسلوب أو عاميته، ورغم هذا الإشكال حول أكان ينسب إلى ابن سعيد أو غيره إلا أن هذا الكتاب يعد من أحسن ما ألف العرب في الجغرافية⁽¹⁾.

وكتاب الجغرافيا يمكن وصفه بأنه جدول بالمدن، والجبال، والأنهار، والبحار، وغيرها من الأعلام الجغرافية، موقعة على أطوالها وعروضها في دقة لم يحاولها أحد من الجغرافيين قبل ابن سعيد، وقد قسم المعمورة إلى أقاليم، مبيناً ما في كل إقليم من مواقع جغرافية وما فيها من التضاريس وما يسكنها من البشر، مشيراً إلى عاداتهم وصفاتهم، فضلاً عن إبراز مظاهرها الطبيعية من النباتات والحيوانات وثروتها المعدنية والصناعية.

واختلف المؤرخون حول تاريخ وفاة ابن سعيد ومكانها؛ فقد ذهب بعضهم أنه مات في دمشق، سنة 673هـ/1275م⁽²⁾، وقال آخرون أنه توفي في تونس سنة 685هـ/1286م، ومما يرجح الرأي الثاني العثور على نسخة من كتاب الغصون الياضعة في محاسن شعراء المائة السابعة، مأخوذ عن الأصل بخط يد المؤلف وفي نهايتها أنها كتبت سنة 683هـ/1284م⁽³⁾.

ومن ناحية أخرى فإن هذا الكتاب لم يقدم صورة تفصيلية عن مظاهر الحياة الحضارية في بلاد المغرب و الأندلس، فاقترنت المعلومات التي أفادت البحث على أسماء القبائل البربرية التي قطنت بلاد المغرب ومواطن سكنها، كقبيلة مديونة في تلمسان، وزناتة في ونشريس، وفي الوقت نفسه أغفل التطرق إلى صفات سكان البلاد المغربية والأندلسية وعاداتهم ودياناتهم. وأما في ما يتعلق الحياة الاقتصادية؛ فقد بين بعض الموارد المائية كنهج تانسفيت في مراكش، والمحاصيل الزراعية كالزيتون في مسراته والنخيل في طرابلس، وتطرق إلى ذكر الحيوانات

(1) مؤنس، ص(495-500).

(2) ابن سعيد، الجغرافيا، ص14؛ الصفي، ج14، ص649.

(3) ابن سعيد، الجغرافيا، ص14.

البرية، والمعادن وبعض الصناعات، وأتى بشكل ضئيل على الأوضاع العمرانية كبناء المدن، وذكر بعض الأربطة، والمآذن كمنذنة اشبيلية في الأندلس، وأشار إلى بعض المرافق العامة كالمراسي والموانئ، والقصور والمباني والكنائس، علاوة على القلاع والحصون العسكرية.

الفصل الأول
جغرافية بلاد المغرب
وأوضاعها الاجتماعية والدينية

جغرافية بلاد المغرب
أصول البربر وقبائلهم
صفات البربر وعاداتهم
المعتقدات الدينية البربرية

الفصل الأول

جغرافية بلاد المغرب وأوضاعها الاجتماعية والدينية

جغرافية بلاد المغرب

استخدمت المصادر التاريخية والجغرافية العربية مصطلح "بلاد المغرب" للإشارة إلى البلاد الواقعة إلى الغرب من بلاد المشرق⁽¹⁾، وبذلك يكون هذا المصطلح شاملاً كل البلاد الإسلامية الممتدة من حدود مصر الغربية حتى ساحل المحيط الأطلسي⁽²⁾، بما فيها أفريقية⁽³⁾. واختلف الجغرافيون والمؤرخون في تحديد مفهوم بلاد المغرب من الناحية الجغرافية، فجعله بعضهم يشمل بلاد المغرب والأندلس معاً⁽⁴⁾، وأحياناً تخرج الأندلس من المغرب، وهذا ما نجده عند الإصطخري، الذي قسم البلاد إلى قسمين: المغرب الإفريقي بمدنه وأقاليمه، والمغرب الأندلسي⁽⁵⁾، وجعلت بعض المصادر جزيرة صقلية ضمن بلاد المغرب⁽⁶⁾.

وعلى الرغم من تضارب آراء الجغرافيين والمؤرخين الأوائل في تحديد مدلول كلمة المغرب، فإن غالبيتهم اتفقوا على أن بلاد المغرب يحدها من جهة الغرب المحيط الأطلسي⁽⁷⁾، وأما حدها الشرقي فإقليم برقة⁽⁸⁾، ومن الشمال البحر المتوسط، الذي أطلقت عليه المصادر الإسلامية بحر الروم أو البحر الرومي⁽⁹⁾، ومن الجنوب جبال الرمل الفاصلة بين بلاد

(1) الحموي، معجم البلدان، ج5، ص188.

(2) اليعقوبي، البلدان، ص(302، 343)؛ ابن حوقل، صورة، ص64؛ المقدسي، أحسن، ص216؛ انظر: مؤنس، ص20.

(3) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص271.

(4) الإصطخري، المسالك، ص36؛ ابن حوقل، ص65؛ المقدسي، ص183؛ الحموي، معجم البلدان، ج5، ص188؛ المراكشي، المعجب، ص8؛ ابن عذاري، ج1، ص(5، 6)؛ الحميري، ص4.

(5) الإصطخري، ص33.

(6) ابن حوقل، ص113؛ المقدسي، ص20؛ الحموي، معجم البلدان، ج3، ص473؛ القزويني، آثار، ص215.

(7) الإصطخري، ص36؛ ابن حوقل، ص64؛ كاتب مراكشي، الاستبصار، ص244؛ ابن عذاري، ج1، ص6؛ أبو الفداء، تقويم، ص132؛ الناصري، ج1، ص33؛ انظر: مقديش، نزهة، ص43؛ بني خالد، دور، ص26.

(8) البكري، المغرب، ص3؛ المراكشي، المعجب، ص249؛ الناصري، ج1، ص33؛ انظر: بني خالد، ص26.

(9) ابن حوقل، ص64؛ ابن عذاري، ج1، ص6؛ الناصري، ج1، ص33؛ كاتب مراكشي، ص244؛ انظر: بني خالد، ص26.

السودان⁽¹⁾ وبلاد البربر⁽²⁾، ويبين الحموي حد بلاد المغرب: من مدينة مليانة⁽³⁾ آخر حدود أفريقية إلى جبال السوس عند المحيط الأطلسي⁽⁴⁾. وحسب ما اتفق عليها الجغرافيون والمؤرخون، فقد قُسمت هذه البلاد إلى أربعة أقسام وهي:

أولاً: برقة وطرابلس، وهما أول كُور المغرب من جهة الشرق، وبعض المؤرخين يدمج هذه الكورة بأفريقية وبعضهم يفصلها عنها⁽⁵⁾، وفي الغالب فإن هذا القسم يعد من بلاد المغرب.

ثانياً: المغرب الأدنى، أو أفريقية، وسميت بالأدنى لأنها أقرب إلى بلاد العرب ودار الخلافة بالحجاز والشام وبغداد⁽⁶⁾، وأفريقية بأفريقيش بن أبرهة الرائش، وقيل أفريقيش بن صيفي بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان⁽⁷⁾⁽⁸⁾، أو لأنها فرقت بين مصر والمغرب⁽⁹⁾، وحدّها من برقة و طرابلس شرقاً إلى بجاية⁽¹⁰⁾ وهو الرأي اللاصح، وقيل إلى مليانة⁽¹¹⁾، وقيل حدها من برقة شرقاً إلى طنجة⁽¹²⁾ غرباً، ومن البحر المتوسط إلى بلاد السودان⁽¹³⁾.

⁽¹⁾ بلاد السودان: بلاد كثيرة، تمتد من جنوب بلاد البربر إلى اعماق الصحراء الكبرى جنوباً، ومن الحبشة شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً. انظر: القزويني، آثار، ص24؛ أبو الفداء، ص(152-155).

⁽²⁾ أبو الفداء، ص132؛ الناصري، ج1، ص33؛ انظر: بني خالد، ص26.

⁽³⁾ مليانة: مدينة مغربية من أعمال بجاية. انظر: الإدريسي، ج1، ص253؛ القزويني، آثار، ص273.

⁽⁴⁾ الحموي، معجم البلدان، ج5، ص188.

⁽⁵⁾ الناصري، ج1، ص33؛ انظر: مؤنس، ص22؛ سالم، تاريخ، ص40.

⁽⁶⁾ البكري، ص77؛ الحموي، معجم البلدان، ج1، ص271؛ أبو الفداء، ص132؛ الناصري، ج1، ص33؛ انظر: مؤنس، ص22؛ سالم، ص40.

⁽⁷⁾ أفريقيش بن قيس بن صيف بن سبأ الأصغر: من ملوك اليمن التابعة، كان على عهد موسى عليه السلام، وهو غازي أفريقية وبانيها، وبه سميت، وكان ملكه مائة وأربع وستون سنة. انظر: ابن قتيبة، ص272؛ ابن خلدون، مقدمة، ج1، ص295.

⁽⁸⁾ الحموي، معجم البلدان، ج1، ص271؛ الحميري، ص47.

⁽⁹⁾ الحموي، معجم البلدان، ج1، ص228.

⁽¹⁰⁾ بجاية: مدينة على ساحل البحر المتوسط، تقع بين أفريقية والمغرب الأوسط. انظر: الإدريسي، ج1، ص259، 260؛ الحموي، معجم البلدان، ج1، ص339.

⁽¹¹⁾ الحموي، معجم البلدان، ج1، ص228؛ المراكشي، المعجب، ص249؛ الناصري، ج1، ص71؛ انظر: بني خالد، ص27.

⁽¹²⁾ طنجة: بلدة على ساحل البحر المتوسط، مقابل الجزيرة الخضراء. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج4، ص43؛ الحميري، ص395.

⁽¹³⁾ البكري، ص33؛ الزهري، الجغرافيا، ص107؛ كاتب مراكشي، ص(111، 112)؛ الحموي، معجم البلدان، ج1، ص271؛ الحميري، ص47.

ثالثاً: المغرب الأوسط، أو بلاد الزاب الأسفل⁽¹⁾، ويمتد من تاهرت⁽²⁾، حتى وادي ملوية⁽³⁾ وجبال تازا⁽⁴⁾ غرباً، وقاعدته تلمسان⁽⁵⁾ وجزائر بني مزغناي⁽⁶⁾⁽⁷⁾، ويشتمل المغرب الأوسط على معظم البلاد الجزائرية الحالية.

رابعاً: المغرب الأقصى، أو بلاد السوس، وسمي بالأقصى لأنه أبعد أقسام المغرب عن دار الخلافة الإسلامية، ويمثل امتداداً طبيعياً للمغرب الأوسط؛ إذ ليس بينهما حدود طبيعية مانعة، فأجزاؤها تترايط ببعضها عن طريق جبال تازا⁽⁸⁾، ويمتد هذا القسم من وادي ملوية شرقاً حتى المحيط الأطلسي غرباً، ومن البحر المتوسط شمالاً إلى جبال درن⁽⁹⁾ جنوباً⁽¹⁰⁾، ويعرف حالياً بالمملكة المغربية.

وهذا التقسيم مجرد تقسيم سياسي اصطلاحى، أوجبه الضرورة السياسية والإدارية، لأن المغرب العربي الكبير يعد وحدة مستقلة متماسكة، تجلت مظاهرها في شتى النواحي الجغرافية

⁽¹⁾ كاتب مراكشي، ص(154، 176)؛ أبو الفداء، ص132؛ الناصري، ج1، ص33؛ انظر: سالم، ص(40، 41)؛ بني خالد، ص28.

⁽²⁾ تاهرت: اسم لمدينتين متقابلتين في أقصى المغرب الأوسط، أحدهما قديمة، والأخرى حديثة، وتقع بين تلمسان وقلعة بني حماد. انظر: الإدريسي، ج1، ص255؛ الحموي، معجم البلدان، ج2، ص(8،9).

⁽³⁾ وادي ملوية: نهر يقع في آخر المغرب الأقصى من جهة الشرق، ينبع من جبال أطلس ويصب في البحر المتوسط. انظر: ابن خلدون، تاريخ، ج6، ص102؛ الوزان، وصف، ج2، ص25.

⁽⁴⁾ جبال تازا: تقع على بعد مائة كيلو متر إلى الشمال الشرقي من مدينة فاس، وفيها مدينة تازا بين المغربيين الأوسط والأقصى. انظر: البكري، ص138؛ كاتب مراكشي، ص186؛ الفلقشندي، صبح، ج5، ص152.

⁽⁵⁾ تلمسان: تقع على بعد تسع مراحل إلى الشمال الشرقي من مدينة فاس. انظر: البكري، ص76؛ الإدريسي، ج1، ص246.

⁽⁶⁾ جزائر بني مزغناي: مدينة في المغرب الأوسط، تقع بالقرب من بجاية، وتنسب إلى قوم يقال لهم بنو مزغنه. انظر: البكري، ص96؛ الإدريسي، ج1، ص258؛ هي مدينة الجزائر حالياً.

⁽⁷⁾ كاتب مراكشي، ص176؛ أبو الفداء، ص132؛ ابن خلدون، تاريخ، ج6، ص102؛ الناصري، ج1، ص33؛ انظر: مؤنس، ص22؛ السامرائي وآخرون، تاريخ، ص13؛ بني خالد، ص28.

⁽⁸⁾ كاتب مراكشي، ص211.

⁽⁹⁾ جبال درن: تسمية قديمة لجبال أطلس الصحراء بأقسامها المختلفة في المغرب الأقصى. انظر: الإدريسي، ج1، ص229.

⁽¹⁰⁾ البكري، ص88؛ الزهري، ص113؛ الحموي، معجم البلدان، ج1، ص228؛ كاتب مراكشي، ص211؛ ابن عبد الحليم، الأنساب، ص17؛ ابن خلدون، ج6، ص(98، 99)؛ الناصري، ج1، ص33؛ انظر: سالم، ص(40، 41)؛ بني خالد، ص29.

والبشرية والاقتصادية والاجتماعية. ويعود ذلك إلى الطبيعة الجغرافية التي تميزت بها، وتتمثل بامتداد جبال أطلس في قلب البلاد من غربها إلى شرقها في سلسلتين: شمالية وجنوبية؛ السلسلة الأولى هي جبال أطلس الشمالية، وتقسّم إلى مجموعتين: جبال الريف أو جبال أطلس الشمالية الغربية التي تتخذ شكل قوس يحتضن الساحل الشمالي من سبتة⁽¹⁾ إلى مليلة⁽²⁾، وجبال أطلس التل الممتدة من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي، وهي سلسلة تمتاز بارتفاعها وانحدارها الشديد نحو السواحل الشمالية. أما السلسلة الثانية فهي جبال أطلس الجنوبية أو أطلس الصحراوي، وهذه السلسلة تمتد من الغرب إلى الشرق، وتبلغ في المغرب الأقصى أعلى ارتفاع لها، وتسمى أيضاً جبال أطلس الكبرى، ويصعب المرور في تلك الجبال، مما جعلها ذات أثر كبير في عزلة المغرب الأقصى عن باقي بلاد المغرب، ويستمر امتداد جبال أطلس الكبرى في بعض مناطق المغرب الأوسط..

وتتحصّر بين السلسلتين الجبلتين سهول داخلية مرتفعة، يشتغل فيها السكان بالزراعة ورعي الماشية، وأغلب هذه السهول الخصيبة يقع بين جبال أطلس التل والصحراوي في المغرب الأوسط، وتجري فيها الوديان والأنهار، ومن أهم هذه السهول سهلي فاس⁽³⁾ ومكناس⁽⁴⁾ الغنيين، وإلى الشمال من سلسلة جبال أطلس الكبرى تقع سلسلة جبال أطلس الوسطى، التي تسمى أيضاً أطلس الصغرى، ويغلب عليها طابع الهضاب، و تمتد حتى المحيط الأطلسي، ومن أشهرها في المغرب الأقصى: هضبة المزيتا، وفي المغرب الأوسط هضبة الشطوط التي تتميز ببحيراتها. أما سهول المغرب الساحلية فيقع معظمها على ساحل المحيط

(1) سبتة: بلدة مشهورة من قواعد بلاد المغرب الأوسط، ومرساها من أجود المراسي على البحر المتوسط، وتقابل جزيرة الأندلس. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج3، ص182؛ أبو الفداء، ص133.

(2) مليلة: مدينة مغربية تقع بالقرب من سبتة على ساحل البحر المتوسط. انظر: الإدريسي، ج2، ص534؛ الحموي، معجم البلدان، ج4، ص228.

(3) فاس: مدينة كبيرة في المغرب أنشأها الأدارسة (172-364هـ/788-974م)، كانت تنقسم إلى مدينتين مسورتين انظر: الإدريسي، ج1، ص242؛ الحموي، معجم البلدان، ج4، ص230؛ القزويني، آثار، ص107.

(4) مكناس: مدينة مغربية تقع جنوب غرب فاس، سميت نسبة إلى مكناس البربري، وكانت تعرف أيضاً باسم تاقفرت. انظر: الإدريسي، ج1، ص(245، 246)؛ المراكشي، المعجب، ص257.

الأطلسي في الشمال والغرب، وكذلك بمحاذاة البحر المتوسط، وهذه السهول تضيق كلما اتجهنا من الغرب إلى الشرق، حيث يزداد اقتراب السلاسل الجبلية من الساحل⁽¹⁾.

أصول البربر وقبائلهم

أطلق اسم البربر على سكان شمال إفريقيا، وشكل هؤلاء الغالبية العظمى من السكان، فعرفت بلادهم كلها ببلاد البربر، وهم أمم وقبائل كثيرة، وسميت مواضع ظعنهم نسبة للقبائل التي سكنتها⁽²⁾، ويبدو أن مصادر الدراسة لم تتحدث عن سبب تسميتهم بهذا الاسم، وأما المصادر الأخرى فقد غصت بالآراء التي جاءت في معظمها بعيدة عن المنطق. ومن المرجح أن يكون مصطلح "بربر" قد اشتق من كلمة إغريقية لاتينية مرادفة، أطلقت على الشعوب التي تتكلم لغة لا يفهمها الإغريق والرومان⁽³⁾.

وأفاد ياقوت الحموي أن البربر أخلاط من كنعان والعماليق⁽⁴⁾، الذين تفرقوا بعد مقتل جالوت⁽⁵⁾، وهربوا إلى شمال إفريقيا وقاتلوا أهلها ثم صالحوهم على شيء يأخذونه من أهل البلاد⁽⁶⁾، وفي رواية أخرى ينسبون إلى بقايا الجبارين من العمالقة الذين قاتلهم داود عليه السلام

(1) عن تضاريس بلاد المغرب؛ انظر: ابن خلدون، تاريخ، ج6، ص98؛ سالم، تاريخ، ص(13-16)؛ زغلول، تاريخ، ج1، ص(73، 74)؛ حاملة، الأندلس، ص(26، 27)؛ أبو مصطفى، محاضرات، ص30؛ السامرائي وآخرون، ص(14، 15).

(2) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص438؛ القزويني، آثار، ص163؛ ابن خلدون، تاريخ، ج6، ص89.

(3) الوزان، ج1، ص34؛ انظر: خطاب، ج1، ص15؛ الغنيمي، مج1، ج1، ص(30، 38)؛ العبادي، ص15؛ بني خالد، ص(35، 37)؛ البستاني، مج5، ص276.

(4) العمالقة: أمم عاصرت الأنبياء، ينسبون إلى عمليق بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام، وهو أول من تكلم العربية، وتفرقت قبائلهم في الحجاز، وعمان، ومنهم جبارة الشام، وفراعة مصر، وملوك فارس، وأهل خراسان. انظر: ابن قتيبة، ص13؛ الطبري، تاريخ، ج1، ص467؛ ابن الأثير، ج1، ص61.

(5) جالوت: ابن بابل بن قحطان، وقيل بن ضريس بن جانا بن بر بن قيسن عيلان بن مضر، وقيل بن عمليق بن لاوذ بن ارم بن سام بن نوح. انظر: المسعودي، ج1، ص55؛ الفلقشندي، نهاية، ص273؛ ابن عبد الحليم، ص(37، 38).

(6) الحموي، ج1، ص438؛ القزويني، ص163؛ انظر للمقارنة: ابن عبد الحكم، فتوح، ص(27، 28)؛ الإدريسي، ج1، ص222؛ ابن خلدون، تاريخ، ج6، ص94؛ الفلقشندي، صبح، ج1، ص414؛ نهاية، ص119؛ الناصري، ص29.

في فلسطين، فلما أخرجوا منها أتوا المغرب، فأقاموا في جباله وتناسلوا، وقيل إن جميع القبائل البربرية تنحدر من العماليق باستثناء قبيلتي صنهاجة وكتامة، فإنهم من بني أفريقيش⁽¹⁾.

وتوصلت بعض الدراسات الحديثة إلى أن البربر قبائل هاجرت من الجزيرة العربية في عصور موعلة في القدم، ثم أعقت ذلك هجرات أخرى من بلاد الشام ومصر استقرت في أقاليم المغرب المختلفة، وقد كشفت الحفريات جماجم بشرية وجدت في ليبيا والجزائر واليمن وفلسطين، ووجد بين هذه الجماجم تطابق كامل، وقدر عمرها بأكثر من خمسين ألف سنة، وهذا التشابه يدل على أن إنسان المشرق والمغرب من أصل واحد⁽²⁾، وعلى الرغم من إشارة المؤرخين الجدد إلى إمكانية وجود صلة بين البربر والعرب منذ القدم، إلا أن الجدل قائم إلى يومنا هذا حول حقيقة نسب البربر وموطنهم الأصلي. ومما سبق يمكننا القول: إن المؤرخين والنسابة لم يتركوا سلالة بشرية إلا ووطنوا أن البربر منها، حتى أن كثرة اختلاف الروايات كونت لدى بعض المؤرخين رأياً قاطعاً مفاده أن تلك الروايات هي أقرب إلى الأسطورة منها إلى الحقيقة التاريخية⁽³⁾.

ومن ناحية أخرى؛ اتفق المؤرخون أن البربر يجمعهم قسمان: البتر، والبرانس، وهما من أصل واحد، فأما البتر فينسبون إلى جدهم الأكبر الملقب بالأبتر، وهم من البدو الرحل الذين سكنوا البادية، واعتمدوا في أسلوب معيشتهم على الرعي والتنقل، واتخذوا من الصحراء وقمم الجبال في الأماكن النائية ملجأً لهم بعيداً عن مراكز السلطة، وانتشرت قبائلهم في مناطق واسعة من بلاد المغرب حتى لم يكن يخلو إقليم من أقاليمه من جماعة منهم⁽⁴⁾.

وأشارت المصادر الجغرافية موضوع الدراسة إلى عدد كبير من قبائل البتر والبرانس على حد سواء، وتحدثت عن مواطن إقامة بعضها وأهملت البعض الآخر، ومن أهم قبائل البتر

(1) الحموي، ج1، ص438؛ القزويني، ص163؛ انظر للمقارنة: ابن عبد الحكم، ص170؛ البلاذري، البلدان، ص262؛ ابن خلدون، تاريخ، ج6، ص89؛ الفلقشندي، صبح، ج1، ص414؛ نهاية، ص119.

(2) السامرائي وآخرون، ص(18، 19).

(3) طه، استيطان، ص83؛ بني خالد، ص39.

(4) ابن خلدون، تاريخ، ص89؛ الفلقشندي، صبح، ج1، ص415؛ نهاية، ص119؛ الناصري، ص31؛ انظر: العبادي، ص16.

التي أتت عليها: نفوسة، وأداسة⁽¹⁾، وضريسة⁽²⁾، ومغيلة⁽³⁾، ومطماطه⁽⁴⁾، ولماية⁽⁵⁾، ومديونة⁽⁶⁾، ومديونة⁽⁶⁾، وكومية⁽⁷⁾، ومكناسة⁽⁸⁾، وزواغة⁽⁹⁾. وعدت زناة هي الأخرى من أهم القبائل البترية⁽¹⁰⁾، واستوطنت في تاهرت، وتامست الواقعه بالقرب من المسيلة⁽¹¹⁾، ومدينة زكرام⁽¹²⁾⁽¹³⁾، وجبل ونشريش⁽¹⁴⁾، ولقبيلة زناة فروع، منها جرواة⁽¹⁵⁾. ومن القبائل البترية: بنو لوا الأكبر، ومنها قبيلة لواته، وهم بطن عظيم متسع من بطون البربر، ينسبون إلى لوا الأصغر بن لوا الأكبر بن زحيك، ومواطنهم في برقة و طرابلس، وأجدابية⁽¹⁶⁾، ومنهم قبائل في جبال أوراس وفي تاهرت وقابس و صفاقس⁽¹⁷⁾⁽¹⁸⁾. ومن القبائل البترية الأخرى: قبيلة نفزاوة⁽¹⁹⁾، وهم بنو يطوفت بن نفزوا بن لوا الأكبر، وكان موطنهم في جنوبي الجريد⁽²⁰⁾، وسميت المنطقة ببلاد نفزاوة، ثم تفرعت قبائلهم في سائر المغرب، واستوطنت في مناطق

(1) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص328.

(2) م. ن، ج2، ص9، ج4، ص428.

(3) م. ن، ج1، ص348، ج2، ص9.

(4) م. ن، ج1، ص438، ج2، ص9، ج4، ص428.

(5) م. ن، ج4، ص(328، 546).

(6) ابن سعيد، الجغرافيا، ص125.

(7) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص348.

(8) م. ن، ج1، ص348، ج2، ص9.

(9) م. ن، ج1، ص348.

(10) م. ن، ج1، ص438.

(11) المسيلة: مدينة مغربية، تقع على بعد اثني عشر ميلاً من بجاية، يقال لها المحمدية. انظر: الإدريسي، ج1، ص260؛

الحموي، معجم البلدان، ج5، ص77.

(12) زكرام: مدينة تقع في جنوبي أفريقية، وهي قصبة تاملت. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج3، ص164.

(13) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص8، ج3، ص164.

(14) ابن سعيد، الجغرافيا، ص145.

(15) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص438.

(16) أجدابية: بلدة تقع بين برقة و طرابلس. انظر: كاتب مراكشي، ص144؛ الحموي، معجم البلدان، ج1، ص125.

(17) صفاقس: مدينة تقع في الجنوب الغربي من مدينة قفصة. انظر: الإدريسي، ج1، ص280؛ كاتب مراكشي، ص116.

(18) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص(125، 438)، ج2، ص9، ج4، ص328؛ الفزويني، آثار، ص148؛ ابن سعيد،

الجغرافيا، ص145؛ ابن خلدون، تاريخ، ج6، ص118.

(19) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص348.

(20) بلاد الجريد: إقليم يمتد من مدينة بسكرة حتى جزيرة جربة، ويشتمل على الكثير من المدن كتوزر و قفصة و نفزاوة

وغيرها. انظر: كاتب مراكشي، ص(150، 151)؛ الوزان، ج2، ص155.

متعددة، ومنها المناطق الشمالية من جبال وولات⁽¹⁾، ومن بطونهم: ورفجومة، التي عُدَّت من أواسم بطون نفزواة وأشدها بأساً وقوة، وموطنهم في جبال أوراس⁽²⁾.

وأما القسم الثاني من البربر فهو: البرانس، وهم الحضر الذين استقروا في السهول والمدن، واعتمدوا على الزراعة، ويتفرع منهم قبائل عدة، منها صنهاجة، وهم بنو صنهاج بن برنس، من حمير، وقد خلفهم أفريقيش عمالاً له في المغرب⁽³⁾، ومن بطون صنهاجة: قبيلة مسوفة، ولمتونة، وكدالة أو جدالة⁽⁴⁾، ولمطة في المنطقة المعروفة بنول، فسميت باسمهم (نول لمطة) في بلاد السوس جنوبي بلاد المغرب الأقصى⁽⁵⁾، وأما جزولة فكانوا مجاورين للمطة، وهذه القبائل كان لها دور في قيام دولة المرابطين اللمتونية (427-541هـ/1035-1146م) في بلاد المغرب الأقصى⁽⁶⁾. ومن قبائل صنهاجة هسكورة⁽⁷⁾، وأوربة⁽⁸⁾.

ومن القبائل البرنسية قبيلة مصموده، وهم أبناء مصمود بن برنس، موطنهم الأصلي في شمال المغرب الأقصى⁽⁹⁾، وأكثرهم يزعمون أنهم من العلويين، ومنهم الموحدون (541هـ—668هـ/1146-1269م)، وتعرف بلادهم ببلاد المصامدة⁽¹⁰⁾، ومن أشهر قبائلهم: قبيلة غمارة⁽¹¹⁾، وهرغه، وأكثر سكنهم في جبل درن⁽¹²⁾. وأما قبيلة كتامة؛ فينتسبون إلى كتام بن برنس، وهم من حمير، وتعد هذه القبيلة من أشهر قبائل البربر البرانس وأشدها بأساً، وهم أهل

(1) جبال وولات: جبل يبعد عن تونس مسافة يومان، وعن القيروان 15 ميل. انظر: ابن سعيد، الجغرافيا، ص 127؛ مقديش، ج 1، ص 126.

(2) الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 348؛ ابن خلدون، تاريخ، ج 6، ص 115؛ انظر: السامرائي وآخرون، ص 20.

(3) الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 438؛ ابن سعيد، الجغرافيا، ص 124؛ ابن خلدون، تاريخ، ج 6، ص 98، 153.

(4) الحموي، معجم البلدان، ج 4، ص 489؛ القزويني، آثار، ص 75؛ ابن سعيد، الجغرافيا، ص 111.

(5) الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 438، ج 5، ص (27، 361)؛ انظر للمقارنة: الإدريسي، ج 1، ص 225.

(6) الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 348؛ ابن خلدون، تاريخ، ج 6، ص 203.

(7) الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 438، ج 5، ص 160؛ ابن سعيد، الجغرافيا، ص 125؛ القلقشندي، صبح، ج 1، ص 415.

(8) الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 330، ج 5، ص 319.

(9) ابن خلدون، تاريخ، ج 6، ص 207.

(10) الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 438، ج 5، ص 160؛ ابن سعيد، الجغرافيا، ص 125؛ القلقشندي، صبح، ج 1، ص 415.

(11) الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 348.

(12) م. ن، ج 1، ص 438، ج 5، ص 160؛ ابن سعيد، الجغرافيا، ص 125؛ القلقشندي، صبح، ج 1، ص 415.

استقرار وحضارة، وكانت مواطنهم في قسنطينة وفي شرق المغرب الأوسط وفي جبال أوراس⁽¹⁾، وكانت لهم في تلك المناطق مدن مشهورة، منها تامست⁽²⁾⁽³⁾، وأنكجان في غرب بلاد بلاد البربر⁽⁴⁾، ومرسى الدجاج⁽⁵⁾ ⁽⁶⁾. ومن بطون كتامة قبيلة زاوارة، ومواطنهم في بجاية ما بين بين كتامة وصنهاجة، واستوطنوا في قابس، وعلى جبال صنهاجة⁽⁷⁾. ومن البرانس أيضاً قبيلة هوارة، وقيل أوريغة وهم بنو أوريغ بن برنس، ويقال: إنهم من عرب اليمن، وتعد من القبائل البربرية الكبرى التي سكنت في أفريقيا⁽⁸⁾، ومن مواطنهم أكستتلا⁽⁹⁾، وتاهرت، ومرماجنة⁽¹⁰⁾⁽¹¹⁾، ومسراته⁽¹²⁾، وشمالى جبال وسلات، وفي مدينة لبد⁽¹³⁾⁽¹⁴⁾، ولهم انتشار واسع في عموم المغرب، فكانوا ينتشرون مع بداية الفتح الإسلامي في نواحي طرابلس وما يليها من إقليم برقة ثم انتشروا في كل المغرب⁽¹⁵⁾.

والذي يلاحظ أنه ورغم انقسام البربر إلى برانس وبتر، وانقسام هؤلاء إلى قبائل مختلفة، فإن القرابة قوية بين الجماعتين، كما أن الصلة وثيقة بين فروع كل منهما، فالنسابة

-
- (1) الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 348؛ ابن خلدون، تاريخ، ج 6، ص 149.
- (2) تامست: قرية بالقرب من مدينة المسيلة ومدينة أشير. الحموي، معجم البلدان، ج 2، ص 8.
- (3) الحموي، معجم البلدان، ج 2، ص 8.
- (4) انكجان: ويقال لها ايكجان، تقع على مقربة من مدينة بجاية. انظر: الإدريسي، ج 1، ص 260؛ الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 324.
- (5) مرسى الدجاج: مدينة ساحلية. انظر: الإدريسي، ج 1، ص 259. كاتب مراكشي، ص 131.
- (6) الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص (324، 438)، ج 2، ص 8، ج 5، ص 421.
- (7) م. ن معجم البلدان، ج 1، ص 348، ج 4، ص 328؛ ابن سعيد، الجغرافيا، ص 145.
- (8) الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 438؛ القزويني، آثار، ص 148.
- (9) أكستتلا: مدينة جنوبي أفريقية. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 284.
- (10) مرماجنة: مدينة في أفريقية تقع على بعد مرحلة عن الأريس. انظر: الإدريسي، ج 1، ص 292؛ الحموي، معجم البلدان، ج 5، ص 129.
- (11) الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 285، ج 2، ص 9، ج 5، ص 129.
- (12) مسراته: إقليم على ساحل البحر المتوسط، يبعد نحو 100 ميل عن طرابلس. انظر: الوزان، ج 2، ص 111.
- (13) لبد: مدينة بين برقة وأفريقية، وقيل بين طرابلس وجبل نفوسة، وكذلك هناك موضع بالأندلس بهذا الاسم. انظر: الإدريسي، ج 1، ص 308؛ الحموي، معجم البلدان، ج 5، ص 11.
- (14) ابن سعيد، الجغرافيا، ص (144، 146).
- (15) ابن خلدون، تاريخ، ج 6، ص (139، 144).

يختلط عليها الأمر إلى درجة أنهم يضعون قبيلة هوارة في البرانس، ثم يعدونها من البتر أو يجعلونها أختاً لقبيلة أداسه البترية (عن طريق الأم)، وكذلك الأمر بالنسبة لقبيلة زواوة التي تعد من البتر ويعدّها ابن حزم من كتامة البرنسية⁽¹⁾. ومما يجب إيضاحه أن هذين الفرعين البربريين، تعددت فروع كل واحد منهما، إلى قبائل كثيرة وبطون عديدة، وتداخلت البطون، حتى اختلط نسبها بين الفرعين.

صفات البربر وعاداتهم

أنت مصادر الدراسة على القليل من صفات البربر الحسنة، ثم تعمّدت المبالغة في إيراد الصفات السيئة التي ترى فيها الدراسة تحاملاً غير مبرر عليهم، ومن أهم الصفات الحسنة التي أنت عليها المصادر؛ صفة الجمال التي تميز بها سكان البلاد المغربية، وبخاصة أهل مدينتي كاكدم⁽²⁾ وفاس، وفي الأخيرة تفوقت نساء الأندلسيين على القرويين، وأما رجال القرويين فأجمل فأجمل وأحمد⁽³⁾، وأشادت مصادر الدراسة بصفة الشجاعة التي عرف بها أهل مدينة فاس، وكذلك أهل مدينة سجلماسة في جنوبي بلاد المغرب الأقصى، ووسموا بالشجاعة نظراً للقدرة التي توفرت لديهم على دخول بلاد التبر⁽⁴⁾ المعروفة بصعوبة مسالكها⁽⁵⁾.

وبالمقابل أمعن كل من الحموي والقزويني في وصف البربر بالقبح والشر والجفاء والطيش والفتنة والضلالة⁽⁶⁾، وذكر أحاديث نسبت للنبي (صلى الله عليه وسلم) زوراً وبهتاناً، للدلالة على ما ساقاه حول البربر، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "جئت رسول الله ومعى وصيف، فقال عليه السلام: يا أنس ما جنس هذا الغلام؟ قلت: ولم يا رسول الله؟ قال: إنهم

(1) ابن حزم، ص 495؛ ابن خلدون، تاريخ، ج 6، ص 90.

(2) الحموي، معجم البلدان، ج 4، ص 489؛ القزويني، آثار، ص 58.

(3) الحموي، معجم البلدان، ج 4، ص 261؛ القزويني، آثار، ص 103؛ انظر: كاتب مراكشي، ص 181؛ القلقشندي، صبح، ج 5، ص 154؛ الحميري، ص 435.

(4) بلاد التبر: وهي بلاد السودان الواقعة في جنوب المغرب، وتبعد عن مدينة سجلماسة المغربية مسافة ثلاثة شهور، وتعرف بشدة الحر وقلة المياه، ويصعب الدخول إليها. انظر: القزويني، آثار، ص (18، 19).

(5) الحموي، معجم البلدان، ج 3، ص 217؛ القزويني، آثار، ص 42.

(6) الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 439؛ القزويني، آثار، ص (163، 164).

أمة بعث الله إليهم رسولا فذبحوه وطبخوه وأكلوا لحمه وبعثوا مرقه إلى نسائهم، قال الله: "لا اتخذت منكم نبياً ولا بعثت إليكم رسولا" (1). وروي عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: "ما تحت تحت أديم السماء ولا على الأرض خلق شر من البربر، ولئن أتصدق بعلاقة سوطي في سبيل الله أحب إلي من أن أعتق رقبة بربري"؛ وكان يقال: تزوجوا في نسائهم ولا تؤاخوا رجالهم (2)؛ رجالهم (2)؛ ومما يجدر الإشارة له أن هذه الأحاديث كاذبة، ولم ترد في كتب الحديث، سواء في الصحاح أم في غيرها.

ولم يكتف الحموي والقزويني بالأحاديث، بل تعديا ذلك إلى ذكر أبيات من الشعر لخلف بن فرج السميصر (ت. 480هـ / 1087م) (3)، يهجو فيها البربر:

(البحر البسيط)

رأيت آدم في نومي فقلت له: أبا البرية إن الناس قد حكموا
أن البربر نسل منك؛ قال: أنا! حواء طالقه إن صح ما زعموا (4)

وبرر الحموي لصقه الصفات الدنيئة بالبربر لاتباعهم كل ناعق بالنبوة، وأن منهم من زعم أنه المهدي المنتظر، واتباعهم لمذهب الخوارج، وسفكهم الدماء واستباحة المحارم (5)، ومن صور الصفة الأخيرة إنه على الرغم من تشابههم مع العرب بصفة الكرم (6)؛ فإن ممارستهم ممارستهم له تختلف عما كان متعارفاً عليه عند العرب؛ فكان من مظاهر إكرام الضيف

(1) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص439، القزويني، آثار، ص(163، 164)؛ انظر للمقارنة: المروزي، الفتن، ص(178، 179)؛ الهندي، كنز، ج12، ص(61، 175).

(2) الحموي، ج1، ص439، القزويني، ص(163، 164)؛ وقد ثبت ضعف ووضع هذه الأحاديث. انظر للمقارنة: المروزي، ص(178، 179)؛ الهندي، ج12، ص(61، 175).

(3) خلف بن فرج السميصر: عرف بأبي القاسم الأندلسي، وكان شاعراً مطبوعاً سهل الشعر، وأغراض شعره: الشكوى والزهد والحكم والهجاء، سكن غرناطة، وكان متصلاً بصاحبها باديس بن حبوس (430-466هـ/1039-1074م)، ثم وقعت بينهما وحشة بسبب شعره عن البربر، فانتقل إلى المرية وعرف بشاعر المرية. انظر: ابن بسام، الذخيرة، ج2، ق1، ص372؛ المقري، ج3، ص412؛ فروخ، تاريخ، ج4، ص680؛ الوائلي، موسوعة، ص163.

(4) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص440؛ القزويني، آثار، ص164؛ المقري، ج3، ص412-415.

(5) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص439.

(6) م، ن، ج1، ص439؛ الفلغشندي، صبح، ج5، ص178.

والاحتراف به قيام بعض أهل المدن بتقديم أبنائهم الذكور إلى الضيوف، ويعدون ذلك كرمًا والامتناع عنه عارٌ ونقص⁽¹⁾، وأفاد الحموي أن من أكثر بلاد المغرب شرًا وظلمًا وسوء خلق أهل بلاد الجريد؛ لتمردهم على السلطان⁽²⁾، وللسبب ذاته، وصف ابن سعيد أهل جبل أوراس بسوء الخلق، فقال عنهم: "أهل دعارة وعصيان"⁽³⁾؛ وأما أهل مدينة سوبلا بالقرب من مراكش، مراكش، فعدهم الحموي والقزويني من أشد البربر شرًا وطغيانًا، وذكر أن ملك المغرب يوسف بن عبد المؤمن بن علي (558-580هـ/1163-1184م)⁽⁴⁾، عندما دخلها والتقى بمشايعها وصفهم بأنهم "مشايخ سوء بالله"⁽⁵⁾.

وهناك بعض المدن التي اشتهر أهلها بصفات خاصة بهم، فمثلًا عرف عن أهل تاهرت الحمق، فيروي القزويني للتدليل على ذلك: حكى أنه رفع إلى قاضيهم جناية فما وجدوا في القرآن الكريم عقابًا عليها، فاستشار الفقهاء والمشايخ، واستقر رأيهم أن يفتحوا القرآن بشكل عشوائي، فتراءى لهم قوله تعالى: [سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرُطُومِ]⁽⁶⁾، فجدع القاضي أنفه وخلق سبيله⁽⁷⁾. أما أهل تونس فوسموا بدناءة النفس واللؤم والبخل الشديد⁽⁸⁾، وعدت بلادهم من أكثر

(1) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص439؛ القزويني، آثار، ص164؛ انظر للمقارنة: ابن حوقل، ص(91، 93).

(2) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص434.

(3) ابن سعيد، الجغرافيا، ص145.

(4) يوسف بن يعقوب بن عبد المؤمن بن علي: أبو يعقوب بأمير المؤمنين، ثاني خلفاء الدولة الموحدية، وامتدت فترة حكمه بين سنتي (558-580هـ/1163-1184م). انظر: المراكشي، ص(166-185)؛ أشباخ، تاريخ، ص(315-327).

(5) الحموي، معجم البلدان، ج3، ص315؛ القزويني، آثار، ص204.

(6) سورة القلم، آية 16؛ وتفسير الآية: أي سوف نجعل له الوسم بالسواد على أنفه، وذلك أنه يسود وجهه بالنار قبل دخولها، فيكون له على أنفه علامة، ونلحق به شيئًا لا يفارقه يعرف به. انظر: ابن كثير، تفسير، ج7، ص86؛ الأشقر، زبده، ص564.

(7) القزويني، ص169؛ انظر للمقارنة: ابن الجوزي، أخبار، ص111.

(8) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص72؛ القزويني، آثار، ص174؛ انظر للمقارنة: البكري، ص31.

أكثر البلاد غوغاء⁽¹⁾، وشغب وخروج عن الولاية⁽²⁾، ويذكر البكري أنهم خالفوا ولاتهم نحو عشرين مرة⁽³⁾، حتى قال بعض ولاتهم:

(البحر الطويل)

لعمرك ما ألفت تونس كاسمها ولكي ألفتها وهي توحش⁽⁴⁾

وعلى الرغم مما ذكرته مصادر الدراسة حول صفات البربر القبيحة؛ فإن فريقاً من المؤرخين تصدى للدفاع عنهم؛ فقيل إنهم أقوام تحلت بالأخلاق والفضائل الإنسانية، وتنافست في خلال الحميدة، وما جبلوا عليه من الخلق الكريم مرقاة الشرف والرفعة والوسائل والوفاء والعهد والصبر على المكارم، والثبات بالشدائد، والإغضاء عن العيوب، والتجافي عن الانتقام، ورحمة المسكين، وبر الكبير، وتوقير أهل العلم، وإقراء الضيف، والإعانة على النوائب وعلو الهمة، وإبائة الضيم، ومقارعة الخطوب، وغلاب الملك، وبيع النفوس من الله نصر لدينه⁽⁵⁾، وقيل: إن البربر جيل معروف من أعظم الأجيال وأعزهم، ولهم الفخر الذي لا يُجهل، والذكر الذي لا يُهمل، وقد تعددت فيهم الدول، وكثرت فيهم الملوك العظام، وكان لهم القدم الراسخ في الإسلام، واليد البيضاء في الجهاد، ومنهم الأئمة والعلماء والأولياء والشعراء وأهل المزايا والفضائل⁽⁶⁾.

وأشارت مصادر الدراسة على تميُّز البربر عن غيرهم من الأمم بعادات غريبة؛ إذ انفرد القزويني بالإتيان على عادات الزواج عند البربر، فيذكر: "إذا أحب أحدهم امرأة وأراد التزوج بها ولم يكن كفتناً عمد إلى بقرة حامل من بقر أبيها، ويقطع من ذنبها شيئاً من الشعر ويهرب، فإذا أخبر الراعي أهل المرأة بذلك خرجوا في طلبه، فان وجدوه قتلوه، وإن لم يظفروا به يمضي هو على وجهه، فإن وجد أحداً قطع ذكره وأتى القوم به قبل أن تلد البقرة، ظفر

(1) كاتب مراكشي، ص 121؛ الحميري، ص 144.

(2) القزويني، آثار، ص 174

(3) البكري، ص 40.

(4) القزويني، آثار، ص 174؛ انظر للمقارنة: البكري، ص 40.

(5) ابن خلدون، تاريخ، ج 6، ص 104.

(6) الناصري، ج 1، ص 30؛ الوزان، ج 1، ص 85.

بالجارية وزوجها منه ولا يمكنهم الامتناع البتة، وإن ولدت البقرة ولم يأت بالذكر المقطوع بطل عمله ولا يمكنه الرجوع إليهم، وإن رجع قتلوه"، ومن هنا يعلل القزويني كثر وجود المجبوبين⁽¹⁾ من البربر⁽²⁾.

ومن عاداتهم الغربية، وبخاصة أهل مدينة مرمى⁽³⁾، عادة تخص السارق؛ فإذا سرق السارق عندهم ضربوه وأجبروه على المسير من بلده إلى بلد يسمى سباب بالقرب من مرمى، ثم يسير في الصحراء حتى يصل زويلة⁽⁴⁾، وكان من المتعارف عليه عند أهل زكندر الواقعة على بعد ست مراحل من مراکش⁽⁵⁾، أنه إذا جنا احدهم جناية أو وجب عليه حق، دخل غاراً فيسقط عنه الطلب حتى خرج منه⁽⁶⁾.

وتميز أهل مدينة زويلة عن سائر سكان البلاد بمعرفتهم بعلم الأقدام، حيث كانوا يعرفون قدم الغريب من البلدي، والرجل من المرأة، واللص والعبد والأمة، وكان ذلك من مهام حارس المدينة، حيث كان يعمد إلى دابة ويشد عليها حزمة من جرائد النخيل، بحيث ينال سعفه الأرض ثم يدور بها حول المدينة، فإذا أصبح ركب، ودار حول المدينة، فإن رأى خارجاً تبعه حتى أدركه أينما توجه⁽⁷⁾.

وحول وضع المرأة عند المغاربة؛ فإن أهل مدينة تغارة، كانوا تحت طاعة أمة من قبيلة مسوفة⁽⁸⁾، وربما يكون القزويني قد ذكر ذلك، ليشير إلى ما آل إليه حال البلاد المغربية في عهد

(1) المجبوبون: من جيب، وهو الخصي الذي قد استوصل ذكره وخصيتاه. انظر: ابن منظور، ج1، ص249.

(2) القزويني، آثار، ص164.

(3) مرمى: مدينة تقع بين جبل نفوسة وزويلة. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج5، ص129.

(4) الحموي، معجم البلدان، ج5، ص129.

(5) مراکش: مدينة من أعظم مدن المغرب، تقع إلى الشمال من مدينة أغمات على بعد خمسة عشر ميل. انظر: كاتب مراكشي، ص208؛ أبو الفداء، ص135.

(6) القزويني، آثار، ص199.

(7) م، ن، ص94.

(8) م، ن، ص25.

عهد علي بن يوسف بن تاشفين (500-537هـ/1107-1134م)⁽¹⁾، فقد اختلت اختلالاً شديداً حتى استولت النساء على الأحوال وأسندت لهن الأمور، وصارت كل امرأة من مسوفة ولمتونة تشتمل على كل رجل من أهل الفساد يجعل منها ملجأً له، وبخاصة في الوقت الذي أصبح فيه علي بن يوسف في غفلة عن أمور رعيته، وضعف في حكمه⁽²⁾. وأما طعام سكان بلاد المغرب وشرابهم فقد اقتصرته إشارات جغرافي القرن السابع الهجري حوله، على ما ذكره ابن سعيد أن اعتماد أهل مدينتي نول لمطة وكوكدم على أكل لحم الجمال، وشرب لبن النوق وتفضيله على سائر الأكل⁽³⁾.

المعتقدات الدينية البربرية

لم تذكر مصادر الدراسة الأساسية الكثير عن ديانات البربر قبل الإسلام، على الرغم من أنهم دانوا بديانات مختلفة، كالوثنية وعبادة الظواهر الطبيعية، والنصرانية، واليهودية⁽⁴⁾، ووردت ووردت بعض الإشارات من جانب الحموي والقزويني حول هذا الأمر، ومنها أن معظم البربر كانوا يعبدون الأصنام، وأكثر انتشارها في الجزر الخالدات⁽⁵⁾، فكان في كل جزيرة منها صنم يتقربون له⁽⁶⁾، وقد عرفت بعض القبائل البربرية بعبادة آلهة خاصة بها، فأهل ودان⁽⁷⁾ كانوا

(1) علي بن يوسف بن تاشفين (500-537هـ/1107-1143م): كنى بأبي الحسن، أمير مرابطي، تولى الحكم بعد والده، وحكم المغرب والأندلس، وسار على درب أبيه في الجهاد، وكان حسن السيرة، ومن الزهاد. انظر: ابن الأثير، ج8، ص415؛ المراكشي، المعجب، ص121.

(2) المراكشي، المعجب، ص(125، 126)؛ عنان، دولة، ج3، ق1، ص424؛ انظر: شبانة، الدويلات، ص45.

(3) ابن سعيد، الجغرافيا، ص112.

(4) كاتب مراكشي، ص255؛ ابن خلدون، تاريخ، ج6، ص(107، 108)؛ الوزان، ج1، ص(67، 68)؛ أبو مصطفى، ص32؛ العبادي، ص(19، 22)؛ بني خالد، ص45.

(5) الجزر الخالدات: جزر الكناري، ويقال لها أيضاً جزائر السعادات، نظراً لكثرة خيرها، وهي في المحيط الأطلسي في أقصى المغرب، وعددها ست جزر، وتقدر مساحتها بمائتي فرسخ. انظر: القزويني، آثار، ص29.

(6) القزويني، آثار، ص29.

(7) ودان: مدينة جنوبي أفريقية تقع إلى القرب من القيروان. انظر: البكري، ص11؛ الحموي، معجم البلدان، ج5، ص421؛ القزويني، آثار، ص280.

يقدمون صنم كرزة، ويقدمون له القرابين ويستسقون به⁽¹⁾، كما عظموا الكواكب، كعبادة الشمس عند قبيلة صنهجة في ورتيس، وفي أودغست⁽²⁾.

وكان للديانة النصرانية حظاً وافراً بالانتشار، بين البربر المستقرين والقاطنين في الأماكن والمدن الساحلية الخاضعة منها أو المجاورة للدولة البيزنطية، إلا أن المصادر لم تشر إلى أي تواجد للنصرانية في بلاد المغرب. أما عن الديانة اليهودية فقد انتشرت منذ فترة مبكرة في بلاد المغرب، وساعد على انتشارها امتهان اليهود التجارة والمراباة، ودانت بها بعض قبائل البربر، نظراً لاשתغالهم بالتجارة، وقد تواجدت تجمعات كبيرة منهم في مدينة فاس⁽³⁾، وفي مدينة جادوا الواقعة جنوبي مدينة طرابلس⁽⁴⁾. ومن فرائض اليهود فريضة يوم السبت⁽⁵⁾ وهو يوم عيدهم، حيث أمر موسى عليه السلام بني إسرائيل أن يفرغوا في كل أسبوع يوماً للعبادة، فأبوا أن يقبلوا إلا يوم السبت، وقالوا إنه يوم فرغ الله فيه من خلق الأشياء، وزعموا أن الأمور التي تحدث يوم السبت تستمر إلى السبت الآخر، فلذلك امتنعوا فيه من الأخذ والعطاء⁽⁶⁾، والتزم يهود مدينة سبتة سبتة بهذه الفريضة، علماً بأنها سميت بهذا الاسم نسبة لفريضة السبت، كما زعم الحموي⁽⁷⁾. ولكن هذه الديانات عموماً لم تتأصل في نفوس البربر، ودلالة ذلك تحولهم سريعاً إلى الديانة الإسلامية بعد الفتح.

وأشارت المصادر الجغرافية الخاصة بالدراسة إلى بعض مراحل الفتح الإسلامي في بلاد المغرب، منذ البدء بها على يد عمرو بن العاص⁽⁸⁾، لأن إقليم برقة كان يعد امتداداً لمصر، فأراد أن يحصن الحدود المصرية الغربية من هجمات الأعداء، ومن أجل الاستمرار بحركة

(1) الحموي، معجم البلدان، ج5، ص421؛ القزويني، آثار، ص280.

(2) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص330، ج2، ص39.

(3) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص261؛ القزويني، ص102؛ انظر للمقارنة: البكري، ص115؛ زايد، الصلات، ص30.

(4) الحموي، معجم البلدان، ص107.

(5) م، ن، ج3، ص(205، 206).

(6) القزويني، عجائب، ص107.

(7) الحموي، معجم البلدان، ج3، ص(205، 206).

(8) م، ن، ج1، ص463؛ الناصري، ج1، ص(34، 35).

الفتوحات الإسلامية⁽¹⁾. فبعد أن أتم فتوحاته في مصر في عهد عمر بن الخطاب عام 21هـ/642م؛ سار ابن العاص على رأس جيوشه غازياً، حتى قدم برقة، وكان أكثر سكانها من قبيلة لواته؛ أكبر قبائل البربر شأنًا، وأشدهم بأسًا، ويبدو أنهم كانوا ساخطين على البيزنطيين، كارهين لحكمهم نتيجة سياستهم التعسفية، فسارعوا إلى تقديم الولاء لابن العاص، فصالحهم على جزية مقدارها ثلاثة عشر ألف دينار⁽²⁾.

وبعد أن أتم ابن العاص فتح برقة توجه إلى طرابلس تمهيدًا لدخول إلى أفريقية، فأرسل عقبة إلى فزان⁽³⁾ فافتتحها، وفي الوقت نفسه كان قد توجه عمرو بن العاص إلى إقليم طرابلس لافتتاحه، فبدأ بسرت الواقعة غربي برقة ثم لبدة، حتى أترك طرابلس، وحاصرها شهرًا فامتعت عليه في بداية الأمر، إلى أن تم له السيطرة عليها سنة 22هـ/643م⁽⁴⁾. ثم أرسل إلى الخليفة عمر بن الخطاب يعلمه بالفتوحات ويستأذنه لاستكمال فتح أفريقية، إلا أنه رفض نظرًا لما يترتب عليه ذلك من مخاطرة، حيث رد عليه قائلًا: "لا أنها ليست أفريقية، ولكنها المفرقة، غادر مغدورة بها، لا يغزوها أحد ما بقيت"⁽⁵⁾، فرجع عمرو بن العاص إلى مصر، وبذلك كان أول أمير للمسلمين دخل المغرب، لكنه لم يفتح أفريقية، وتوالت من بعده محاولات الفتح من قبل الخلفاء والقادة حتى تم لهم ذلك⁽⁶⁾. ومن القادة الذين لعبوا دوراً هاماً في دخول الإسلام إلى المغرب عقبة بن نافع الفهري، فبعد ما حققه في ولاية عمرو بن العاص من فتوحات، ولي على أفريقية من قبل معاوية بن أبي سفيان (41-60هـ/661-680م) في سنة 50هـ/670م⁽⁷⁾، وسار

(1) سالم، ص 55؛ حتاملة، ص 32.

(2) الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 463؛ ابن عبد الحكم، ص 170؛ البلاذري، ص 261؛ البكري، ص 3؛ ابن عذاري، ج 1، ص 20؛ ابن خلدون، تاريخ، ج 2، ص 77؛ الناصري، ج 1، ص 34، 35؛ انظر: حتاملة، ص 33.

(3) فزان: ولاية واسعة بين الفيوم وطرابلس. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج 4، ص 295؛ القزويني، آثار، ص 59.

(4) ابن عبد الحكم، ص 171؛ البلاذري، ص (262، 263)؛ ابن الأثير، ج 3، ص 26؛ الناصري، ص (34، 35).

(5) الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 271، ج 3، ص 207؛ انظر للمقارنة: ابن عبد الحكم، ص 173؛ البلاذري، ص 263؛ الناصري، ج 1، ص 35؛ انظر: سالم، ص (64، 65).

(6) للتفاصيل انظر: ابن عبد الحكم، ص (173-192)؛ البلاذري، ص (261-268)؛ ابن الأثير، ج 3، ص (25-26)؛ ابن عذاري، ج 1، ص (19، 20).

(7) القزويني، آثار، ص 242.

وسار بجيش قدره عشرة آلاف فارس، وضم إليه من أسلم من البربر، متجها نحو بلاد المغرب فافتتح العديد من مدنها عنوة، ودخل على يده الكثير من البربر في الإسلام⁽¹⁾.

وأفادت مصادر الدراسة أنه وبعد انتشار الإسلام في بلاد البربر؛ ظهرت بعض فرق الخوارج كالإباضية، ومما ساعد على انتشارها؛ انتقال العديد من الجماعات الدينية من المشرق إلى المغرب، وسخط الأهالي على ولاة الأمويين ثم العباسيين، وتمكن الإباضيون من تأسيس الدولة الرستمية في بلاد المغرب الأوسط على يد عبد الرحمن بن رستم⁽²⁾، واتخذت هذه الدولة من مدينة تاهرت عاصمة لها بعد فرار قاداتها من القيروان⁽³⁾، وأضحت معقلاً للإباضية ودار هجرة لأنصارها⁽⁴⁾. وفي سنة 160هـ/777م، بويع عبد الرحمن بن رستم بالإمامة بعد أن أرسى قواعد دولته ووطدت أركانها، وبعد مبايعته انضم إليه إباضية طرابلس، واتسع سلطانه بين القبائل التي دخلت في طاعته وعلى رأسها نفوسه، ومنذ ذلك الوقت عدَّ جبل نفوسة هو الآخر دار هجرة للمذهب الإباضي في بلاد المغرب⁽⁵⁾.

ومن ناحية أخرى فقد كان أهل المغرب عموماً يعتقدون بالكرامات وبالأولياء الصالحين، ومنهم أهل مراکش، الذين كانوا يتبركون بالشيخ الصالح سني بن عبدالله المراكشي، وكان شيخاً مستجاب الدعوة⁽⁶⁾، وتبركوا أيضاً بأماكن وأمر ذات قدسية ذكرت بالقرآن، ومن الأمثلة على ذلك تبرك أهل مدينة سبتة بالصخرة والسمة الوارد ذكرها في قوله تعالى: **إِذَا أَرَأَيْتَ إِذْ أُوَيِّنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيَهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا**⁽⁷⁾، ويعتقدون أن نسل السمكة (الحوث)⁽⁸⁾ قد استمر، ووصف القزويني هذه السمكة بقوله:

(1) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص272، ج4، ص477؛ القزويني، آثار، ص242؛ انظر للمقارنة: البلاذري، ص265؛ ابن عذاري، ج1، ص19؛ ابن الأثير، ج3، ص465؛ العبادي، ص40، 41.

(2) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص9، 10؛ ابن عذاري، ج1، ص217؛ ابن خلدون، تاريخ، ج6، ص177؛ انظر: سالم، ص(451، 452).

(3) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص(9، 10).

(4) ابن سعيد، الجغرافيا، ص145.

(5) الحموي، معجم البلدان، ج3، ص244؛ ج5، ص343؛ انظر: سالم، ص(460، 461).

(6) القزويني، آثار، ص280.

(7) سورة الكهف، آية63.

(8) القزويني، آثار، ص533، 534.

بقوله: "طولها أكثر من ذراع وعرضها شبر واحد، وفي أحد جنبيها شوك وعظم، وجلدها دقيق ملتصق على أحشائها، ورأسها نصف رأس، فمن رآها هكذا أستقدرها، ويحسب أنها مأكولة ميتة ونصفها الآخر صحيح". فأصبح الناس يتبركون بالصخرة ويهتدون بالأسماك، وآمنت العديد من قبائل البربر الشعوب بالخرافات، والأساطير، ومنها الاعتقاد برصد الجن، وبركة الأحجار، والأشجار، ومن ذلك إيمان أهل كاكدم باختطاف الجن لكل من يدخل تلها⁽¹⁾، واعتقاد أهل قابس بالطلاسم⁽²⁾ أنها تضر وتنفع⁽³⁾.

الفصل الثاني

الثروات الزراعية والحيوانية في بلاد المغرب والأندلس

الثروات الزراعية والحيوانية في بلاد المغرب

(1) القرويني، آثار، ص58.

(2) الطلاسم: من الطلاسم، وهو لفظ يوناني لكل ما هو غامض، وهي كتابات غير مفهومة، يزعم كتابها أنها ترتبط بالروحانيات، وترتبط بجلب الحظ، ودفع الأذى. انظر: ابن منظور، ج12، ص369؛ مصطفى وآخرون، المعجم، ص60.

(3) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص(328، 329).

الثروات الزراعية والحيوانية في بلاد الأندلس

الفصل الثاني

الثروات الزراعية والحيوانية في بلاد المغرب والأندلس

الثروات الزراعية والحيوانية في بلاد المغرب

ازدهرت الحياة الزراعية في بلاد المغرب؛ بسبب خصوبة أراضيها، والظروف المناخية المستقرة، مما أسهم في ازدهار الحياة الاقتصادية؛ وعليه لم يكن من الغريب أن تركز المصادر الجغرافية خلال القرن السابع الهجري على مختلف جوانب الحياة الزراعية.

اعتمد الإنتاج الزراعي في بلاد المغرب بشكل أساسي على مياه الأمطار، ومن المناطق التي اعتمدت عليها كمصدر رئيس لري مزرعاتها، مدينة اكستتلا⁽¹⁾، ومدينة تاهرت، التي استغل أهلها نهر منية الواقع في قبالتها، ونهر تاتش الواقع إلى الشرق منها⁽²⁾، وأما أهل مدينة مليانة فقد جمعوا مياه الأمطار في صهاريج وآبار خاصة للاستفادة منها في الشرب والزراعة⁽³⁾. وأفادت مدينة مراكش لري بساتينها من مياه نهر تانسفيت الواقع على بعد أربعة أميال منها⁽⁴⁾، واعتمدت أراضي فاس على مياه نهر المفروش المار منها، بوساطة الأرحاء التي بلغ عددها ستمائة، ولهذا عدت من أكثر بلاد المغرب خيرات⁽⁵⁾.

أما الري من العيون والآبار فقد اعتمدت عليه أجدابية، وكانت أرضها صخرية، وآبارها منقورة في الصخر، وفيها عين ماء عذبة⁽⁶⁾، وأفادت من المياه المتوفرة في المواجهل⁽⁷⁾، واعتمدت بلدة أصيلة القريبة من طنجة على مياه الآبار في ري الزرع إلى جانب استخدامها

(1) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص285.

(2) م، ن، ج2، ص9؛ القزويني، آثار، ص169.

(3) الحموي، معجم البلدان، ج5، ص227؛ القزويني، آثار، ص273.

(4) ابن سعيد، الجغرافيا، ص125؛ الحميري، ص540؛ مقديش، ج1، ص62.

(5) القزويني، آثار، ص102.

(6) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص125.

(7) المواجهل: مفردتها ماجل، وهي المياه المحبوسة في جبل أو واد؛ وقيل حفرة أو بركة. انظر: فيروز آبادي، ج4،

ص50؛ مصطفى وآخرون، ج2، ص655.

للشرب⁽¹⁾، وكانت مدينة باجة⁽²⁾ هي الأخرى تعتمد على مياه الآبار والعيون، وأبرزها عين الشمس، إلى جانب الأمطار، وأفادت من مياه النهر المسمى باسمها الواقع إلى الشرق منها⁽³⁾، ومن الملاحظ أن باجة كانت تتميز بمصادر مياه متنوعة ومتعددة، مما أسهم في ازدهار النشاط الزراعي فيها⁽⁴⁾.

واشتهرت مدينة قفصة الواقعة في بلاد الجريد إلى الجنوب من مدينة القيروان، بكثرة عيون الماء والجداول والينابيع التي اعتمد عليها في ري الزرع، وكان منها اثنان في الداخل يعرف أحدهما بالطرميذ والآخر بالماء الكبير، وخارجها عينان أخريان إحداهما تسمى المطوية والأخرى بايش، وعلى هذه العين عدة بساتين كثيرة⁽⁵⁾. وقسمت المياه على البساتين بمكيال توزن به المقادير، حيث كانت تزود الأراضي كل خمسة عشر يوماً بالمياه من جديد⁽⁶⁾، وأشار صاحب الاستبصار إلى تقسيم المياه عند أهل قفصة "وكان لأهل قفصة هندسة عظيمة وحساب دقيق في سقي بساتينهم"⁽⁷⁾.

وإلى جانب الاعتماد على آبار المياه والعيون؛ فقد حفر المغاربه بركاً لتجميع مياه الأمطار، في برقة وتونس⁽⁸⁾، ونظراً لوفرة مصادر المياه بكثرة في الأخيرة فقد كانت تنتج محاصيل زراعية وفيرة، وأما أهل جبل الصيادة في غربها فاعتمدوا في ريهم على سبعة مواجل⁽⁹⁾. ومن أشهر المناطق التي اعتمدت في ري زرعها على صهاريج المياه بشكل كبير مدينة المهديّة على الساحل الشرقي التونسي، وكان فيها ثلاثمائة وستون صهريجاً على عدد أيام

(1) الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص (202،252).

(2) باجة: بلدة جبلية في أفريقية، جنوب غرب مدينة تونس على يسمي جبل الشمس. انظر: كاتب مراكشي، ص 160؛

الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص (374،373).

(3) الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 374.

(4) البكري ص 56؛ كاتب مراكشي، ص 160؛ أبو الفداء، ص 141؛ الحميري، ص 75.

(5) الحموي، معجم البلدان، ج 4، ص 434.

(6) م، ن، ج 4، ص 434.

(7) كاتب مراكشي، ص 153.

(8) الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 463؛ ج 2، ص 71؛ القلقشندي، صبح، ج 5، ص 102.

(9) الحموي، معجم البلدان، ج 2، ص 71.

السنة⁽¹⁾، وكذلك قصر القيروان الواقع على بعد أربعة أميال من المهديّة⁽²⁾، ثم جزيرة قرقنة القريبة من سفاقس، والتي تمتعت أراضيها بخصوبة عالية⁽³⁾. واستعمل أهل زكندر الواقعه بالقرب من مراكش، الدوايب في ري زرعهم⁽⁴⁾. وكان لأهل مدينة غدامس في جنوب المغرب على حدود بلاد السودان، قسمة متعارف عليها بينهم لتوزيع مياه الينابيع على أراضيهم، وكانوا يمنعون الزيادة في استغلال المياه خوفاً من النقصان⁽⁵⁾.

ووصل اهتمام المغاربة بالأراضي واستصلاحها إلى إنشاء البساتين على مساحات واسعة في أجدابية⁽⁶⁾، وباجة⁽⁷⁾، وبونة⁽⁸⁾، والرمادة الواقعة بين برقة والإسكندرية⁽⁹⁾، وطرابلس⁽¹⁰⁾، وقابس⁽¹¹⁾. وكان في سجلماسة مجموعة من البساتين تبلغ مساحتها اثنا عشر فرسخاً، وعلى أربعة فراسخ منها رستاق⁽¹²⁾ عنب يعرف باسم تيومتين، وكانت تزرع أراضيها كلها باستثناء الخمس، حتى تحافظ المحاصيل الزراعية على أسعار مناسبة للمزارعين⁽¹³⁾. ومن أبرز البساتين التي اشتهرت بها البلاد المغربية؛ بستان مراكش، وكان يعرف ببستان عبد المؤمن بن علي؛ لأنه هو أول من اتخذ البساتين في مراكش، ويبلغ طوله ثلاثة فراسخ⁽¹⁴⁾، وبلغ

(1) الحموي، معجم البلدان، ج5، ص(267، 277)؛ القزويني، آثار، ص276؛ انظر للمقارنة: كاتب مراكشي، ص(117، 118).

(2) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص412.

(3) م، ن، ج4، ص374؛ الحميري، ص460؛ انظر: مقديش، ج1، ص139.

(4) القزويني، آثار، ص200.

(5) م، ن، ص57؛ أبو الفداء، ص147؛ القلقشندي، صبح، ج5، ص108.

(6) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص125؛ انظر للمقارنة: كاتب مراكشي، ص112.

(7) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص374؛ أبو الفداء، ص141؛ القلقشندي، صبح، ج5، ص105.

(8) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص607؛ القلقشندي، صبح، ج5، ص106؛ مقديش، ج1، ص124؛ بونة: مدينة في

أفريقية تقع بين مرسى الخزر وجزائر بني مزغناي. انظر: كاتب مراكشي، ص127؛ الحموي، معجم البلدان، ج1، ص607.

(9) الحموي، معجم البلدان، ج3، ص76.

(10) القزويني، آثار، ص408.

(11) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص328؛ انظر للمقارنة: كاتب مراكشي، ص112.

(12) الرستاق: كلمة معربة، جمعها رساتيق، وتكتب بالزاي الرزداق، وتعني القرى والسواد، وقيل السطر من النخل. انظر:

ابن منظور، ج3، ص1640؛ فيروز آبادي، ج3، ص243.

(13) الحموي، معجم البلدان، ج3، ص217؛ القزويني، آثار، ص42؛ ابن الوردي، خريدة، ص(53، 54).

(14) الحموي، معجم البلدان، ج5، ص111؛ القزويني، آثار، ص112.

اهتمامه به أن استقدم إليه خبراء الزراعة من الأندلس، مما مكنه من زراعة أشجار أندلسية مثمرة لم يكن المغاربة يعرفونها⁽¹⁾.

ومن المحاصيل والمنتجات التي اشتهرت بها البلاد المغربية؛ الأشجار المثمرة، وفي مقدمتها الزيتون، وازدهرت زراعته في أفريقية عامة⁽²⁾، وبخاصة في مدينة سفاقس التي كانت تعد مصدراً أساسياً لهذا المنتج، مما مكنها من تصدير زيتها إلى بلدان مختلفة، نظراً لتمتعه بجودة عالية حتى تفوق على الزيت المشرقي، فصدر إلى مصر وصقلية وبلاد الروم⁽³⁾، واشتهرت قرى جبل الصيادة به، فضلاً عن اشتهار منزل المحقة الواقع بين تونس والقيروان بزراعته⁽⁴⁾، كما عرفت مدينة مكناسة بمكناسة الزيتون؛ نظراً لوفرتة فيها⁽⁵⁾. ومن المدن الأخرى التي اشتهرت بجودة زيتها؛ مدينة طرابلس⁽⁶⁾، ومسراته⁽⁷⁾، وجبال نفوسة⁽⁸⁾، فضلاً عن عن زراعته في قفصة⁽⁹⁾، وتمتع زيتها بمذاق ولون جيدين⁽¹⁰⁾، ثم جبال تينمل الواقعة على بعد ثلاث فراسخ من مراكش، التي اشتهرت بإنتاج كميات كبيرة من الزيت الحسن⁽¹¹⁾، وكذلك جزيرة جربة التونسية⁽¹²⁾.

(1) المراكشي، المعجب، ص142؛ انظر: أشباح، ص496، عبيدات، ص141.

(2) القزويني، آثار، ص148؛ الحميري، الروض، ص48.

(3) الحموي، معجم البلدان، ج3، ص252؛ انظر للمقارنة: الإدريسي، ج1، ص281؛ كاتب مراكشي، 117؛ التجاني، رحلة، ص68؛ مقديش، ج1، ص109.

(4) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص72؛ القزويني، آثار، ص174؛ انظر للمقارنة: البكري، ص39.

(5) الحموي، معجم البلدان، ج5، ص210؛ ابن سعيد، الجغرافيا، ص141؛ انظر للمقارنة: الإدريسي، ج1، ص244؛ أبو الفداء، ص123.

(6) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص257؛ ابن سعيد، الجغرافيا، ص145؛ الحميري، ص389؛ مقديش، ج1، ص129.

(7) ابن سعيد، الجغرافيا، ص146؛ الوزان، ص111.

(8) الحموي، معجم البلدان، ج5، ص343.

(9) م، ن، ج4، ص434؛ مقديش ج1، ص106.

(10) كاتب مراكشي، ص153؛ الوزان، ج2، ص146.

(11) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص80؛ ابن سعيد، الجغرافيا، ص125؛ انظر للمقارنة: الإدريسي، ج1، ص230.

(12) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص257؛ ابن سعيد، الجغرافيا، ص145؛ التجاني، ص122؛ الوزان، ج2، ص93؛ مقديش ج1، ص129.

وأما زراعة النخيل؛ فانتشرت في أفريقية⁽¹⁾، وخاصة أجدابية، التي تميزت بغناها بأصناف التمر المتنوعة⁽²⁾، وعلى الرغم من اتفاق بعض المصادر مع الحموي على غناها بالنخيل⁽³⁾؛ إلا أن الإدريسي ينفي ذلك، ويؤكد أنه لا ينبت فيها أي نوع من النباتات⁽⁴⁾. كما عدت أوجلة جنوبي برقة من أكثر بلاد المغرب نخيلاً، وأجودها تمراً، وكانت تصدره إلى بلاد السودان⁽⁵⁾، وزرع النخيل أيضاً في أكستلا، وأودغست⁽⁶⁾.

وتميزت مدينة سجلماسه بستة عشر نوعاً من التمر لا يشبه بعضها بعضاً⁽⁷⁾، وفضل تمرها على سائر تمر المغرب، حتى قيل فيه إنه يضاهي التمر العراقي، وكان فيها الرطب المسمى بالبرني، وتميز بلونه الأخضر وحلاوة طعمه، وصغر نواه⁽⁸⁾. واشتهرت بزراعة النخيل: طرابلس⁽⁹⁾، وقابس⁽¹⁰⁾، وكانت تنتج كميات كبيرة من التمر والرطب الذي لا يعدله شيء في طيب مذاقه⁽¹¹⁾، ومما تجدر الإشارة له أن قابس كانت تشبه بدمشق الشام، نظراً لخصوبة أراضيها، وتمتعها بثروة زراعية غنية⁽¹²⁾، وهذا ما جعل التجاني يصفها بجنة الدنيا، وينعتها بدمشق الصغرى⁽¹³⁾. ومن المدن الغنية بالنخيل مدينتي مرمى وسباب⁽¹⁴⁾، ومدينة آزقى⁽¹⁵⁾، واشتهرت بزراعته ودان التي كانت تعد بمثابة جزائر لزراعة النخيل⁽¹⁶⁾، ومن أجود

(1) القزويني، آثار، ص148؛ ابن سعيد، الجغرافيا، ص144؛ الحميري، ص48.

(2) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص125.

(3) البكري، ص4، ص10؛ كاتب مراكشي، ص144؛ الحميري، ص12.

(4) الإدريسي، ج1، ص311.

(5) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص126، 328؛ ابن سعيد، الجغرافيا، ص126؛ انظر للمقارنة: البكري، ص613؛

الإدريسي، ج1، ص312؛ الحميري، ص64؛ الوزان، ج2، ص109.

(6) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص285، 330؛ الحميري، ص63.

(7) الحموي، معجم البلدان، ج3، ص217؛ القزويني، آثار، ص42؛ ابن سعيد، الجغرافيا، ص124.

(8) الإدريسي، ج1، ص226؛ القلقشندي، صبح، ج5، ص164؛ الحميري، ص305؛ مقديش، ج1، ص56.

(9) ابن سعيد، الجغرافيا، ص145.

(10) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص328.

(11) الإدريسي، ج1، ص(279، 280)؛ التجاني، ص86؛ الوزان، ج2، ص91.

(12) أبو الفداء، ص143؛ القلقشندي، صبح، ج5، ص104.

(13) التجاني، ص86.

(14) الحموي، معجم البلدان، ج5، ص129.

(15) ابن سعيد، الجغرافيا، ص112؛ الحميري، ص28؛ مقديش، ج1، ص55.

(16) الحموي، معجم البلدان، ج5، ص421؛ ابن سعيد، الجغرافيا، ص127.

أجود أنواع التمر فيها البرني، وكان يصدر إلى الكثير من المناطق⁽¹⁾، وأما جزيرة جربه فاشتهرت هي الأخرى بكثافة أشجار النخيل فيها، حتى كان لا يكاد بيت يخلو من نخل مزروع⁽²⁾.

ثم تأتي بعد ذلك بلاد الجريد، التي اعتمد اقتصادها ومصدر رزق أهلها على زراعة النخيل وتصنيعه⁽³⁾، وكان عندهم أكثر من عشرة أصناف من التمر لا تشبه بعضها لا في الطعم الطعم ولا الصفات⁽⁴⁾، وبخاصة في مدينة بسكرة قاعدة بلاد الجريد⁽⁵⁾، التي احتوت بساكنيها على أجناس متنوعة من التمر، وأكثره النوع المعروف بالكسبا، وهو ما يسمى بالمشرق الصيحاني، وفيها جنس من التمر يعرف باللياري، وهو أبيض أملس⁽⁶⁾، وصدر التمر منها إلى بجاية⁽⁷⁾ وتونس⁽⁸⁾. وقيل فيه من الشعر:

(بحر الرجز)

ثم أتى بسكرة النخيل قد اغتدى في زيه الجميل⁽⁹⁾

وعدت كل من نفزواة⁽¹⁰⁾، وقسطيلية⁽¹¹⁾، في بلاد الجريد من المناطق الغنية بالتمور، وكان يصدر منها إلى سائر أنحاء أفريقية⁽¹²⁾، وكذلك مدينة قفصة التي عرفت

(1) اليعقوبي، البلدان، ص134؛ البكري، ص11؛ الإدريسي، ج1، ص115؛ أبو الفداء، ص127.

(2) ابن سعيد، الجغرافيا، ص112؛ شيخ الربوة، نخبة، ص234؛ التجاني، 122.

(3) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص502؛ انظر للمقارنة: الزهري، ص107؛ الوزان، ج2، ص142.

(4) الزهري، ص107؛ كاتب مراكشي، ص150.

(5) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص502. انظر للمقارنة: البكري، ص52؛ أبو الفداء، ص139.

(6) البكري، ص52؛ كاتب مراكشي، ص143؛ الحميري، ص114.

(7) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص403؛ الحميري، ص80.

(8) ابن سعيد، الجغرافيا، ص126.

(9) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص502؛ انظر للمقارنة: كاتب مراكشي، ص173؛ الفلقشندي، صبح، ج5، ص107.

(10) م. ن، ج5، ص341؛ الفزويني، آثار، ص278؛ نفزواة: مدينة في بلاد الجريد تقع بالقرب من القيروان. انظر: كاتب

مراكشي، ص157؛ الحموي، معجم البلدان، ج5، ص341.

(11) قسطيلية: مدينة في بلاد الجريد، من أرض الزاب الكبير. انظر: كاتب مراكشي، ص155؛ الحموي، معجم البلدان،

ج4، ص396.

(12) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص396؛ ابن سعيد، الجغرافيا، ص127؛ انظر للمقارنة: البكري، ص48.

نوعاً فريداً من التمر يسمى بيض الحمام⁽¹⁾، واشتهرت كل من مدينة نفوسة⁽²⁾، ومسراته بزراعته⁽³⁾، وعرفت كورة واركلان (ورجلان) الواقعة بين أفريقية وبلاد الجريد، باسم بلاد النخيل لكثرة نخيلها⁽⁴⁾.

وأشارت مصادر الدراسة إلى غنى بلاد المغرب بأصناف الفاكهة الأخرى وتوعها، كالتين الذي اشتهرت به العديد من المدن والمواقع، كمدينة تونس، التي ساد فيها الصنف المعروف بالتين الحازمي الأسود، المميز بحلاوة طعمه، ورقة قشره، وخلوه من البزر⁽⁵⁾، واشتهرت به أيضاً أكستلا⁽⁶⁾، وقلعة بني حماد⁽⁷⁾، وقفصه⁽⁸⁾.

واشتهرت تونس كذلك بزراعة الرمان، الذي يتصف بحلاوة الطعم، وخلوه من البزر، وكثرة الماء فيه⁽⁹⁾، واشتهرت به أيضاً أوجلة المعروفة بغناها بكافة أنواع الزرع، ويتميز رمانها رمانها بمذاقه المر⁽¹⁰⁾، وأما التفاح فانتشرت زراعته في مدينة فاس، وخاصة النوع المعروف باسم التفاح الأطرابلسي، ويتميز بجودة عالية، وهذا يعود لتمتع المنطقة بثروة مائية غنية، كعيون المياه والأنهار⁽¹¹⁾، وتميز تفاح جزيرة جربة⁽¹²⁾ عن سائر تفاح البلاد بصفائه، وطيب مذاقه، ورائحته العطرة⁽¹³⁾.

(1) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص434؛ ابن سعيد، الجغرافيا، ص126.

(2) الحموي، معجم البلدان، ج5، ص343.

(3) ابن سعيد، الجغرافيا، ص146.

(4) الحموي، معجم البلدان، ج5، ص427؛ ابن سعيد، الجغرافيا، ص126؛ انظر للمقارنة: الزهري، ص112؛ كاتب مراكشي، ص150؛ الحميري، ص600.

(5) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص71؛ القزويني، آثار، ص173.

(6) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص285.

(7) م، ن، ج4، ص443؛ الحميري، ص469.

(8) ابن سعيد، الجغرافيا، ص142.

(9) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص71؛ القزويني، آثار، ص173.

(10) ابن سعيد، الجغرافيا، ص127.

(11) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص261؛ القزويني، آثار، ص102؛ انظر للمقارنة: كاتب مراكشي، ص181؛ القلقشندي، صبح، ج5، ص154.

(12) ابن سعيد، الجغرافيا، ص145.

(13) البكري، ص19؛ التجاني، ص122؛ الوزان، ج2، ص93.

وكثرت زراعة الأعناب في بلاد المغرب، وبخاصة في سجلماسة⁽¹⁾، وبسبب وفرة إنتاجه؛ فقد اتجه أهلها إلى تحفيفه لإنتاج الزبيب المسمى بالظلي، لكونه لا يصير زيبياً إلا في الظل بعيداً عن الشمس⁽²⁾، ومن المواقع الغنية بالعنب؛ قلعة حماد، وقفصه⁽³⁾، ومراكش، على شاطئ نهر تانسفيت⁽⁴⁾، ونتيجة لوجود العنب في المغرب بكثرة فقد قام المغاربة بتحفيفه أسوة بسجلماسة آنفة الذكر، ومن المواقع التي نشطت في تصنيع الزبيب؛ جزيرتي جربة وقرقنة⁽⁵⁾، وطرابلس⁽⁶⁾، وأكستلا⁽⁷⁾. واشتهرت تونس بزراعة العناب⁽⁸⁾، وأما زراعة الموز فاقترنت على مدينة قابس دون غيرها من بلاد أفريقية، بالإضافة إلى غناها بالتوت، فتميزت بكثافة إنتاجه وجودته العالية، حيث كان يصنع الحرير من نتاج دودة الحرير⁽⁹⁾. وزرع السفرجل في برقة⁽¹⁰⁾، وتاهرت⁽¹¹⁾، إلا أن تونس تفوقت بزراعته على غيرها من المدن، فضلاً عن اشتهاها بالأترج⁽¹²⁾ ⁽¹³⁾، ومن النباتات التي عرفت بها بعض البلاد دون غيرها المصطكي⁽¹⁾، واشتهرت واشتهرت بزراعته جزيرة قوصرة⁽²⁾.

(1) الحموي، معجم البلدان، ج3، ص217؛ القزويني، آثار، ص42.

(2) البكري، ص138؛ كاتب مراكشي، ص200؛ الحميري، ص306.

(3) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص(434، 443).

(4) م، ن، ج3، ص217؛ القزويني، آثار، ص42؛ ابن سعيد، الجغرافيا، ص125؛ انظر للمقارنة: كاتب مراكشي، ص210؛ الحميري، ص127؛ الوزان، ج2، ص245.

(5) جزيرة قرقنة: في البحر المتوسط، تقابل صفاقس، على بعد عشرة أميال منها. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج4، ص374؛ الحميري، ص461.

(6) ابن سعيد، الجغرافيا، ص(144، 145).

(7) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص285.

(8) م، ن، ج2، ص71؛ القزويني، آثار، ص173.

(9) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص328؛ ابن سعيد، الجغرافيا، ص144، انظر للمقارنة: البكري، ص17؛ كاتب مراكشي، ص113؛ أبو الفداء، ص143؛ القلقشندي، صبح، ج5، ص104؛ الونشريشي، المعيار، ج5، ص59، 60؛ مقديش، ج1، ص107.

(10) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص462.

(11) م، ن، ج2، ص(8، 9)؛ القزويني، آثار، ص169؛ انظر للمقارنة: كاتب مراكشي، ص178؛ القلقشندي، صبح، ج5، ص111.

(12) الأترج: صنف من النباتات يشبه الليمون، وكان يسمى الكباد، وتفتح العجم، ويعد من أطيب الأصناف في المغرب، لا ينبت إلا في البلاد الحارة، ويستخدم للقضاء على الروائح الكريهة، وفي علاج الأمراض الجلدية، ولسع العقارب وإزالة الحبر. انظر: البيروني، الجماهر، ص212؛ القزويني، عجائب، ص289؛ ابن الوردي، ص329؛ فيروز أبادي، ج1، ص187.

(13) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص71؛ القزويني، آثار، ص173.

ومن نباتات بلاد المغرب: النبله⁽³⁾⁽⁴⁾، وزرع في قسطنطينية إلى جانب اشتهارها بزراعة الحلفاء⁽⁵⁾⁽⁶⁾، وأما الأراك⁽⁷⁾ فاشتهرت به أجدابية⁽⁸⁾، وتميزت أغمات شرقي مدينة مراكش، بفاكهة الصرود والجروم⁽⁹⁾، علاوة على اشتهار الكثير من المناطق المغربية بأشجار الفاكهة المتنوعة، والحمضيات ومنها واركلان، وقسطنطينية⁽¹⁰⁾.

أما المناطق المغربية التي اشتهرت باللوز؛ فأهمها برقة⁽¹¹⁾، وأوجلة التي كانت تصدره إلى مصر⁽¹²⁾، وعرفت تونس فاشتهرت نوعاً خاصاً من اللوز يعرف بالفريك، ويتميز بالمذاق الجيد⁽¹³⁾، وأما الجوز فكان يزرع في برقة⁽¹⁴⁾، وزرع الفستق في قفصه⁽¹⁵⁾، وخاصة في طراق

(1) المصطكي: شجر له ثمر يميل طعمه إلى المرار، يفرز مواد إما سائلة أو جامدة، ويستخرج منه صمغ يعلك، ويستخدم في صناعة الطيب، ويسمى أيضاً علك الروم. انظر: ابن بطوطة، رحلة، ج2، ص779؛ فيروز آبادي، ج3، ص329؛ المنجد، ص732؛ انظر: أبو مصطفى، تاريخ، ص343.

(2) ابن سعيد، الجغرافيا، ص144؛ جزيرة قوصرة: تلي مدينة مازر من صقلية. انظر: الحميري، الروض، ص485.

(3) النبله: وقيل النبله، وتعرف بالعظم، وتستخدم في الصباغة، وتصنع منها مادة النيلج المستخدمة في علاج الأورام، والكلف والبهق، وقطع دم الطمث. انظر: فيروز آبادي، ج4، ص63؛ الوزان ج2، ص120.

(4) ابن سعيد، الجغرافيا، ص127.

(5) الحلفاء: نوع من النبات البحري، له أطراف محددة كأنها سعف النخل. انظر: الرازي، ص78؛ فيروز آبادي، ج3، ص134؛ معلوف، معجم، ص136.

(6) ابن سعيد، الجغرافيا، ص127.

(7) المصطكي: يعرف بالمحلب، واسم شجرته اليسر، ومنها يؤخذ عود اليسر المستخدم في الطيب، وهو نفسه العود المستخدم في السواك. انظر: الرازي، ص17؛ فيروز آبادي، ج3، ص301؛ انظر: أبو مصطفى، تاريخ، ص148.

(8) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص125.

(9) م، ن، ج1، ص266؛ القلقشندي، صبح، ج5، ص171.

(10) ابن سعيد، الجغرافيا، ص(126، 127).

(11) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص462.

(12) ابن سعيد، الجغرافيا، ص127.

(13) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص71؛ القزويني، آثار، ص173.

(14) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص462.

(15) ابن سعيد، الجغرافيا، ص127.

وهي أحد قصور قفصة الواقعة بينها وبين القيروان⁽¹⁾، واقتصرت زراعته فيها دون غيرها من المدن المغربية، وكان يصدر منها إلى سجلماسة وسائر أنحاء بلاد المغرب والأندلس⁽²⁾.

وانتشرت زراعة قصب السكر في العديد من المناطق في المغرب، وخاصة في مدينة قابس على الساحل الشرقي التونسي⁽³⁾، وزرع أيضاً في حوض نهر السوس⁽⁴⁾⁽⁵⁾، وفي درعه الواقعة على بعد أربعة فراسخ غربي سجلماسة، ويتميز بقسوته⁽⁶⁾، وزرع القصب في حصن طبرقة على الساحل بالقرب من باجة، وخاصة الصنف المعروف بالقصب الفارسي، وكان ينقل منها إلى تونس⁽⁷⁾، ويبدو أن هذا النوع من القصب جلب إلى المغرب من بلاد فارس، وأما الزعفران⁽⁸⁾، فزرع في مدينة مجانة بالقرب من القيروان⁽⁹⁾.

وزرع القطن بكثرة في بعض البلاد المغربية، وبخاصة على جبال الرحمة شرقي بجاية، وفي قوصرة⁽¹⁰⁾، وزرع الكتان⁽¹¹⁾ في قسطينية دون غيرها من البلاد المغربية⁽¹²⁾، والحناء⁽¹⁾

(1) الحموي، معجم البلدان، ج 4، ص 31؛ انظر للمقارنة: البكري، ص 47.

(2) الحموي، معجم البلدان، ج 4، ص 434؛ ابن سعيد، الجغرافيا، ص 126. انظر للمقارنة: البكري، ص 47؛ أبو الفداء، ص 143؛ القلقشندي، صبح، ج 5، ص 107.

(3) الحموي، معجم البلدان، ج 4، ص 328.

(4) نهر السوس: ينبع من جبل درن جنوبي بلاد المغرب الأقصى ويصب في المحيط الأطلسي عند بلاد نول، ويطلق على المنطقة المحيطة به بلاد السوس. انظر: كاتب مراكشي، ص 211؛ الوزان، ج 2، ص 254.

(5) ابن سعيد، الجغرافيا، ص 123.

(6) الحموي، معجم البلدان، ج 2، ص 513؛ الحميري، ص 235.

(7) الحموي، معجم البلدان، ج 4، ص 18؛ ابن سعيد، الجغرافيا، ص 143؛ الحميري، ص 387.

(8) الزعفران: نبات بصلي من فصيلة السوسانيات، والجزء الفعال فيه أعضاء التلقيح، وتسمى السمات، وتنزع من الزهور المتفتحة، وتجفف في الظل، ولونها أحمر برتقالي وذات رائحة نفاذة وطعم مميز، وزراعة الزعفران من النباتات المكلفة مادياً وفنياً وتقنياً، والزعفران يقوي القلب ويورث البهجة، ويستخدم في الاكتحال وإدرار الطمث والإسراع بالولادة، ويدخل كصبغة صفراء في تلوين العجائن. انظر: ابن الوردي، ص 77؛ فيروز آبادي، ج 2، ص 40، انظر: عطية الله، القاموس، ج 3، ص 63؛

(9) الحموي، معجم البلدان، ج 5، ص 67؛ القزويني، آثار، ص 260؛ انظر للمقارنة: الإدريسي، ج 1، ص 293.

(10) ابن سعيد، الجغرافيا، ص (142، 144).

(11) الكتان: نبتة تستخدم لتصنيع الثياب الناعمة، وينفع دخانه في علاج الزكام، وأما بذره فيستخدم كمسكن للأوجاع، ويعالج بعض الأمراض الجلدية كالكلف. انظر: القزويني، عجائب، ص 330؛ فيروز آبادي، ج 4، ص 264.

(12) ابن سعيد، الجغرافيا، ص (124، 127).

في درعة، وكانت تختص بتصديره إلى سائر البلاد المغربية⁽²⁾، وأشار ابن سعيد إلى وجوده في ، إلى بلاد المغرب جانب نبات يعرف آخر باسم حب عزيز⁽³⁾، ومن النباتات التي زرعت في المغرب: البصل، وقد اختصت تونس بصنف خاص منه عُرف بالبصل العلوري، الذي تميز بمذاقه الحلو⁽⁴⁾.

وعرفت الكثير من المناطق المغربية بوفرة غلات القمح والشعير، وبخاصة في باجة، حيث راجت زراعة القمح، فسميت باجة القمح، وفيها من القمح والشعير ما ليس في بلاد المغرب كلها نظراً لكثرتيه وجودته⁽⁵⁾، وزرع القمح أيضاً في أودغست بالاعتماد على أمطار الصيف⁽⁶⁾. وفي الوقت الذي اشتهرت فيه مكناسة هي الأخرى بزراعة القمح؛ فقد اشتهرت نفوسة بالشعير⁽⁷⁾، ذي الجودة العالية، وكان لأهلها خبرة في صنعه، ويعد عندهم من أحسن الأطحمة⁽⁸⁾. ومن المواقع التي اشتهرت بالحنطة؛ تامدنت الواقعة بين جبلين من نواحي أفريقيا⁽⁹⁾، وكذلك ناحية كدال الجبلية، "والحنطة إذا زرعت فيها تريح ريعاً فرطاً حتى إن الإنسان إذا زرع في بعض الأعوام مكوكاً⁽¹⁰⁾ ربما جاء بخمسائة مكوك إلى الألف"⁽¹¹⁾. واشتهرت فاس بالحنطة، والسميد الطيب، جيد الصنع⁽¹²⁾. وتميزت بعض المناطق المغربية

(1) الحناء: من النباتات العطرية، زهره أبيض كالعناقيد، ويستخدم في الخضاب الأحمر، وقد جلبه الأندلسيون من المشرق.

انظر: فيروز آبادي، ج 1، ص 13؛ أبو مصطفى، تاريخ، ص 147.

(2) ابن سعيد، الجغرافيا، ص (124، 127).

(3) م، ن، ص 144.

(4) الحموي، معجم البلدان، ج 2، ص 71؛ القزويني، آثار، ص 173.

(5) الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 330، 374. انظر للمقارنة: البكري، ص 56؛ كاتب مراكشي، ص 167؛ الإدريسي،

ص 167؛ شيخ الربوة، ص 237؛ الحميري، ص 75؛ مقديش، ج 1، ص 123.

(6) الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص (330، 374)؛ أبو الفداء، ص 135.

(7) الحموي، معجم البلدان، ج 5، ص (210، 343).

(8) الحميري، ص 578.

(9) الحموي، معجم البلدان، ج 2، ص 15؛ انظر للمقارنة: البكري، ص 53؛ الإدريسي، ج 1، ص 292.

(10) المكوك: وحدة للكيل، كان العرب والمسلمون يتعاملون بها، وهو يعادل الصاع النبوي ونصف، أو 8 أرطال بغدادية،

والرطل البغدادي يعادل 130 درهم. انظر: هنتس، ص (78، 79)؛ فاخوري، ص (339، 340).

(11) الحموي، معجم البلدان، ج 4، ص 501؛ القزويني، آثار، ص 244.

(12) الحموي، معجم البلدان، ج 4، ص 261؛ القزويني، آثار، ص 102؛ انظر للمقارنة: كاتب مراكشي، ص 181؛

القلقشندي، صبح، ج 5، ص 154؛ مقديش ج 1، ص 69.

بدرجات حرارة عالية، وأمطار صيفية مما زاد من محاصيل الحبوب فيها، كأودغست التي اشتهرت بحبوب اللوبيا والذرة⁽¹⁾، وأما باجة فتميزت بزراعة الحمص والفول، وقلما وجد مثلها في تلك البلاد⁽²⁾.

واشتهرت بعض المناطق بتنوع أصناف الرياحين فيها، ومنها موضع الملعب في غربي جبل الصيادة في تونس⁽³⁾، واشتهرت بكثرة أصنافه جزر الخالدات، التي سميت أيضاً جزر السعادة لتمتعها بثروة زراعية غنية⁽⁴⁾، وعرفت بلاد الجريد بالمشمومات⁽⁵⁾⁽⁶⁾، وخاصة قفصة، التي اشتهرت بزراعة البنفسج⁽⁷⁾ والعنصل⁽⁸⁾.

وأشارت مصادر الدراسة الى الثروة الحيوانية البرية والبحرية التي كانت تتمتع بها بلاد المغرب، فتميزت بتنوعها، وكانت تستخدم في الكثير من مظاهر حياة الناس؛ كوسيلة للنقل، ومصدر للقوت والمأكّل، وعلاوة على ذلك؛ فقد اعتمدوا عليها في صناعتهم. ومن المناطق التي اهتم أهلها بتربية المواشي، وبخاصة الماعز؛ جزيرة جالطة الواقعة على مرسى طبرقه⁽⁹⁾، فسميت بجزيرة الغنم لكثرتة فيها، مع العلم أنه لم يكن يذبح فيها الغنم إلا نادراً⁽¹⁰⁾، ومن أنواع الماعز فيها، الحيوان المعروف بالمعز الجبلي، شبيه البقر الوحشي، متشعب القرون، ويسمى بالفارسية كوزن، ومنة عدة أصناف، كأيل آدم وهذا ما يعرف عند العرب، وأيل المسك، والأيل

(1) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص330؛ أبو الفداء، ص125؛ القلقشندي، صبح، ج5، ص172.

(2) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص374. انظر للمقارنة: البكري، ص85؛ كاتب مراكشي، ص167؛ الإدريسي، ج1، ص190؛ الحميري، ص75.

(3) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص71.

(4) م، ن، ج2، ص154؛ القزويني، آثار، ص504.

(5) المشمومات: وهي تعريب لكلمة المسك الفارسية، وهو ما يشتم من الروائح الطيبة. انظر: فيروز آبادي، ج4، ص138.

(6) ابن سعيد، الجغرافيا، ص126؛ أبو الفداء، ص143؛ القلقشندي، صبح، ج5، ص107.

(7) البنفسج: زهرة تنبت في الظل، ويستخدم دهنها لعلاج بعض الأمراض كالصداع الدموي، والزكام والاختناق. انظر: القزويني، عجائب، ص312؛ البستاني، ج5، ص(616، 617).

(8) ابن سعيد، الجغرافيا، ص126؛ أبو الفداء، ص143؛ القلقشندي، صبح، ج5، ص107.

(9) القزويني، آثار، ص175.

(10) شيخ الربوة، ص142.

الأحمر، وكان المغاربة يستخرجون من مواد طبية لعلاج بعض الأمراض الجلدية، وإبطال مفعول السموم، وبخاصة سم الأفعى⁽¹⁾.

واشتهرت كثير من المدن المغربية بتربية الخيول، وبخاصة مدينة تلمسان، التي عرفت بالصنف المعروف باسم الخيل الراشدي، وكان يفضل على سائر الخيول⁽²⁾، كما كثرت تربيتها في جبال فازار⁽³⁾ في بلاد المغرب⁽⁴⁾، وخیل هذه الجبال من أعتق الخيول، وهي مدورة القدور، القدور، حسنة الخلق والأخلاق⁽⁵⁾، وعرف أهالي جبل أوراس بكثرة تربية هذا النوع من الحيوانات⁽⁶⁾، كما عرفت مسراته بوفرته فيها حتى أن العديد من مناطق المغرب كانت تصدرها تصدرها إلى مصر وغيرها⁽⁷⁾.

وإلى جانب غنى بلاد المغرب بالمواشي والخيول؛ انتشرت فيها بعض الحيوانات البرية المفترسة كالأسود، وبخاصة في آجر بالقرب من القيروان، ولهذا اعتبرت مأسدة الأسود⁽⁸⁾، وأما كاكدم نوع من الطباء المعروف باسم اللطم، ووصفه الحموي بأنه أعظم خلقاً من الطبي، لونه أبيض، يتخذ من جلده الدرق⁽¹²⁾⁽¹⁾، ووصف ابن سعيد صبره على العطش، وشبهه بالغزال لكنه

(1) القزويني، عجائب، ص413؛ معلوف، ص83.

(2) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص52؛ القزويني، آثار، ص177.

(3) جبال فازار: الجبال الممتدة من جنوب مكناسة إلى وادي ملوية، على بعد مائة كيلومتر جنوبي مكناسة. انظر: كاتب مراكشي، ص164؛ الحميري، ص435.

(4) ابن سعيد، الجغرافيا، ص141.

(5) كاتب مراكشي، ص187.

(6) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص330؛ ابن سعيد، الجغرافيا، ص145؛ انظر للمقارنة: كاتب مراكشي، ص164.

(7) ابن سعيد، الجغرافيا، ص146.

(8) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص127؛ القزويني، آثار، ص139.

(9) تنس: مدينة بين وهران ومليانة، تقع في آخر أفريقية، على بعد ميلين من البحر المتوسط. انظر: كاتب مراكشي، ص133؛ الحموي، معجم البلدان، ج2، ص56.

(10) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص56؛ القزويني، آثار، ص173.

(11) القزويني، آثار، ص242.

(12) الدرق: نوع من الترسة، تصنع من الجلود بعد نقعها في الحليب لمدة سنة كاملة، فلا تخترقها السيوف البتارة. انظر: ابن منظور، ج10، ص95؛ فيروز آبادي، ج3، ص238.

لكنه أغلظ⁽²⁾، ووجد هذا النوع في الصحراء الواقعة بين سجلماسة وغانا⁽³⁾، وخاصة مدينة أزقي الواقعه على مقربة من مدينة سجلماسة⁽⁴⁾.

ومن الحيوانات البرية التي أتت عليها المصادر الجغرافية حيوان الفنك الذي كان يصطاد في بلاد المغرب الأدنى⁽⁵⁾، وهو حيوان يشبه الغزال⁽⁶⁾، وتصنع من فرائه الملابس، ويعد من أطيب أنواع الفراء وأجودها⁽⁷⁾، وكان يتواجد بكثرة أيضاً في بلاد السوس، ومنها يصدر إلى كافة البلاد⁽⁸⁾. ومن الزواحف التي انتشرت بكثرة: الأفاعي، وخاصة في جبل اللماع الواقع شرق كاكدم، وإلى الشمال من جبل كزولة، وفي سجلماسة أيضاً، وتميزت بتنوع ألوانها ولمعانها⁽⁹⁾، وأما عن الحشرات، فانتشرت في القيروان⁽¹⁰⁾، وفي تنس، وبخاصة البراغيث، حتى قال فيها من زارها:

(البحر الخفيف)

سقى الله بلدة كنت فيها البراغيث كلهم أكلوني !
قرصوني حتى تنمر جلدي لو خلعت الثياب لم تعرفوني⁽¹¹⁾

ومن الحشرات التي عرفت بها البلاد المغربية: دود القرمز، وهو أحمر اللون، يتطفل على نوع من أشجار البلوط يطلق عليه أمارة القرمز، مكونة مادة القرمز الحمراء، وهو الصبغ

(1) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص490؛ القزويني، آثار، ص58.

(2) ابن سعيد، الجغرافيا، ص113.

(3) غانا: مدينة وبلاد واسعة تقع بلاد في السودان، على بعد مسيرة شهرين من سجلماسة. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج4، ص208؛ الحميري، ص425.

(4) ابن سعيد، الجغرافيا، ص113؛ الحميري، ص144.

(5) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص271؛ شيخ الربوة، ص234.

(6) شيخ الربوة، ص238.

(7) البكري، ص171؛ الزهري، ص118؛ الحميري، ص47؛ الرازي، ص243؛ فيروز آبادي، ج3، ص327.

(8) كاتب مراكشي، ص214.

(9) ابن سعيد، الجغرافيا، ص(112، 124).

(10) القزويني، آثار، ص242.

(11) م، ن، ص173.

الوحيد غير النباتي الذي كان يستخدم للصبغة⁽¹⁾، واشتهرت بتربية هذا النوع من الدود مدينة سجلماسة⁽²⁾، ومن الطيور: الزرازير، ومفردها زرزور لزورته ولحن صوته المميز وكان يكثر وجودها في تونس وخاصة المحقة⁽³⁾، وهو طائر من نوع العصفور وسمي بذلك لزورته لزورته أي لتصويته⁽⁴⁾.

وإلى جانب كل ما ذكر؛ نظراً لطول سواحلها، وكثرة أنهارها وبحيراتها، فقد تمتعت البلاد المغربية بثروة مائية متنوعة، ومنها الحيوان البحري الذي يأخذ شكل النبات، المعروف بالمرجان⁽⁵⁾، ويتميز بقصر قامه، ومنه عدة ألوان: الأبيض، والأحمر، والأسود، ويستخدم في علاج أمراض العيون، ومن المدن التي اشتهرت باستخراجه من البحر مرسى الخزر الواقعة إلى الشمال من باجة، وكان أهلها يستخرجوه بوساطة قطعة خشبية على شكل الصليب، يربط بها حجر، ثم يرسل إلى قاع البحر بحبل، ويتم اقتلاعه، واعتمد عليه أهل المرسى بشكل أساسي في حياتهم⁽⁶⁾.

واشتهرت بلاد المغرب بوفرة ثرواتها السمكية، ولا بد من الإشارة إلى أن المغاربة كانوا يستخدمون مصطلح الحوت للإشارة إلى السمك بشكل عام⁽⁷⁾، ومن المناطق التي تميزت بوفرة ثروتها بحيرة بنزرت القريبة من مدينة بنزرت، بالقرب من تونس، وكان السلطان يضمنه باثني عشر ألف دينار⁽⁸⁾، وفيها اثنا عشر صنفاً من السمك على عدد أشهر السنة، تختلف من

(1) فيروز آبادي، ج1، ص194؛ الونشريشي، ج1، ص91؛ أرسلان، الحلل، ص232؛ معلوف، ص71؛ الدوري، تاريخ، ص107؛ أبو مصطفى، تاريخ، ص191.

(2) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص261.

(3) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص72؛ القزويني، آثار، ص174.

(4) القزويني، عجائب، ص451؛ الدميري، حياة، ص5.

(5) ابن منظور، ج13، ص406؛ فيروز آبادي، ج1، ص214؛ القزويني، عجائب، ص(273، 274).

(6) الحموي، معجم البلدان، ج5، ص125؛ القزويني، عجائب، ص273؛ ابن الوردي، ص300؛ أبو الفداء، ص(197، 198).

(7) العبادي، مشاهدات، ص75؛ أبو مصطفى، تاريخ، ص195.

(8) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص592؛ القزويني، آثار، ص(148، 159)؛ ابن سعيد، الجغرافيا، ص143؛ الحميري، ص104.

شهر إلى آخر، وتتميز بطعمها الطيب، وهي البوري، القاجوج، المجل، الطلنطة، الإشبيلينات، الشلبة، القاروص، اللاج، الجوجة، الكحلاء، والطنفلوا، والقالا⁽¹⁾.

ووجد سمك البوري، المتميز بطعمه الجيد، وحجمه الكبير في مياه نهر باجة⁽²⁾، كما تميزت بحيرة تونس بأصناف مختلفة من الأسماك، خاصة الصنف المعروف باسم البقونس، حتى ضرب فيه المثل القائل: "لولا البقونس لم يخالف أهل تونس"⁽³⁾، فضلاً عن اشتهاها بأصناف أخرى كالعبانف، الاكثوبري، الاشبارس، المنكوس⁽⁴⁾، وتجدر الإشارة إلى أن غالبية أسماك بحيرة تونس مصدرها بحيرة بنزرت⁽⁵⁾.

واشتهر نهر المعمورة⁽⁶⁾ بالسمك المعروف بحوت السائل، وهذا النوع من الأسماك الطيبة، يتجمع عند اختلاط الماء المالح بالحلو، ويصدر منه إلى الكثير من الأقطار⁽⁷⁾، ومن الأسماك ذات القيمة الغذائية التي اشتهرت بها المياه المغربية؛ حوت موسى الذي كان يشكل ثروة بحرية لتجار سبتة، وسمي بهذا الاسم نسبة للنبي موسى عليه السلام⁽⁸⁾.

الثروات الزراعية والحيوانية في بلاد الأندلس

لم يكن الازدهار الزراعي في الأندلس أقل شأنًا مما كان عليه الحال في المغرب، وأشارت مصادر البلاد الأندلسية كانت تزخر بشتى أنواع الأشجار المثمرة، والحبوب، والرياحين، والقطن والكتان وغيرها، وذلك نظراً لاشتمالها على أراضٍ واسعة تلائم شتى أصناف المزروعات، ولوفرة المياه التي تحملها الأنهار الكثيرة دائمة الجريان، فضلاً عن توفر مصادر المياه المختلفة الأخرى، كالأبار والعيون والسواقي والينابيع والجداول والقناطر. وكان

(1) الإدريسي، ج1، ص289؛ الحميري، ص104؛ مقديش، ج1، ص122.

(2) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص374؛ القزويني، آثار، ص542؛ انظر للمقارنة: كاتب مراكشي، ص126.

(3) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص72؛ القزويني، آثار، ص174؛ الحميري، ص143؛ انظر: طه، حياة، ص201.

(4) البكري، ص41.

(5) كاتب مراكشي، ص125.

(6) نهر المعمورة: يسمى نهر سبو، ويمر من مدينة فاس. انظر: الزهري، ص140؛ كاتب مراكشي، ص184.

(7) ابن سعيد، الجغرافيا، ص138.

(8) القزويني، آثار، ص534؛ انظر للمقارنة: الزهري، ص58؛ ابن الوردي، ص241.

لتميز البلاد الأندلسية بأنماط مناخية وتضاريسية متنوعة دور كبير في زيادة الإنتاج الزراعي وتنوعه. وأجمعت المصادر التاريخية على ذكر ذلك، فقول: "الأندلس شامية في طبيعتها وهوائها، يمانية في اعتدالها واستوائها، هندية في عطرها وذكائها، أهوازية⁽¹⁾ في عظم جبايتها، صينية في جواهر معادنها"⁽²⁾.

وكانت الأراضي المزروعة في الأندلس تنقسم إلى نوعين: أحدهما أراضٍ تزرع دون ري اعتماداً على مياه الأمطار (زراعة بعلية)، في قسم محدود من الأندلس⁽³⁾، كإقليم الشرف، المشرف على مدينة أشبيلية⁽⁴⁾. وأما النوع الآخر فيعتمد على مياه الأنهار والآبار، وينتشر هذا النوع على مساحة واسعة، ومن أجل ضمان تطبيقه؛ حفر الأندلسيون القنوات والترع لتوصيل المياه إلى الأراضي، وأقاموا السدود، وبنوا الخزانات والصهاريج لحفظ المياه والانتفاع بها وقت الحاجة⁽⁵⁾.

ومن المدن التي اعتمدت الزراعة فيها على مياه الأنهار بالإضافة إلى مياه الأمطار: إشبيلية وقرطبة وغرناطة ولوشة وأستجة، حيث تجري في أراضيها مياه نهر الوادي الكبير، بفروعه المختلفة كحدرة وشنيل⁽⁶⁾. وازدهرت الزراعة في مدينة شنترين، لجريان مياه نهر تاجة تاجة في أراضيها⁽⁷⁾، واعتمدت عليه في ري مزارعها مدينة طلبيرة القريبة من طليطلة⁽⁸⁾، وأما مدينة شذونة القريبة من إشبيلية وما حولها من الأراضي فرويت من مياه نهري بيطة ولكة⁽⁹⁾، واعتمد زرع رندة⁽¹⁰⁾ على نهر البرادة الواقع على بعد فرسخين منها، ويتميز هذا النهر

(1) الأهواز: ناحية بين البصرة وفارس، ويقال لها خوزستان. انظر: القزويني، آثار، ص152؛ الحميري، ص61.
(2) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص(311، 313)؛ القزويني، آثار، ص503؛ الزهري، ص80؛ الحميري، السروض، ص(32، 34)؛ المقري، ج1، ص(128، 129).

(3) ابن العوام، الفلاحة، ج1، ص5؛ انظر: أبو مصطفى، تاريخ، ص104.

(4) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص232، ج3، ص381؛ القزويني، آثار، ص497؛ الفلقشندي، صبح، ج5، ص225.

(5) ابن العوام، ج1، ص5؛ انظر: أبو مصطفى، تاريخ، ص104.

(6) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص207، ص(231، 232)؛ ج4، ص221؛ ج5، ص31؛ القزويني، آثار، ص547.

(7) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص231، ج3، ص416.

(8) م، ن، ج4، ص(43، 45).

(9) م، ن، ج4، ص441.

(10) رندة: مدينة من أعمال تاكرنا. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج3، ص84؛ الحميري، ص269.

النهر بجريانه الذي يستمر من أول الربيع إلى آخر الصيف، في حين يجف من بداية الخريف حتى أول الربيع⁽¹⁾، إلى جانب اعتمادها على مياه النهر المعروف باسمها، ويتميز هذا النهر بأنه بأنه يجري داخل غار قبل خروجه على سطح الأرض⁽²⁾، علاوة على ذلك توفرت مياه الأنهار في الكثير من المناطق، ومنها بيانة من أعمال قرطبة⁽³⁾، وكذلك كل من البيرة وبلنسية وتطيلة⁽⁴⁾، سرقسطة القريبة من تطيلة⁽⁵⁾، وبلد الوليد شمال غرب طليطلة⁽⁶⁾.

وبالإضافة إلى الأنهار؛ فقد اعتمد أهالي بعض المدن في ريهم على العيون والآبار، كمدينة شذونة وما حولها⁽⁷⁾، وفي بلقوار⁽⁸⁾، وعين أرتانة التابعة لبلنسية، وفي هذه العين حوض حوض لتجميع المياه⁽⁹⁾، وكان لدى زراع الأندلس خبرة ودراية بالأماكن التي ينبغي أن تحفر فيها الآبار، إذ كانوا يحفرونها في أغسطس وسبتمبر، وهي فترة تتميز بالجفاف في الأندلس، ولزيادة كمية المياه والتقليل من عمق البئر؛ اعتادوا أن يحفروا بجانب البئر الأول بئراً أخرى على مسافة ذراع واحد يصل عمقه إلى نصف البئر الأول، ثم بئراً ثالثة على مسافة ذراع من البئر الثانية، ولها من العمق نصف عمق الثانية، وبنفس الطريقة كانوا يحفرون الرابعة، وكانت في العادة أقل عمقاً من الثالثة، ويربطون بين الآبار بقنوات في القاع لتتقل المياه من بئر إلى أخرى⁽¹⁰⁾.

وعني أهل الأندلس بتنظيم وسائل الري، وذلك بإنشاء الجسور والقناطر والسدود، وحفر الترغ، والقنوات التي لا حصر لها في مختلف الأنحاء؛ نظراً لكثرة أنهارها، وكان جزء منها

(1) القزويني، آثار، ص 532.

(2) الحموي، معجم البلدان، ج 3، ص 84؛ القزويني، آثار، ص 532.

(3) الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 615.

(4) م، ن، ج 1، ص 581، ج 1، ص 289، ج 2، ص 39.

(5) م، ن، ج 3، ص 240.

(6) ابن سعيد، الجغرافيا، ص 179.

(7) الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 251.

(8) القزويني، آثار، ص 512؛ بلقوار: من قرى تدمير.

(9) م، ن، ص 494.

(10) ابن العوام، ج 1، ص 143؛ انظر: أبو مصطفى، تاريخ، ص 108.

قائماً على أقواس، كقنطرة طليطلة⁽¹⁾ على نهر تاجه، وقنطرة قرطبة والعديد من الجسور والقناطر التي شيدت على نهر الوادي الكبير⁽²⁾، وكان الأندلسيون قد اقتبسوا بناء الجسور عن النظام الروماني⁽³⁾.

وأما السواقي على جداول الأنهار والقنوات فكانت تسقي مناطق واسعة من الأندلس، وساعدت إلى حد كبير على ازدهار الزراعة، ويشير الحموي إلى اعتماد مدينة باغة الواقعة بين قبلي البيرة وقرطبة على السواقي المقامة على جداول المياه⁽⁴⁾، واعتمدت غرناطة هي الأخرى على سواقي نهري حدره وشنيل⁽⁵⁾، وتتبع الإشارة إلى أن الأندلسيين قد أقاموا الكثير من الصهاريج أو البرك لخصن مياه الأمطار؛ للانتفاع بها في الشرب والري وقت الجفاف⁽⁶⁾.

وبسبب توفر المياه والأراضي الخصبة؛ فقد نشط الأندلسيون في زراعة الأشجار المثمرة، والفواكه، والحبوب، والنباتات الصناعية، علاوة على الأزهار والتوابل، ولعل من أهم الأشجار المثمرة: الزيتون، ونظراً لأهميته ووفرته؛ فقد امتلك الأندلسيون الكثير من معاصر الزيتون التي كانت تدار بقوة المياه أو الدواب، وتمكنوا من تطوير أساليب استخلاص الزيت، الذي امتاز بجودته، وكان يعد من السلع الأندلسية المهمة التي يكثر عليها الطلب في بلاد المشرق والمغرب⁽⁷⁾.

وحظيت إشبيلية بشهرة واسعة في زراعة الزيتون واستخراج الزيت⁽⁸⁾، وأقيمت فيها آلاف المعاصر، وتميز زيتونها عن غيره بجودته وغناه بالزيت، فضلاً عن مذاقه الذي لا يتغير بسبب تخزينه لفترة طويلة، وكان الزيت الإشبيلي يصدر إلى البلاد الإسلامية الواقعة في حوض

(1) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص45؛ الحميري، صفة، ص85؛ مقديش، ج1، ص156.

(2) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص369؛ القزويني، آثار، ص552؛ ابن الوردي، ص(63، 73)؛ مقديش، ج1، ص158.

(3) سالم، ص222؛ أبو مصطفى، تاريخ، ص112.

(4) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص(387، 388).

(5) م، ن، ج4، ص221؛ القزويني، آثار، ص547.

(6) ابن العوام، ج1، ص5؛ انظر: أبو مصطفى، تاريخ، ص(107، 108).

(7) الإدريسي، ج2، ص541؛ انظر: أبو مصطفى، تاريخ، ص240.

(8) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص232؛ القزويني، آثار، ص497.

المتوسط، ولذلك عدت من أهم مراكز إنتاج الزيت وتصديره⁽¹⁾، وانتشر في ما يجاورها من المناطق خاصة في إقليم الشرف الواقع إلى الغرب من إشبيلية، الذي كان يحتوي على قرى كثيرة مليئة بأشجار الزيتون، وكان أهلها يعدون الزيتون مصدراً للتباهي والتفاخر⁽²⁾. واشتهرت مناطق أخرى به، مثل كورة موزور الواقعة على بعد عشرين فرسخاً من قرطبة⁽³⁾، ومدينتنا أفراغه⁽⁴⁾ وقبرة الواقعتان قرب قرطبة⁽⁵⁾، وفي مدينة لورقة⁽⁶⁾ وخاصة في وادي الثمرات⁽⁷⁾، الثمرات⁽⁷⁾، وفي غرناطة⁽⁸⁾.

وحول زراعة النخيل في الأندلس؛ فقد أشار القزويني إلى أنها لم تنجح على نطاق واسع إلا في ألس⁽⁹⁾، وأفاد ابن الفقيه أن زراعة النخيل في الأندلس قليلة⁽¹⁰⁾، وعلى الرغم من ذلك؛ فإن القزويني قد اتفق مع الحموي على أن النخيل كان يزرع في مدينة جيان الواقعة شرقي قرطبة⁽¹¹⁾. وأما البلوط فاشتهر به فحص البلوط القريب من قرطبة وعرف بأسمه⁽¹²⁾، وشلوبينية القريبة من البيرة⁽¹³⁾، وكان يستخدم خشب البلوط في عمل الفحم النباتي الذي كان يستعمل وقوداً

(1) الإدريسي، ج2، ص541؛ الحميري، صفة، ص14؛ المقرئ، ج1، ص139؛ مقديش، ج1، ص161؛ انظر: السيد، تاريخ، ص134.

(2) الحموي، معجم البلدان، ج3، ص381؛ مقديش، ج1، ص161.

(3) الحموي، معجم البلدان، ج5، ص257.

(4) م، ن، ج1، ص269؛ القزويني، آثار، ص549؛ الحميري، صفة، ص17.

(5) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص(346، 347)؛ القزويني، آثار، ص549؛ الحميري، صفة، ص98.

(6) لورقة: قاعدة كورة تدمير. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج5، ص30؛ الحميري، الروض، ص512.

(7) القزويني، آثار، ص556.

(8) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص221؛ القزويني، آثار، ص547.

(9) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص291؛ القزويني، آثار، ص502؛ ألس: من مدن كورة تدمير، وتبعد عن أربولة خمسة

عشر ميلاً. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج1، ص291؛ الحميري، الروض، ص30.

(10) ابن الفقيه، البلدان، ص139.

(11) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص226؛ القزويني، آثار، ص512؛ الحميري، صفة، ص72.

(12) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص583؛ انظر للمقارنة: الإدريسي، ج2، ص574؛ الحميري، صفة، ص92.

(13) الحموي، معجم البلدان، ج3، ص408.

ولأغراض التدفئة في المنازل⁽¹⁾. وزرع شجر الصنوبر في يابسة⁽²⁾، ويعد من أجود شجر الصنوبر الذي يستخدم في تصنيع المراكب⁽³⁾. وزرع الساج⁽⁴⁾ في جبال طرطوشة⁽⁵⁾.
وأما زراعة التفاح فكانت تنتشر في مدينة شنترة⁽⁶⁾، وإنتاجها منه كبير⁽⁷⁾، واشتهر به جبل شلير، المعروف بجبل الثلج، الواقع بالقرب من البيرة⁽⁸⁾، ووادي الثمرات⁽⁹⁾، واشتهر حصن جليانة⁽¹⁰⁾ بزراعة التفاح، وخاصة الصنف المعروف بالتفاح الجلياني، ويتميز بطعمه الحلو⁽¹¹⁾. واقتصرت زراعة الموز وفق ما أورد القزويني على البيرة⁽¹²⁾.
وسادت زراعة التين في المناطق المائلة ما بين البرودة والاعتدال، كإشبيلية⁽¹³⁾، وفيها نوعان من التين أحدهما القوطي، والآخر الشعري⁽¹⁴⁾، ومن أجود أنواع التين وأحسنها، ما كان يزرع في مدينة مالقة⁽¹⁵⁾ الذي عرف باسمها، ويمتاز هذا النوع من الفاكهة الأندلسية بحلاوة الطعم، وعدم تسوسه، واحتماله البقاء لمدة طويلة دون أن يفسد، وكان يتم تجفيفه وتصديره إلى مصر والشام والعراق، ووصل إلى روما والهند⁽¹⁶⁾، وكذلك اشتهرت به باديس بالقرب من

(1) ابن بشكوال، الصلة، ق1، ص37.

(2) القزويني، آثار، ص283؛ جزيرة يابسة: جزيرة في البحر المتوسط، تسمى لمنورقة، وتقع بالقرب من جزيرة ميورقة. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج5، ص486؛ الحميري، الروض، ص616.

(3) الحميري، صفة، ص129.

(4) الساج: شجر كبير ينمو في بلاد الهند، ورقه عريض، له رائحة طيبة تشبه رائحة الجوز. انظر: ابن منظور، ج2، ص302؛ فيروز آبادي، ج1، ص202.

(5) القزويني، آثار، ص545؛ الحميري، صفة، ص124.

(6) شنترة: من مدن أشبونة. انظر: الحميري، الروض، ص347.

(7) الحموي، معجم البلدان، ج3، ص416؛ القزويني، آثار، ص542.

(8) الحموي، معجم البلدان، ج3، ص409؛ القزويني، آثار، ص505؛ الحميري، صفة، ص73.

(9) القزويني، آثار، ص556.

(10) جليانة: حصن أندلسي من أعمال وادي آش. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج2، ص182.

(11) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص182، ابن سعيد، المغرب، ج2، ص101؛ المقرئ، ج1، ص143.

(12) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص289؛ القزويني، آثار، ص502.

(13) القزويني، آثار، ص497.

(14) الإدريسي، ج2، ص541؛ المقرئ، ج1، ص200.

(15) مالقة: مدينة من أعمال رية على شاطئ البحر، بين الجزيرة الخضراء والمريّة. انظر: الحموي، ج5، ص52؛ الحميري، ص517.

(16) الحموي، معجم البلدان، ج5، ص52؛ ابن سعيد، الجغرافيا، ص140؛ انظر للمقارنة: الإدريسي، ج2، ص565، ص566؛ ابن الورد، ص67؛ ابن بطوطة، ج2، ص768؛ الحميري، صفة، ص115.

مالقة⁽¹⁾، وأندة من أعمال بلنسية⁽²⁾، وتميزت الأخيرة بتينها المفضل على نظيره في بلاد الأندلس، حتى إنَّ الرجل بها يشتري من التين الأخضر بربع درهم فيحمل ستين نوعاً منه لا يشبه واحد الآخر سواء في المذاق أم في اللون⁽³⁾، وزرع التين على جبال الرحمة⁽⁴⁾، وفي وادي وداي الثمرات في لورقة⁽⁵⁾.

ومن المدن التي اشتهرت بزراعة الرمان مدينة لورقة⁽⁶⁾، ومدينة غرناطة التي تعني الرمان لكثرة الرمان فيها، ولجمالها الذي يشبه جمال الرمان⁽⁷⁾، وأما التوت فيسمى عند أهل الأندلس الفرصاد، وزرع على جبل شلير⁽⁸⁾، ومن الأشجار الأخرى التي تميزت بها بلاد الأندلس العنب، وقد زرع في الجبل المذكور⁽⁹⁾ وفي لورقة، وكانت أسعاره غالية الثمن⁽¹⁰⁾، وتميزت المدينة البيضاء⁽¹¹⁾ بعنب يتمتع بجودة عالية⁽¹²⁾.

ونتيجة لوجود العنب في الأندلس بكثرة، فقد قام الأندلسيون بصناعة الزبيب، فاشتهرت مدينة ألش بزبيبها، الذي امتاز بجودته، وكان يصدر منها إلى بقية أنحاء الأندلس⁽¹³⁾، واشتهرت به جزيرة يابسة⁽¹⁴⁾. أما العناب فقد فاتصفت به لبلدة، وكان لا نظير له⁽¹⁵⁾، وتفوقت لورقة على غيرها من المناطق الأندلسية بفاكهة السفرجل⁽¹⁾، والكمثرى، وخاصة

(1) ابن سعيد، الجغرافيا، ص 140.

(2) الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 314.

(3) الزهري، ص 102.

(4) ابن سعيد، الجغرافيا، ص 142.

(5) القزويني، آثار، ص 556.

(6) القزويني، آثار، ص 556.

(7) الحموي، معجم البلدان، ج 4، ص 221.

(8) القزويني، آثار، ص 42؛ انظر للمقارنة: ابن الفقيه، ص 138؛ الزهري، ص 94.

(9) القزويني، آثار، ص 505.

(10) الحموي، معجم البلدان، ج 5، ص 30؛ القزويني، آثار، ص 556.

(11) المدينة البيضاء: مدينة سرقسطة، وسميت بذلك نسبة إلى كثرة حبها وجبرها. انظر: الزهري، ص 81؛ الإدريسي،

ج 2، ص 554؛ الحميري، صفة، ص 63.

(12) القزويني، آثار، ص 513.

(13) الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 291؛ القزويني، آثار، ص 502.

(14) الحموي، معجم البلدان، ج 5، ص 486؛ الحميري، صفة، ص 129.

(15) القزويني، آثار، ص 555.

وخاصة في وادي الثمرات منها⁽²⁾، وهذا النوع من الفاكهة يعرف بالإجاص في الشام، ويستخدم لعلاج ضغط الدم وأمراض القلب والكبد⁽³⁾، ومن النباتات: القراسيا⁽⁴⁾ واشتهرت به بلنسية، ولا يخلو منها جبل ولا سهل إلا ووجد فيه⁽⁵⁾.

واشتهرت الأندلس بالزعفران، وكانت تعد من أبرز مراكز إنتاجه في العصور الوسطى، واكتسب أهمية كبيرة في التجارة العالمية؛ نظراً لاستخداماته الكثيرة في الصباغة والطيب والعقاقير الطبية⁽⁶⁾، وزرع بكثرة في مدينة باغة غربي البيرة، وكان يصدر منها إلى سائر البلاد المغربية⁽⁷⁾، واشتهرت بزراعته أيضاً مدينة بياسة الواقعة بالقرب من جيان⁽⁸⁾، ومدينة بلنسية⁽⁹⁾، وطليلة التي اختصت بالزعفران عالي الجودة⁽¹⁰⁾، وعلى الرغم من انتشار زراعة الزعفران في أكثر من منطقة؛ فإن مدينة بسطة الواقعة بالقرب من جيان كانت تعد المصدر الأول له في الأندلس⁽¹¹⁾.

ومن النباتات التي انتشرت في بلاد الأندلس: العصف⁽¹²⁾، ويتميز بكونه بحاجة إلى مناخ معتدل لزراعته، ومن مناطق زراعته إشبيلية⁽¹³⁾، التي تعد ركيزة أساسية لإنتاجه بما يكفي

(1) الحموي، معجم البلدان، ج5، ص11؛ القزويني، آثار، ص556.

(2) القزويني، آثار، ص556.

(3) ابن الوردي، ص320؛ القلقشندي، صبح، ج5، ص176.

(4) القراسيا: ثمرة تشبه البرقوق، وتسمى بالمغرب حب الملوك، وقيل البرقوق المجفف. انظر: ابن الوردي، ص311؛ ابن العوام، ج1، ص269؛ أبو مصطفى، تاريخ، ص141، 142؛

(5) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص581؛ انظر للمقارنة: الزهري، ص102.

(6) أبو الفداء، ص167؛ القلقشندي، صبح، ج5، ص229؛ انظر: أبو مصطفى، تاريخ، ص128.

(7) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص(387، 388).

(8) م، ن، ج1، ص614؛ انظر للمقارنة: الإدريسي، ج2، ص569؛ القلقشندي، صبح، ج5، ص229؛ الحميري، صفة، ص38.

(9) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص581؛ القزويني، آثار، ص513.

(10) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص45؛ الحميري، صفة، ص84.

(11) القلقشندي، صبح، ج5، ص221؛ الحميري، صفة، ص30.

(12) العصف: نبات عشبي حولي، والجزء المستعمل منه هو الأزهار، ويشبه بالزعفران، ويعرف بعدة أسماء منها: القرطم والبهрман والزردي، ويطلق عليه البعض الزعفران مع أنه ليس بزعفران. انظر: القزويني، عجائب، ص329؛ ابن الوردي، ص77.

(13) القزويني، آثار، ص555.

حاجات الأندلس، وتصدير الفائض إلى كثير من الأصقاع⁽¹⁾، وأما زراعة قصب السكر فاشتهرت بها البيرة⁽²⁾، وشلوبينية⁽³⁾، مع العلم أن زراعة قصب السكر كانت منتشرة في المناطق الساحلية من الأندلس⁽⁴⁾، ويعد قصب السكر من النباتات المشرقية التي أدخلها المسلمون إلى الأندلس، ويزرع في التربة الرطبة وعلى ضفاف الأنهار⁽⁵⁾، واشتهرت لبلدة الواقعه بالقرب من إشبيلية بنبته تعرف الجنطيانا⁽⁶⁾(7).

وانتشرت زراعة اللوزيات في الأندلس بكثرة، ومنها اللوز، وعُدَّت مدينة مالقة والمناطق التابعة لها مصدرًا كبيرًا لتجارة اللوز وتصديره إلى بلاد المشرق والمغرب⁽⁸⁾، وزرع وزرع في شنت برية الواقعة إلى الشرق من قرطبة، وفيها إلى جانب اللوز البنديق⁽⁹⁾، وزرع الأخير في فريش الواقعة غربي قرطبة⁽¹⁰⁾، وزرع الجوز على جبل شلير⁽¹¹⁾. واشتهرت بعض البلاد الأندلسية بزراعة الحبوب، والقدرة على حفظ منتجاتها لفترات زمنية طويلة، ومنها حاصلات الغلال كالقمح والشعير والذرة، وأهمها القمح، وكان يزرع بصفة خاصة في شرق الأندلس ووسطها، وقد اشتهرت طليطلة بحنطتها وتميزت بقدرتها على حفظه⁽¹²⁾.

(1) الحميري، الروض، ص 96.

(2) القزويني، آثار، ص 502.

(3) الحموي، معجم البلدان، ج 3، ص 408؛ الحميري، صفة، ص 73.

(4) المقري، ج 1، ص 200.

(5) القزويني، آثار، ص 10؛ المقري، ج 1، ص 22؛ انظر: أرسلان، ج 1، ص 231؛ العطار، الأندلس، ص 67؛ أبو مصطفى، تاريخ، ص 124.

(6) الجنطانيا: نبات مر الطعم، ويسمى ثوم الحية أو دواء الحية. انظر: الدوزي، معجم، ج 1، ص 354؛ انظر: أبو مصطفى، تاريخ، ص 148.

(7) الحموي، معجم البلدان، ج 5، ص 12.

(8) ابن سعيد، الجغرافيا ص 140؛ ابن بطوطة، ص 679.

(9) الحموي، معجم البلدان، ج 3، ص 416.

(10) م، ن، ج 4، ص 295؛ الحميري، صفة، ص 94.

(11) القزويني، آثار، ص 42؛ انظر للمقارنة: الزهري، ص 94.

(12) الحموي، معجم البلدان، ج 4، ص 45؛ القزويني، آثار، ص 545؛ الحميري، صفة، ص 84؛ انظر: التركي، الأندلس، ص 114.

واهتم الأندلسيون بزراعة النباتات التي تصنع منها الملابس، فقد زرعوا القطن، وعدت إشبيلية من أهم المدن المصدرة للقطن، حيث كانت تنتج كميات وفيرة منه، وكان يصدر منها إلى أفريقية وسجلماسة وكافة الأقطار⁽¹⁾، وتميز جبل الشرف بزراعة القطن، وكان يصدر منه إلى جميع بلاد الأندلس والمغرب⁽²⁾، وما يميز هذه المنطقة خصوبتها ووفرة إنتاجها النباتي نظراً نظراً لقربها من ضفاف الأنهار⁽³⁾، وأما الكتان فاشتهرت به قونجة، وهي من أعمال البيرة، وتميز بجودته العالية⁽⁴⁾، واشتهرت به أيضاً مدينة شلوبينية⁽⁵⁾.

وكانت السواحل الأندلسية الغربية المطلة على المحيط الأطلسي غنية بالعنبر، وبخاصة ساحل شنترين وأشبونة وباجة، وشلب في كوره أكشونية غرب قرطبة⁽⁶⁾. واستخدم العنبر في صناعة العطور والطيب⁽⁷⁾، ويشير القزويني أنه معدن يتولد في البحر ويقذف إلى الساحل، وكثيراً ما يوجد في جوف السمك، ولا رائحة له، ومن يأكله يتسمم، إلا أنه كان يستخدم لعلاج بعض الأمراض⁽⁸⁾.

وحفقت الأراضي الأندلسية بمختلف أنواع الرياحين، والنباتات الطبية، والعطرية، مثل السنبل⁽⁹⁾ والقسط⁽¹⁾، والأشفاقل والإنباريس (الإمبرباريس)⁽²⁾⁽³⁾، والعود⁽⁴⁾، وأجناس

(1) الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 232؛ الحميري، صفة، ص 21.

(2) الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 232.

(3) القزويني، آثار، ص 513؛ انظر للمقارنة: الزهري، ص 88، أبو مصطفى، تاريخ، ص 96.

(4) الحموي، معجم البلدان، ج 4، ص 471؛ انظر للمقارنة: الإدريسي، ج 2، ص 560.

(5) الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 289.

(6) م، ن، ج 1، ص 231، 285، ج 4، ص 405؛ القزويني، آثار، ص 542، 555.

(7) القلقشندي، صبح، ج 5، ص (118، 119). وتعددت الروايات فيما يتعلق بأصل العنبر، فقيل نبات في قعر البحر، وقيل من روث حيوان بحري؛ انظر: الزهري، ص 16؛ شيخ الربوة، ص 134؛ القلقشندي، صبح، ج 5، ص 118، 119؛ المقري، ج 1، ص 186؛ ويعتقد الباحثون الجدد أنه مادة صمغية تستقر من أشجار بقاع البحر، وبعد نزولها في المياه تتحجر وتحملها الأمواج إلى الشاطئ؛ انظر: أبو مصطفى، تاريخ، ص 23.

(8) القزويني، عجائب، ص 281.

(9) السنبل: نبات طيب الرائحة، له قرون صغيرة تأكله ظباء المسك في بلاد التبت، ومن خواصه إنبات الشعر وتقوية الدماغ، ويستخدم لآلام الكبد والمعدة والأمعاء ولمنع النزيف، ومنه عدة أصناف؛ كالسنبل الرومي، وسنبل العصافير. انظر: القزويني، عجائب، ص 323؛ ابن منظور، ج 11، ص 348؛ فيروز آبادي، ج 3، ص 409.

الأفاوي⁽⁵⁾ الهندية المختلفة، ومن أهم مناطق وفرتها؛ جبال غرناطة⁽⁶⁾، واستفاد إلى الأندلسيون منها في عمل الأشربة، والأدوية للأمراض المتعددة⁽⁷⁾.

واشتهرت البلاد الأندلسية إلى جانب غناها بثروة زراعية متنوعة ومصادر مياه وفيرة، بثروة حيوانية بحرية وبرية جيدة، ومن المناطق التي اشتهرت بوفرة مواردها البحرية والبرية مدينة أشبونة، ولبله، وإشبيلية⁽⁸⁾، ومن الحيوانات التي اشتهرت بها الأندلس: الخيل والبغال، نظراً لأهميتها في العصور الوسطى في المعارك والتنقل وحمل الأثقال، وكانت البغال أكثر ملائمة من الخيل للسير عبر الأراضي المرتفعة، فكثرت وجودها في الأندلس⁽⁹⁾، ومن المناطق التي اشتهرت بكثرة وجود البغال؛ مدينة قرطبة، وكان أهلها يعتمدون عليها في تنقلهم، وتميزت بغلاء ثمنها، نظراً لتمتعها بصفات جيدة كثيرة⁽¹⁰⁾.

وأما الحشرات التي انتشرت في بعض البلاد الأندلسية، فمنها الجراد، وكان ينتشر في لورقة، مما أثر سلباً على إنتاجها الزراعي، وحسب زعم القزويني أن السبب في انتشار الجراد في هذه المدينة، يعود إلى قيام أحدهم بسرقة جرادة مصنوعة من الذهب من أحد كنائس المدينة، مما أدى إلى انتشاره وعدم انقطاعه عنها⁽¹¹⁾.

(1) القسط: ويسمى البستنج، وهو عود هندي وعربي، وله فوائد طبية يستخدم سائلاً لمعالجة الكبد وللغصص، أو بخوراً للزكام والنزلات والوباء، ويستخدم دهنًا في علاج البهاق والكلف. انظر: فيروز آبادي، ج2، ص393؛ المقرئ، ج1، ص137؛ وقيل القسط: جزر بحري، بذره يفسد المنى؛ ابن قتيبة، عيون، ج3، ص308.

(2) الانباريس: كلمة رومية، وهو نوع من الثمار الحامض له رائحة طيبة. انظر: فيروز آبادي، ج2، ص205؛

(3) القزويني، آثار، ص503.

(4) م، ن، ص503؛ انظر: أرسلان، ج1، ص230.

(5) الأفاوي: التوابل، تستخدم في علاج بعض الأمراض. انظر: فيروز آبادي ج4، ص292.

(6) القزويني، آثار، ص547.

(7) القزويني، عجائب، ص321؛ انظر: أبو مصطفى، تاريخ، ص146.

(8) القزويني، آثار، ص(496، 497، 555).

(9) المقرئ، ج1، ص85؛ انظر: أرسلان، ص230؛ أبو مصطفى، تاريخ، ص184.

(10) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص368؛ القزويني، آثار، ص552.

(11) القزويني، آثار، ص556.

وأما النحل فتعود كثافة انتشاره في الأندلس إلى الطبيعة الزاخرة بالبساتين والحقول والغابات والجبال، وتتركز أهم مناطقه في إشبيلية⁽¹⁾، وأشبونه، ويفضل عسل الأخيرة على كل عسل الأندلس، ويشبه بالسكر، حيث يلف بخرقه ولا يلوثها⁽²⁾، وكان العسل فيها يحفظ في كيس من الكتان، فيحمية من الرطوبة⁽³⁾، وربى الأندلسيون نحلهم في خلايا واسعة، مصنعة من خشب خشب الأرز، وفي أماكن قريبة من مواضع الماء والإزهار، وعرفوا طرق الإكثار من إنتاج العسل⁽⁴⁾.

وعرفت الأندلس تربية دودة القز (الحرير)، نظراً لكثرة التوت في أراضيها، لملائمة مناخها لزراعته، فازدهرت بها حرفة تربية دودة الحرير، ومن مناطق تربيتها: شلوبنية⁽⁵⁾، وكانت قد أدخلت إلى الأندلس في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي على يد أسرة من الشام، ثم ازدهر استخراج الحرير، وأصبح يصدر إلى سائر البلاد الإسلامية والأوروبية⁽⁶⁾.

ومن ناحية أخرى؛ اشتهرت مدينة أشبونه بكثرة طائر الباز في جبالها⁽⁷⁾، وهو جنس من من الصقور، يصطاد به، ويمتاز بأنه أحمر العينين، أصفر الرجلين مدور الرأس، سريع الطيران والانقضاض على الفريسة⁽⁸⁾. كما تمتعت بلاد الأندلس بثروة حيوانية بحرية كبيرة، نظراً لامتداد لامتداد السواحل الأندلسية على البحر المتوسط، والمحيط الأطلسي، إلى جانب غناها بالأنهار والوديان، وهذا ما جعل السكان يعملون بحرفة الصيد بكثرة⁽⁹⁾، ومن أصناف الأسماك التي اشتهرت بها المياه الأندلسية: الشهبوق، ويقنصر صيده على موسم الورود وينقطع في غيره من المواسم⁽¹⁰⁾، وسمك الترحته، وهذا الصنف يعرف أيضاً بالطرخته، وهو سمك أبيض كبير الحجم

(1) م، ن، ص 497.

(2) الحموي، معجم البلدان، ج 5، ص 19؛ القزويني، آثار، ص 555.

(3) المقري، ج 1، ص 152.

(4) ابن العوام، ص 720، 728.

(5) الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 289؛ القزويني، عجائب، ص (474، 475).

(6) مرزوق، فنون، ص 389.

(7) القزويني، آثار، ص 497.

(8) القزويني، عجائب، ص 441؛ معلوف، ص 102.

(9) أبو مصطفى، تاريخ، ص 184.

(10) القزويني، آثار، ص 148.

ليس فيه إلا شوكة واحدة، ووجد هذا الصنف في نهر إييرو⁽¹⁾. واشتهر وادي طرطوشة بأصناف بأصناف مختلفة من الأسماك، ومنها البوري، والشوري⁽²⁾، وهو ما يعرف بسمك الشولي، وهو من الأسماك التي تعيش بالأنهار، وتعرف بالإسبانية سابالا Sabala⁽³⁾.

وعرفت مياه سرقسطة حيوان السمور، وهو حيوان بحري، من ذوات الشعر كالماعز⁽⁴⁾، وقيل إنه حيوان يشبه النمس، تصنع من جلوده فراء غالية الثمن⁽⁵⁾، ويعتقد الحموي الحموي أنه نفس النوع المعروف باسم الجند بادستر، ويعيش في البحر المتوسط⁽⁶⁾، وربما يكون يكون هو نفسه القندس الذي يسمى أيضاً كلب الماء، والبادستر اسم الحيوان، وأما الجند بادستر فهو خصيته، فلم يكن يستفاد من الذكر منه إلا خصيته، والدواء الذي يصنع منها من الأدوية الرفيعة، ومنافعه كثيرة، وأما الإناث منه فكانت جلودها تستخدم لتصنيع الثياب الخاصة بمرضى النقرس⁽⁷⁾. وكانت مياه شنترين الواقعة غرب قرطبة تشتهر بصنف نادر من الحيوانات البحرية التي تتميز بوبرها اللين، ولونها الذهبي، وكان يستخدم في نسج الملابس⁽⁸⁾، وتذكر بعض المصادر أنه الحيوان المعروف بأبي قلمون، وهو نوع نادر عزيز الوجود، ينسج منه ثياب تتلون باليوم الواحد عدة ألوان، وكان ملوك بني أمية يحجرون عليه، ويمنعون نقله إلى البلدان الأخرى، وبلغ قيمة الثوب منه ألف دينار لحسنه وندرته⁽⁹⁾.

(1) م، ن، ص (148، 505)؛ انظر: أبو مصطفى، تاريخ، ص 195.

(2) الحموي، معجم البلدان، ج 3، ص 34؛ القزويني، آثار، ص 544.

(3) معلوف، ص 225؛ أبو مصطفى، تاريخ، ص 196.

(4) القزويني، عجائب، ص 194؛ الدميري، ج 2، ص 87؛ انظر: أرسلان، ص 229؛ معلوف، ص 52.

(5) المقدسي، ص 198؛ الدميري، ص 194.

(6) الحموي، معجم البلدان، ج 3، ص 240؛ القزويني، آثار، ص 545.

(7) النقرس: مرض يحدث ورم في مفاصل الكعبين وأصابع الرجلين. انظر: فيروز آبادي، ج 2، ص 265.

(8) القزويني، آثار، ص 542.

(9) الإصطخري، ص 42؛ المقدسي، ص 199.

الفصل الثالث

الثروات الطبيعية والأوضاع الصناعية والتجارية في بلاد المغرب والأندلس

الثروات الطبيعية، والصناعات في بلاد المغرب

الثروات الطبيعية، والصناعات في بلاد الأندلس

الأوضاع التجارية في بلاد المغرب والأندلس

الفصل الثالث

الثروات الطبيعية والأوضاع الصناعية والتجارية في بلاد المغرب والأندلس

الثروات الطبيعية، والصناعات في بلاد المغرب

تميزت أراضي بلاد المغرب بثروة معدنية غزيرة ومتنوعة، فشكلت مورداً اقتصادياً مهماً للمنطقة، وقد أشار جغرافيو القرن السابع الهجري إلى وفرتها في كثير من أراضي البلاد، ومن أهم المعادن: الفضة، ووجد في زكندر⁽¹⁾، وجبال فازار⁽²⁾، وفي مجانة⁽³⁾، وقلعة بسر الواقعة بالقرب منها⁽⁴⁾، كما اشتهرت كل من مجانة وقلعة بسر بمعدن الرصاص⁽⁵⁾، مع العلم أن أن معدني الفضة والرصاص يُحصل عليهما من منجم واحد، بمعنى أن العروق المعدنية للفضة كانت تحوي أيضاً معدن الرصاص، وقد تمكن المسلمون من تنقية الفضة وفصلها عن الرصاص، وذلك باستخدام طريقة الصهر، حيث يوضع الرصاص المختلط بالفضة في كوجل⁽⁶⁾ كوجل⁽⁶⁾ مقاوم للصهر، وتشعل تحته النار بشدة حتى تصل إلى درجة الانصهار، فعندئذ يتبخر الرصاص بينما تترسب الفضة الخالصة في قاع الكوجل⁽⁷⁾.

وذكرت المصادر الجغرافية أن معدن الكحل⁽⁸⁾ كان يستخرج في مجانة وقلعة بسر⁽⁹⁾، بسر⁽⁹⁾، بالإضافة إلى أماكن أفريقية وفي مناجم الرصاص، ويقوم العمال المدربون بفصله عن الرصاص بوساطة الكبريت، ووجد بكثرة في سفح الأطلس بجهة الجنوب⁽¹⁰⁾، وأما الحديد

(1) القزويني، آثار، ص 19.

(2) ابن سعيد، الجغرافيا، ص 141.

(3) الحموي، معجم البلدان، ج 5، ص 67، القزويني، آثار، ص 60.

(4) الحموي، معجم البلدان، ج 4، ص 443.

(5) م، ن، ج 5، ص 67؛ القزويني، آثار، ص 60.

(6) الكوجل: هو إناء لصهر الفضة والذهب، مصنع من رفاق الجص والعظم. انظر: ابن يوسف، الدوحة، ص 90.

(7) ابن يوسف، ص (32، 33).

(8) الكحل: ومن أجود أنواعه الأصفهاني الذي يستخدم في تقوية العين، ويستخدم كغسول لها. انظر: شيخ الربوة، ص 84؛

الوزان، ج 2، ص 280.

(9) الحموي، ج 5، ص 67؛ القزويني، آثار، ص 60.

(10) الوزان، ج 2، ص 280.

فاستخرج من أراضي بونة⁽¹⁾، ومجانة⁽²⁾، وحصل المغاربة على معدن الذهب من بلاد التبر⁽³⁾، التبر⁽³⁾، وبخاصة من غانة التي تعد نقطة اللقاء بين المغرب وبلاد التبر⁽⁴⁾، ويصف ابن الفقيه توفر الذهب في غانة بقوله: "ينبت فيها الذهب نباتاً من الرمل، كما ينبت الجزر ويقطف عند بزوغ الشمس"⁽⁵⁾.

واشتهرت بلاد المغرب بمعدن الملح، خاصة في بسكرة⁽⁶⁾، ووجد أيضاً في بلاد كدالة، ونظراً لوفرتة بشكل كبير فيها؛ فقد بنيت الحصون منه، وكان يصدر منها إلى بلاد السودان⁽⁷⁾، واشتهرت به أيضاً مدينة تغارة وما حولها من الأراضي، ولهذا كانت أراضيها سبخة⁽⁸⁾، وكان معدن الملح يمثل المورد المالي الأساسي للمدينة⁽⁹⁾، ووجد معدن المرنك⁽¹⁰⁾ في مدينة مجانة⁽¹¹⁾، مجانة⁽¹¹⁾، والشب⁽¹²⁾ وجد في تغارة⁽¹³⁾، ومعدن رقيد في جنوبي جبل درن⁽¹⁴⁾.

وعلى الرغم من الإشارات الآتفة الذكر حول غنى بلاد المغرب بالمعادن؛ فإن جغرافي القرن السابع الهجري أهملوا الحديث عن الصناعات المعدنية، وركزوا جل حديثهم حول غيرها من الصناعات، كالغذائية والنسيجية والجلدية. فعلى صعيد الصناعات الغذائية، اشتهرت تلك

(1) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص607؛ القلقشندي، صبح، ص106؛ مقديش، ج1، ص124.

(2) الحموي، معجم البلدان، ج5، ص67؛ القزويني، آثار، ص60.

(3) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص(14، 15)؛ القزويني، آثار، ص57.

(4) القزويني، آثار، ص42.

(5) ابن الفقيه، ص138.

(6) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص502.

(7) ابن سعيد، الجغرافيا، ص113؛ انظر للمقارنة: كاتب مراكشي، ص214.

(8) سبخة: الأرض المستنقعية التي لا تصلح للزراعة لملوحتها. انظر: فيروز آبادي، ج1، ص270.

(9) القزويني، آثار، ص26.

(10) المرنك: أول أكسيد الرصاص، لين، لونه أصفر ترابي. انظر: البيروني، ص390.

(11) الحموي، معجم البلدان، ج5، ص67؛ القزويني، آثار، ص60؛ انظر للمقارنة: اليعقوبي، البلدان، ص138.

(12) الشب: يعرف علمياً باسم ثاني سلفات الألمنيوم والبوتاسيوم، لونه أبيض، شبيه بمعدن الزاج، وقد استخدمه المسلمون

في الطب كقابض، كما استخدموه في الصباغة وتثبيت الألوان. انظر: البيروني، ص429.

(13) القزويني، آثار، ص26؛

(14) ابن سعيد، الجغرافيا، ص141.

البلاد بالحذق في حفظ الحبوب والفواكه لفترات طويلة⁽¹⁾، وعلى سبيل المثال لا الحصر؛ اشتهرت فاس بتصنيع السميد الجيد من القمح⁽²⁾. وجففت الفواكه للاستفادة منها في أوقات لا تكون متوفرة بشكل طازج، ومنها العنب، فاشتهرت سجلماسة بإنتاج الزبيب⁽³⁾، واشتهرت به أيضاً جزيرتا قرقنة وجربه⁽⁴⁾، وعلى الرغم من ا حرمة تصنيع النبيذ وشربه؛ فإن بعض المدن قد استغلت وفرة العنب، فصنعت منه نبيذاً، ومنها مدينة رقادة الواقعة بالقرب من القيروان⁽⁵⁾.

كما استطاع أهل المغرب التوصل إلى أساليب وتقنيات ناجعة في حفظ اللحوم، وخاصة الأسماك؛ فقد حفظ أهل باجة السمك بالعسل⁽⁶⁾، وكان يستخدم دهنه في إشعال المصابيح⁽⁷⁾. وأما وأما أهل تونس فقد حفظوه بالملح⁽⁸⁾، ومن الصناعات الغذائية: عصر الزيتون الذي اشتهرت به به منطقة تينمل⁽⁹⁾، وكان زيتها يفضل على سائر زيوت المغرب⁽¹⁰⁾، علماً أن صناعة الزيوت قد نشطت في بلاد المغرب لوفرة مزارع الزيتون، ولهذا أقام المغاربة الكثير من المعاصر⁽¹¹⁾.

ونظراً لكثافة الغطاء النباتي في بلاد المغرب، فقد توفرت أخشاب الأشجار بكثرة، مما مكن الأهالي من الاعتماد عليها في الصناعات الخشبية، فاشتهرت نول لمطه بتصنيع أقتاب⁽¹²⁾ البعران من خشب الصنوبر، فتميزت بغلاء أسعارها⁽¹³⁾، ويعود ازدهار هذه المنطقة بتصنيع

(1) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص501؛ القزويني، آثار، ص244.

(2) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص261؛ القزويني، آثار، ص102.

(3) الحموي، معجم البلدان، ج3، ص217؛ القزويني، آثار، ص42.

(4) ابن سعيد، الجغرافيا، ص144، 145؛ انظر للمقارنة: البكري، ص85؛ التجاني، ص67؛ مقديش، ج1، ص139.

(5) القزويني، آثار، ص199؛ انظر للمقارنة: البكري، ص27؛ كاتب مراكشي، ص116؛ الحميري، الروض، ص271.

(6) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص374؛ القزويني، آثار، ص542.

(7) كاتب مراكشي، ص125.

(8) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص72؛ القزويني، آثار، ص174؛ الحميري، الروض، ص143؛ انظر: طه، الحياة، ص201.

(9) تينمل: جبال في المغرب بين أولها ومراكش ثلاثة فراسخ. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج2، ص80.

(10) ابن سعيد، الجغرافيا، ص125.

(11) الونشريشي، ج5، ص(223، 224).

(12) أقتاب: مفردا قنتب، وهو الرجل ما استدار على بطن البعير. انظر: فيروز آبادي، ج1، ص118؛ مصطفى وآخرون، ص714.

(13) القزويني، آثار، ص57؛

الأقتاب لكونها على طريق القوافل التجارية، إلى جانب اشتهارها بتصنيع أجمة الخيل والسروج⁽¹⁾، ومن المدن التي اشتهرت بتصنيعها أيضاً: تلمسان⁽²⁾.

وكانت الصناعات النسيجية من أعظم فروع الصناعة شأناً في العصور الوسطى، وقد ازدهرت في المغرب ازدهاراً كبيراً، ووصلت إلى أوج عظمتها وإتقانها، ومما يدل على ذلك إتقان المغاربة لفنون الصباغة؛ وبخاصة في فاس التي اشتهرت بصباغة الأرجوان⁽³⁾ والأكسية⁽⁴⁾ والأكسية⁽⁴⁾ القرمزية⁽⁵⁾، واستخدم أهل مدينة سجلماسة الصباغة في تصنيع ملابسهم الصوفية، وبخاصة الإزارات⁽⁶⁾، وهو نوع من الثياب المصنعة من الحرير أو الصوف، مع مزرکشاتٍ وحواشٍ من الجوانب المطوية في غاية الذوق والإبداع، بحيث تعلق على الصدر، فضلاً عن ترصيعها ببعض الحلقات والأقراط، ومواد الزينة لنساء الأغنياء⁽⁷⁾.

كما واشتهرت مدينة سجلماسة بإنتاج الأردية الحمراء التي تسمى الغفارات⁽⁸⁾، أو الغفائر، وكانت تشير قديماً إلى طواقي النساء، أو خرقة الرأس، وكانت الغفارة في الأندلس والمغرب تشير إلى طاقية أو قطعة قماش يلبسها الرجال تحت العمامة فتتدلى من الجانبين⁽⁹⁾، وعند ابن منظور (ت. 711هـ/1311م) تعني غطاء الرأس⁽¹⁰⁾، وأما الرازي (ت. 660هـ/1261م)، والفيروز آبادي (ت. 817هـ/1414م) فيشيران إلى غطاء يوضع تحت

(1) الإدريسي، ج 1، ص 224؛ كاتب مراكشي، ص 213.

(2) ابن سعيد، الجغرافيا، ص 140.

(3) الأرجوان: شجر له ورد لا رائحة له، شديد الحمرة، يستخدم في الصباغة. انظر: البيروني، ص 109؛ مصطفى وآخرون، ص 13.

(4) الكساء: تستخدم للإشارة إلى الملابس بصفة عامة. انظر: ابن منظور، ج 1، ص 137؛ الدوزي، تاريخ، ص 309، 311؛ طه، حياة، ص 242.

(5) الحموي، معجم البلدان، ج 4، ص 261.

(6) م، ن، ج 3، ص 217؛ القزويني، آثار، ص 42؛ انظر للمقارنة: البكري، ص 147.

(7) فيروز آبادي، ج 1، ص 377؛ الدوزي، ص 35؛ انظر: طه، الحياة، ص 268.

(8) الحموي، معجم البلدان، ج 3، ص 217؛ القزويني، آثار، ص 42؛ انظر للمقارنة: البكري، ص 147؛ طه، الحياة، ص 231.

(9) الدوزي، ص (255، 257)؛ انظر: طه، الحياة، ص 229.

(10) ابن منظور، ج 15، ص 223.

القلنسوة⁽¹⁾، وكانت الغفائر المغربية تتنافس نظيرتها المصرية، وزُيّنت المغربية بالصفائح الذهبية الذهبية والفضية، واقتصر هذا اللباس على الفئات العليا في المجتمع المغربي، كالحكام والولادة المرابطين الذين اختصوا بلباسها⁽²⁾.

وامتازت تلمسان بثيابها الصوفية الجيدة، وكانت تصدرها إلى سائر الأقطار، واتخذ أهلها منها الكنايبش⁽³⁾ التي لا مثيل لها⁽⁴⁾، واشتهرت قلعة حماد بتصنيع الأكسية الصوفية المطرزة بالذهب، وتصنيع اللبود⁽⁵⁾، وهو نوع من الثياب المبطنه تلبس في المطر، تشيع الدفاء وفي الوقت نفسه تتميز بألوانها البديعة⁽⁶⁾، وكان تصنيع الأكسية في قلعة حماد لا مثيل له في الجودة والرقعة والنعومة⁽⁷⁾. وأما أهل جبل مديونة الواقع إلى الشرق من فاس؛ فعرفوا بتصنيع البرانس السوداء الواقية من المطر⁽⁸⁾، والبرنس كل ثوب له رأس منه⁽⁹⁾، ويجهل أصل هذه الكلمة، وذهب بعض الباحثين إلى أن أصل التسمية مشتق من الكلمة الإغريقية (بيروس)، وتعني الثياب الطويلة، أو من الكلمة الإغريقية (بيرنو)، وتعني أسمر، وهو اللون القريب من الأسود الذي يطبع لون البرنس⁽¹⁰⁾، ومن ناحية أخرى، فقد اشتهرت مدينة سبتة بصناعة البسط محكمة الصنع⁽¹¹⁾.

(1) الرازي، ص228؛ فيروز آبادي، ج2، ص107.

(2) الحموي، معجم البلدان، ج3، ص217؛ القزويني، آثار، ص42؛ انظر للمقارنة: البكري، ص147؛ طه، الحياة، ص231.

(3) الكنايبش: وتعرف بالكنايفيش، مفردها كنفوش، وهو خمار لتغطية الوجه. انظر: نجم، معجم، ص453.

(4) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص52؛ ابن سعيد، الجغرافيا، ص140.

(5) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص443؛ انظر للمقارنة: كاتب مراكشي، ص170.

(6) الرازي، ص278؛ فيروز آبادي، ج1، ص347؛ انظر: ارسلان ص232؛ أبو مصطفى، تاريخ، ص235.

(7) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص443؛ انظر للمقارنة: كاتب مراكشي، ص170.

(8) ابن سعيد، الجغرافيا، ص141؛ انظر للمقارنة: المقدسي، ص339؛ البكري، ص155؛ الفلقشندي، صبيح، ج5، ص174.

(9) ابن منظور، ج6، ص26؛ فيروز آبادي، ج2، ص207؛ انظر: طه، حياة، ص232.

(10) طه، حياة، ص233.

(11) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص(15، 16).

ومن الصناعات التي لعبت دوراً في حياة المغاربة دباغة الجلود، التي اشتهرت بها مدينة أغمات، وعدت مركزاً لتصديرها إلى سائر بلاد المغرب⁽¹⁾، وكذلك غدامس، التي عرفت جلودها المدبوغة بالجلد الغدامسي⁽²⁾، ولهذا كانت تعد مركزاً تجارياً صحراوياً مهماً⁽³⁾. واستغلت واستغلت بعض المدن المغربية كمدينة أجدابية جلود المعز وأصوافها في صناعة صهاريج المياه⁽⁴⁾.

واستخدم سكان بلاد المغرب الجلود الحيوانية في تصنيع الأسلحة كالدرق والجواشن⁽⁵⁾ والرماح، حيث صنعت في كاكدم من جلد حيوان اللوط. وكان يحصل عليه أهلها من مدينة أزرقى، وآلية دباغته تعتمد على نغعه في الحليب وقشر بيض النعام لمدة سنة كاملة، وتتميز الدرق اللطية بقطر طويل يقدر بعشرة أشبار، وبقوتها ومقاومتها للخدوش والمياه، وخفة وزنها، ولهذا كان أهل المغرب يستخدمونها في حروبهم⁽⁶⁾، وكانت تعد من أجود الدرق وأغلاها ثمناً، وخاصة وخاصة ما عمل من إنائها المسنات التي طالت قرونها، وهذه المصنوعات الحربية كانت تهدى لملوك المغرب والأندلس⁽⁷⁾.

واخيراً؛ سخر سكان المغرب الحجارة في صناعتهم، حيث استغل أهل مجانة الواقعة على مقربة من القيروان، حجارة الجبال في تصنيع الطواحين المائية، وكانت تصدر منها إلى سائر الأقطار⁽⁸⁾، وكانت تعرف بمجانة المطاحن؛ لوفرة حجارتها وتميزها بالصلابة وسالاسة الاجزاء والجودة العالية⁽⁹⁾.

(1) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص267؛ المراكشي، المعجب، ص422؛ انظر: طه، حياة، ص125.

(2) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص21؛ القزويني، آثار، ص57.

(3) كاتب مراكشي، ص145؛ أبو الفداء، ص147؛ القلقشندي، صبح، ج5، ص108.

(4) ابن سعيد، الجغرافيا، ص127.

(5) الجواشن: مفردا جوشن، وهو الدرع. انظر: ابن منظور، ج13، ص88؛ فيروز آبادي، ج4، ص211.

(6) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص(490،489)؛ القزويني، آثار، ص58؛ ابن سعيد، الجغرافيا، ص12.

(7) الإدريسي، ج1، ص224؛ كاتب مراكشي، ص214؛ الزهري، ص118.

(8) القزويني، آثار، ص260؛ شيخ الربوة، ص237.

(9) الإدريسي، ج1، ص293؛ كاتب مراكشي، ص161.

الثروات الطبيعية، والصناعات في بلاد الأندلس

عرفت الأندلس منذ أقدم العصور بوفرة ثرواتها المعدنية التي كانت تكثر في جبالها ومرتفعاتها، كالذهب والفضة والنحاس والرصاص والحديد والكبريت الأحمر والأصفر والمغنطيس والزئبق⁽¹⁾، والزنجر⁽²⁾، والتوتيا⁽³⁾، والشب، والكحل المشبه بالكحل الأصفهانى، والشاذنج⁽⁴⁾، وبها من الأحجار الكريمة الياقوت⁽⁵⁾، والبلور⁽⁶⁾، والجزع⁽⁷⁾، واللازورد⁽⁸⁾، ووجد فيها الحجر المعروف باليهودي⁽⁹⁾، والمرقشتيا⁽¹⁰⁾، وحجر الطلق⁽¹¹⁾،⁽¹²⁾.

(1) الزئبق: مادة سائلة تتكون من مركبات مائية مع الكبريت. انظر: البيروني، ص379؛ القزويني، عجائب، ص279.

(2) الزنجر: معدن يستخرج من باطن الأرض، ثم يطبخ مع معدن الزجاج، حتى يصير لونه أحمر، ومن ثم يتم صهره لتنتجته من الشوائب العالقة به في أفران خاصة، لعلاج لجروح، الا أنه يعد من السموم القاتلة. انظر: القزويني، عجائب، ص264؛ حتاملة، ص1049.

(3) التوتياء: حجر يطلق عليه ركاز الزنك بالحالة التي يخرج عليها من المنجم، أو أكسيد الزنك، وعرف العرب النوعين قديماً، وهو من المعادن التي تستعمل في صبغ النحاس، وله عدة ألوان: أخضر وأصفر ومنها الأبيض، ويعد الأخير الأكثر جودة، وله فوائد علاجية، مثل علاج أمراض العين. انظر: البيروني، ص430؛ القزويني، عجائب، ص251؛ ابن الوردى، ص302؛ المراكشي، المعجب، ص260.

(4) الشاذنج: يسمى الشاذنة، حجر قاطع الدم، يحرق المغنطيس فيخرج شاذنج ومن خاصيته أنه يقوي البصر. انظر: البيروني، ص217؛ القزويني، عجائب، ص265.

(5) الياقوت: كلمة أعجمية، اختلف في أصلها بين الفارسية والهندية، وهو حجر كريم نادر شديد الصلابة، ويتواجد بعدة ألوان، ويعد من الأحجار التي يحتكرها الملوك والأغنياء. انظر: البيروني، ص33؛ ابن الوردى، ص296.

(6) البلور: حجر أبيض، أشف من الزجاج وأصلب منه، وجسمه متماسك على خلاف الزجاج، ويستخدم في الصباغة، وينفع التهابات القلب، وعلاج الأسنان. انظر: القزويني، عجائب، ص250؛ ابن الوردى، ص301؛ شيخ الربوة، ص71.

(7) الجزع: كلمة عربية مشتقة من الفعل جزع، بمعنى قطع، ويسمى الخرز اليماني، ووصف أنه حجر مشطب صلب، فيه كالعيون بين بياض وصفرة وحمرة وسواد، ومنه ألوان متعددة، يؤتى به من اليمن أو الصين، والناس تنتشاه منه. انظر: البيروني، ص284؛ الرازي، ص57؛ القزويني، عجائب، ص251؛ ابن الوردى، ص294؛ شيخ الربوة، ص69.

(8) اللازورد: كلمة فارسية، من الأحجار الكريمة، أزرق سماوي اللون، وذكر البيروني أن الناس كانوا يطلقون عليه اسم ارميناقون، وتعني حجر ارميني، وذلك لشبهه حجراً بهذا الاسم كان يجلب من أرمينية. انظر: البيروني، ص310، 311؛ ابن الوردى، ص301؛ شيخ الربوة، ص73؛ مصطفى وآخرون، ج2، ص843.

(9) الحجر اليهودي: الحجر المعروف بحجر رنود، وهو شبيه بالجوز فيه خطوط متوازية. انظر: البيروني، ص159.

(10) المرقشتيا: صنف من الجواهر يسمى بالفارسية الروشناي، أي حجر النور نظراً لمنفعته للبصر، ومنه أصناف ذهبية وفضية ونحاسية، وجميع أصنافه تختلط مع الكبريت، فإذا أحرق كبريته صار كالدقيق، ويستخدم لعلاج البهاق والبرص. انظر: البيروني، ص84؛ القزويني، عجائب، ص274.

(11) حجر الطلق: حجر شريف يلقى على النحاس والحديد والرصاص فتصبح فضة، وهو نوعان؛ الأول أبيض غليظ القشر صافي البياض، والثاني أحمر رقيق القشر لين. انظر: القزويني، عجائب، ص266.

(12) القزويني، آثار، ص503.

وكان يعثر على الذهب إما في باطن الأرض داخل الصخور، أو في مجاري بعض الأنهار، وخاصة في منطقة البيرة⁽¹⁾، في حين أن برادة الذهب الخالص كانت تستخرج من مجرى نهر قلوم⁽²⁾. ووجد التبر⁽³⁾ الخالص في لشبونة⁽⁴⁾، وكان يستغل في تزيين الملابس والحلل الموشاة الموشاة بخيوط الذهب، وتذهيب الأثاث والأبواب، وفي سك النقود⁽⁵⁾.

وكان المسلمون في الغرب الإسلامي قد عرفوا كيفية تنقية الذهب من شوائبه، وذلك بجعله في كوجل، ثم يوضع في فرن يوقد بالفحم مع استخدام الكير لرفع درجة الحرارة، وعندما يبدأ في الانصهار يتم التخلص من الشوائب، بعد إضافة عناصر معدنية وكيميائية أخرى⁽⁶⁾.

وأضافت المصادر الجغرافية أن معدن الفضة كان موجوداً في قرطبة⁽⁷⁾، وطوطالقة التابعة لإقليم باجة⁽⁸⁾، والبيرة⁽⁹⁾، ووجد فيها كذلك معدن الرصاص⁽¹⁰⁾، واستخرج الرصاص من من شلود الأندلسية، إلى جانب معدن الكحل الأسود، وسمي بالكحل الشلودي، وصدر منها إلى سائر الأقطار⁽¹¹⁾، ووجد في بسطة والجبل القريب منها المعروف بجبل الكحل، وتميز بكتافته ولونه الأسود⁽¹²⁾، ووجد الكحل أيضاً في طرطوشة إلى جانب معدن الزجاج⁽¹³⁾، وتنبغي الإشارة

(1) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص583؛ القزويني، آثار، ص502.

(2) القزويني، آثار، ص547.

(3) التبر: فئات من الذهب قبل أن يصاغ. انظر: مصطفى وآخرون، ج1، ص84.

(4) الحموي، معجم البلدان، ج5، ص19؛ القزويني، آثار، ص555.

(5) الإدريسي، ج2، ص547؛ الزهري، ص85؛ ابن الوردي، ص64؛ الحميري، صفة، ص157؛ انظر: أبو مصطفى، تاريخ، ص207.

(6) ابن يوسف، ص(32، 33).

(7) القزويني، آثار، ص552.

(8) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص57.

(9) م، ن، ج1، ص583؛ القزويني، آثار، ص502.

(10) القزويني، آثار، ص502.

(11) الحموي، معجم البلدان، ج3، ص408.

(12) م، ن، ج1، ص501؛ القزويني، آثار، ص(505، 512)؛ انظر للمقارنة: الزهري، ص96.

(13) القزويني، آثار، ص545.

إلى أن كحلها كان في غاية الأهمية لجودته العالية، للشبه الكبير بينه وبين الكحل الأصفهانى، الذي يعد من أجود أنواع الكحل في العالم⁽¹⁾.

أما معدن النحاس في الأندلس فكان موجوداً في البيرة إلى جانب معدن الحديد⁽²⁾، ووجد الأخير في فريش⁽³⁾، واستخرج الأندلسيون الزئبق من فحص البلوط، وكان يعد مصدراً لتصديره لتصديره إلى سائر البلاد⁽⁴⁾، وأما معدن الملح، فوجده الأندلسيون في سرقسطة، وكان فيها نوع خاص من الملح يعرف بالملح الذرنلى (الأندرانى)، وهو أبيض صافى اللون، وهو حكر عليها دون غيرها من البلاد الأندلسية⁽⁵⁾، واشتهرت الأندلس بمعدن الزجاج⁽⁶⁾ والشب في لبلة⁽⁷⁾، ووجد ووجد الأخير أيضاً في قرطبة⁽⁸⁾، واستخرج معدن الصفر⁽⁹⁾ في البيرة⁽¹⁰⁾، ووجد القار (الزفت) في شغنسة⁽¹¹⁾. وكان الزفت والقار بمثابة النفط، يستخدم في الحروب لحرق السفن، ويشبه في وظيفته بالنار الإغريقية، واستعمله الأندلسيون في طلاء الشواني⁽¹²⁾، حتى لا تتعرض ألواحها للتآكل⁽¹³⁾.

واشتهرت الأندلس برخامها المتعددة الألوان، فوجد الرخام الأبيض⁽¹⁴⁾ في فريش⁽¹⁾، وعد الرخام الفريشى من أجل الرخام بياضاً وأحسنه ديباجاً وأشدّه صلابة⁽²⁾، ووجد

(1) أبو مصطفى، ص 214.

(2) الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 583؛ القزويني، آثار، ص 502.

(3) الحموي، معجم البلدان، ج 4، ص 295؛ الحميري، صفة، ص 94.

(4) الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 583.

(5) م، ن، ج 3، ص 240؛ شيخ الربوة، ص 79؛ الحميري، صفة، ص 64؛ انظر: أبو مصطفى، تاريخ، ص 218.

(6) الزجاج: حامض كبريتي من كبريتات النحاس، وكان الأندلسيون يستخدمونه في الطب والصناعة. انظر: القزويني، عجائب، ص 262.

(7) القزويني، آثار، ص 555.

(8) م، ن، ص 552.

(9) الصفر: سبيكة أو خليط معدني من النحاس والزنك والبرونز. انظر: فيروز آبادي، ج 2، ص 73.

(10) القزويني، آثار، ص 502.

(11) م، ن، ص 541؛ شغنسة: تقع بالقرب من وادي الحجارة. ولم تذكر سوى عند القزويني، ص 541.

(12) الشواني: أكبر أنواع السفن وأكثرها استعمالاً، مزودة بأبراج وقلاع للدفاع والهجوم، وكانت من أهم قطع الأسطول، وقد وصلت حمولتها في المتوسط إلى مائة وخمسين رجلاً. انظر: الرفاعي، الاسلام، ص 211؛ حتاملة، ص 1053.

(13) ابن الخطيب، الإحاطة، ج 1، ص 200؛ انظر: أبو مصطفى، تاريخ، ص 217.

(14) الرخام: ضرب من الحجر يتكون من كاربونات الكالسيوم المتبلورة الموجودة في الطبيعة، ويمكن صقل سطحه بسهولة. انظر: ابن الوردي، ص 70؛ مصطفى وآخرون، ج 1، ص 349.

الرخام أيضاً في البيرة، وصدر منها إلى سائر البلاد، وأما معدن الجزع فوجد في أشبونة، ووجد الشاذنج في قرطبة⁽³⁾، وانتشر معدن الزنجفر في فحص البلوط⁽⁴⁾، واستغلت الأحجار الكريمة في الأندلس في الصناعة، ومنها حجر التوتيا في حصن شلوبنية⁽⁵⁾، والبيرة وقرطبة⁽⁶⁾، وحجر البرادي المضيء في إشبونة⁽⁷⁾.

وأما المياه المعدنية (الحمات)، وهي عيون الماء الكبريتية الساخنة، فتواجدت في عدة مواضع بالأندلس، وكثر وجودها في شرقي بجانة، وكانت مياهها تتميز بالحرارة العالية، ولذا كان المرضى يقصدونها من كل جهات الأندلس، ويقيمون فيها إلى أن يتم شفاؤهم، كما كان يقصدها أهل المرية بكثرة، فيقضون بها فصل الربيع، وينفقون هناك الكثير من الأموال⁽⁸⁾. ومن الحمات المشهورة حمة بلقوار، وكانت تشتمل على بيتين مقبيين، أحدهما للرجال والآخر للنساء، وأصل العين كان في بيت الرجال⁽⁹⁾. وكان في أشبونة حمة⁽¹⁰⁾، وهناك أخرى تقع بالقرب من مالقة، وكانت تشتمل هي الأخرى على بيت للرجال وآخر للنساء⁽¹¹⁾، وقد عرف الأندلسيون فضل المياه الكبريتية الساخنة في علاج بعض الأمراض لاسيما داء المفاصل⁽¹²⁾.

وعدت بلاد الأندلس من البلاد المشهورة في صناعاتها المدنية والعسكرية، وتمتعنت بقدرة إنتاجية كبيرة، وخاصة في مجال الصناعات الغذائية، فاهتم الناس بحفظ الفواكه؛ إما

(1) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص295.

(2) الإدريسي، ج2، ص574.

(3) القزويني، آثار، ص497، 502، 574.

(4) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص583.

(5) م، ن، ج1، ص289.

(6) القزويني، آثار، ص(502، 552).

(7) م، ن، ص497.

(8) م، ن، ص509؛ شيخ الربوة، ص243؛ انظر للمقارنة: البكري، ص129؛ الإدريسي، ص200؛ العبادي، في تاريخ،

ص(84، 92)؛ الحميري، صفة، ص38.

(9) القزويني، آثار، ص512؛ ابن الأثير، الكامل، ج9، ص30.

(10) القزويني، آثار، ص496.

(11) الحموي، معجم البلدان، ج3، ص116؛ ابن بطوطة، ص587.

(12) ابن بشكوال، ق1، ص62.

بتجفيفها كما هو الحال مع التين والزبيب في مالقة⁽¹⁾، وألش⁽²⁾، وجزيرة يابسة⁽³⁾، ومدينة لورقة، لورقة، نظراً لتوفر المناخ الجيد في هذه المدينة⁽⁴⁾.

وعرفت طليطلة بقدرتها على حفظ القمح لسنين طويلة⁽⁵⁾، ويعزي القزويني ذلك إلى ملائمة تربتها ومناخها لتخزين المحاصيل⁽⁶⁾، وكان زيتون إشبيلية يخزن تحت الأرض أكثر من ثلاثين سنة⁽⁷⁾، وأما لورقة فكانت محاصيلها تبقى مطمورة⁽⁸⁾ تحت الأرض عشرين سنة لا تتغير⁽⁹⁾، وهذا ما يدل على براعة الأندلسيين في تخزين المحاصيل الزراعية والفواكه، وشجعهم وشجعهم على ذلك طبيعة الأرض والمناخ، وتقدم الفلاحة في بلادهم.

وذاع صيت الأندلس في العصر الأموي في صناعة النسيج⁽¹⁰⁾، وخاصة المنسوجات الحريرية، علماً أن الأندلس كانت تشتهر بزراعة التوت لملائمة مناخها لزراعته، ولهذا احترفوا تربية دودة القز التي تعيش على أوراق التوت⁽¹¹⁾، ومن أهم المدن التي نشطت في تربية دودة الحرير؛ مدينة جيان، وأشار الإدريسي إلى اشتغالها على آلاف المزارع⁽¹²⁾، وأما قرطبة فاشتهرت بصناعة المنسوجات منذ عهد الخليفة الأموي عبد الرحمن الأوسط (306-338هـ/

(1) الحموي، معجم البلدان، ج5، ص52؛ ابن سعيد، الجغرافيا، ص140؛ انظر للمقارنة: الإدريسي، ج2، ص565، (566)؛ الحميري، صفة، ص115.

(2) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص291؛ القزويني، آثار، ص502.

(3) الحموي، معجم البلدان، ج5، ص486.

(4) القزويني، آثار، ص556.

(5) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص45؛ الحميري، صفة، ص84؛ انظر: التركي، ص114.

(6) القزويني، آثار، ص545.

(7) م، ن، ص497.

(8) المطامير: جمع مطمار، وهو حفرة تحت الأرض تخبأ فيها الحبوب، أو وعاء كبير لخزن الحبوب. انظر: الرازي، ص192.

(9) القزويني، آثار، ص(555، 556).

(10) الحموي، معجم البلدان، ج5، ص140؛ ابن سعيد، الجغرافيا، ص140.

(11) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص289؛ القزويني، عجائب، ص(474، 475)؛ انظر: أبو مصطفى، تاريخ، ص189.

(12) الإدريسي، ج2، ص202.

918-949م)، الذي كان أول من أنشأ دور الطراز⁽¹⁾ بها، وكانت هذه الدور تعرف بالمناسج الحكومية⁽²⁾، لتخصصها في نسج ثياب الخلفاء والأمراء من الحرير المختوم المرقوم بالذهب المختلف الألوان، ومما أسهم في ذلك؛ وفرة الأقمشة الناعمة والمنسوجات الحريرية⁽³⁾. وكانت منتجات دار الطراز بقرطبة مما يهادى به، ويشير ياقوت إلى ازدهار صناعة الوشي⁽⁴⁾، والديباج⁽⁵⁾ بها، ولكنه يؤكد أن هذه الصناعة لم تلبث أن اضمحلت بعد سقوط الخلافة الأموية عام 422هـ/1031م، مما جعل مدينة المرية تتفوق على قرطبة⁽⁶⁾.

ومع مطلع القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، أخذت مدينة المرية تتبوأ شيئاً فشيئاً المركز الرئيس في صناعة المنسوجات الحريرية⁽⁷⁾، وخاصة في عصر المرابطين، فكان فيها ثمانمائة طراز من طرز الحرير⁽⁸⁾، وكان أهلها رجالاً ونساءً يشتغلون في صناعة المنسوجات والغزل والحياكة⁽⁹⁾، كما راجت فيها صناعة الديباج والحلل الموشى⁽¹⁰⁾، ونسيج السقلاطون (الاسقلاطون)⁽¹¹⁾، وهو نسيج رقيق الملمس سميك الصنعة مطرز بالذهب، وردي

(1) دار الطرز: لفظ الطراز مشتق من الكلمة الفارسية "ترازيدين" بمعنى التطريز والتزيين، ثم أصبح يدل على ملابس الخليفة وحاشيته، وكان تطرز باسم الخليفة الذي نسجت في عهده، فضلاً عن التاريخ وبعض العبارات الدعائية، ثم أصبح يطلق على المكان والمصنع الذي تنسج فيه مثل تلك الأقمشة. انظر: فيروز آبادي، ج2، ص187؛ الدوري، 106.

(2) ابن خلدون، مقدمة، ص(266، 267)؛ انظر: مرزوق، ص23.

(3) ابن حوقل، ص110؛ ابن عذاري، ج2، ص136؛ ابن الخطيب، ص20؛ ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص138؛ المقري، ج1، ص234؛ انظر: سالم، قرطبة، ص(154، 155).

(4) الوشي: من أنواع المنسوجات الحريرية الذي يدخل في نسجه الخيوط الذهبية. انظر: مصطفى وآخرون، ص1036؛ الدوري، ص103.

(5) الديباج: مشتق من الديج، وهو النقش والتزيين، فارسي معرب، وهو نوع من المنسوجات الحريرية التي تزددان بالزخرفة الرائعة، وتتسم بالمتانة والجودة، ولهذا كانت ترتفع أسعاره في الأندلس، وكانت تشتهر بإنتاجه آسيا الصغرى، فعرف أيضاً بالديباج الرومي. انظر: المسعودي، ج1، ص312؛ ابن الوردي، ص69؛ مرزوق، ص106؛ أبو مصطفى، تاريخ، ص234.

(6) الحموي، معجم البلدان، ج5، ص119.

(7) م، ن، ص140.

(8) الإدريسي، ج2، ص562؛ ابن الوردي، ص69؛ الفلقشندي، صبح، ص217؛ الحميري، صفة، ص120؛ مقديش، ج1، ص159؛ انظر: أرسلان، ج1، ص118.

(9) الزهري، ص102.

(10) الحموي، معجم البلدان، ج5، ص140.

(11) الإدريسي، ج2، ص562.

اللون، وكان معروفاً في بلاد اليونان، ثم انتقل فن نسجه إلى بلاد العرب، وتخصصت بغداد في صناعته، وكان يعرف فيها باسم السقلاطون البغدادي⁽¹⁾.

واشتهرت بلاد الأندلس بالمنسوجات الأصبهانية⁽²⁾، والجرجانية⁽³⁾، ويبدو من خلال تسميتهما أنهما كانا ينتسبان إلى هذين البلدين، وكذلك اشتهرت بتصنيع ثياب العتابي⁽⁴⁾، وهو نوع من النسيج ينسج من خيوط القطن والحريز، وتكون رقيقة الملمس بديعة الصنعة، وتصبغ بعد إتمام نسجها بلونين أو أكثر، كالأبيض والأسود، أو الأحمر والأصفر، وقد برع البغداديون من سكان محلة العتابية في غربي بغداد في نسجها، فنسبت لهم، وانتقلت إلى المغرب ومنها إلى الأندلس، واشتهرت المرية بتصنيعه، وقد عرف الإيطاليون والفرنسيون صناعة المنسوجات العتابية في العصور الوسطى عن طريق الأندلس⁽⁵⁾.

وأما أهم المراكز الأخرى لصناعة النسيج في الأندلس: مالقة، ومرسية⁽⁶⁾⁽⁷⁾، والبيرة التي كانت أيضاً تشتهر بصناعة المنسوجات الكتانية⁽⁸⁾، وساعدت وفرة الصوف وشدة البرد في الشتاء على إقبال الأندلسيين على لبس الصوف، ومن المنسوجات الصوفية الثمينة صوف البحر الذي يحصل عليه من دابة بحرية تسمى أبا قلمون، وعرف هذا النوع من الصوف في مدينة شنترين⁽⁹⁾، وكذلك كان يصنع من وبر السمور معاطف الفراء، وهي ضرورية لتجنب برد الأندلس القارس، خاصة في المناطق الشمالية، واختصت بصناعته سرقسطة⁽¹⁰⁾، وأما مدينة

(1) الثعالبي، لطائف، ص215، النويري، نهاية، ج1، ص372؛ انظر: أبو الفضل، تاريخ، 174؛ الدوري، ص101.
(2) أصبهان: وتعرف أصفهان، من أشهر مدن بلاد فارس. انظر: القزويني، آثار، ص296؛ الحميري، الروض، ص43.
(3) جرجان: مدينة في بلاد فارس، تقع بالقرب من طبرستان. انظر: القزويني، آثار، ص348.
(4) الإدريسي، ج2، ص562؛ ابن جبير، رحلة، ص226؛ ابن الوردي، ص69؛ مقديش، ج1، ص159.
(5) المقدسي، ص323؛ انظر: أبو الفضل، ص174، 175؛ أبو مصطفى، تاريخ، ص234.
(6) مرسية: قاعدة بلاد تدمير الواقع إلى الشرق من قرطبة. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج5، ص125؛ الحميري، ص539.
(7) ابن سعيد، الجغرافيا، ص140؛ المقرئ، ج4، ص207؛ انظر: ارسلان، ص232؛ العبادي، في تاريخ، ص77.
(8) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص289.
(9) القزويني، آثار، ص542؛ انظر للمقارنة: المقدسي، ص119؛ الإصطخري، ص42.
(10) الحموي، معجم البلدان، ج3، ص240؛ المقرئ، ج1، ص184.

لبلة، فكانت تشتهر بالأديم⁽¹⁾ الطيب، ويصفه القزويني بأنه يحاكي الأديم الطائفي⁽²⁾. وراجت في في الأندلس صناعة البسط، التي تستخدم في فرش أرضيات المساجد ودور الأثرياء وتزيين الجدران، وخاصة في القرنين السادس والسابع الهجريين⁽³⁾، وأهم مراكزها أُنش، التي امتازت بفخامة بسطها⁽⁴⁾، وأما جبل ونشريش فقد امتاز بتصنيع البسط الملوكية⁽⁵⁾.

ومن الصناعات الأندلسية المهمة؛ صناعة الورق(الكاغد)، وقد عرفت فيه مدينة شاطبة، فصنع فيها الكاغد الجيد، وكان يصدر منها إلى سائر البلاد الأندلسية⁽⁶⁾. هذا بالإضافة إلى الصناعات الخشبية، خاصة الأثاثية والحربية⁽⁷⁾، وكانت أخشاب الساج اللازمة لصناعة الآلات والصواري تجلب من جبال طرطوشة⁽⁸⁾، هذا فضلاً على وفرة خشب الصنوبر في المدينة الذي لم يكن يعرف له نظير في البلاد الأندلسية، ويتميز خشبه بطوله وغلظه، ومقاومته للتسوس لفترات طويلة⁽⁹⁾، واستخدمت الأخشاب في يابسة في تصنيع المراكب البحرية⁽¹⁰⁾.

الأوضاع التجارية في بلاد المغرب والأندلس

ازدهرت الحركة التجارية الداخلية والخارجية في بلاد المغرب، نتيجة الازدهار الزراعي والصناعي، وبسبب كثرة الموانئ والمراسي البحرية، التي كانت تعد محطات لانتقال المسافرين إلى كافة الأقطار، علاوة على كونها محطات تجارية لنقل البضائع عبرها، ومن أهم هذه الموانئ الكبيرة ميناء تونس. فقد كانت ترسو فيه السفن الكبيرة والصغيرة⁽¹¹⁾، ويسمى

(1) الأديم: الجلد المدبوغ. انظر: الرازي، ص15؛ فيروز آبادي، ج4، ص74.

(2) الحموي، معجم البلدان، ج5، ص11؛ القزويني، آثار، ص555.

(3) مرزوق، ص436؛ الدوري، ص105.

(4) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص291؛ القزويني، آثار، ص502.

(5) ابن سعيد، الجغرافيا، ص141.

(6) الحموي، معجم البلدان، ج3، ص351.

(7) حتاملة، ص1038.

(8) القزويني، آثار، ص545؛ الحميري، صفة، ص124.

(9) الإدريسي، ج2، ص555؛ الحميري، صفة، ص81؛ انظر: ارسلان، ج1، ص138.

(10) الحموي، معجم البلدان، ج5، ص486.

(11) ابن سعيد، الجغرافيا، ص143.

بمرسى رادس لكونه على بحر رادس⁽¹⁾، وكانت السفن تلجأ إليه في فصل الشتاء بسبب الرياح أو لإصلاح الأعطاب⁽²⁾. ويعود الفضل في إنشائه إلى حسان بن النعمان، بهدف الوقوف في وجه وجه هجمات الروم، وبنى داراً لصناعة السفن عند خليج رادس، فصار من أكبر موانئ الإسلام على البحر المتوسط⁽³⁾.

ومن الموانئ المغربية ميناء سبتة، وكان يعد محطة للتجارة والسفر⁽⁴⁾، وميناء وهران الواقع على البحر المتوسط⁽⁵⁾، ومرسى أغمات القديم عند مصب نهر نفيس في المحيط الأطلسي⁽⁶⁾، وميناء مسينة على سواحل جزيرة صقلية، ويقال إن الإسكندر قد صنعه بالنقر في الحجر⁽⁷⁾. ومن المراسي الأخرى مرسى طبرقة، وكان على هيئة حوض منقور في حجر، وفيها وفيها بقايا أسوار مدينة طبرقة⁽⁸⁾، واشتهر بكثرة ورود المسافرين والتجار عبره، وخاصة الأندلسيين⁽⁹⁾، وبالقرب من طبرقة مرسى الخزر الذي عد مرفأً للسفن الحربية المخصصة لغزو بلاد الروم⁽¹⁰⁾، ومن أجل تصدير المرجان إلى مختلف البلدان⁽¹¹⁾. ولمدينة المهديّة مرسى للمراكب منقور من حجر الصلد يتسع لثلاثين مركباً، وكان على المرسى برجان بينهما سلسلة

(1) البكري، ص37؛ الحميري، الروض، ص265، 266.

(2) ابن سعيد، الجغرافيا، ص 143؛ انظر للمقارنة: ابن حوقل، ص77.

(3) القيرواني، ص(87، 88)؛ البكري ص38، 39؛ التجاني، ص(6، 7)؛ كاتب مراكشي، ص120؛ ابن عذاري، ج1، ص38؛ النويري، ص(24، 28)؛ ابن أبي دينار، المؤنس، ص7؛ المالكي، رياض، ج1، ص(6، 7).

(4) ابن سعيد، الجغرافيا، ص139؛ انظر للمقارنة: ابن حوقل، ص79؛ شيخ الربوة، ص235؛ أبو الفداء، ص133.

(5) ابن سعيد، الجغرافيا، ص140؛ انظر للمقارنة: ابن حوقل، ص79؛ البكري، ص71؛ كاتب مراكشي، ص(133، 134)؛ الوزان، ج2، ص9.

(6) ابن سعيد، الجغرافيا، ص125.

(7) م، ن، ص169.

(8) م، ن، ص147.

(9) ابن حوقل، ص76؛ البكري، ص57؛ كاتب مراكشي، ص127؛ الإدريسي، ج1، ص289؛ شيخ الربوة، ص235؛ أبو الفداء، ص143.

(10) ابن سعيد، الجغرافيا، ص 143؛ انظر للمقارنة: ابن حوقل، ص77؛ البكري، ص55؛ كاتب مراكشي، ص126.

(11) كاتب مراكشي، ص126.

حديد، وإذا أرادوا أن تدخل سفينة أو مركب، أرسل حراس البحر السلسلة حتى تدخل السفينة ثم مدوها كما كانت، خوفاً من دخول مراكز الروم⁽¹⁾.

ولعل كثرة الموانئ ووفرة الموارد وازدهار الزراعة والصناعة، كل ذلك أدى إلى انتشار الأسواق التجارية، واقتربت هذه الأسواق بورشات الحرف الصناعية والحرفية، ولذا كانت الأسواق التجارية في المغرب تشكل محوراً للحياة الاقتصادية. وكلمة السوق لا تعني مكاناً محدداً بحدود ثابتة، وإنما يقصد به الموضع التي يجتمع فيها التجار والباعة، وتقام فيه الحوانيت للبيع والشراء على نحو متواصل، فالسوق قد يكون في الشوارع، أو في ميدان، أو في أرباض بالقرب من أبواب المدينة⁽²⁾، وكان كل سوق من أسواق بلاد المغرب يختص بنوع معين من السلع⁽³⁾، ولم تختلف أسواق المغرب في بنيتها وتنظيمها عن باقي أسواق البلدان الإسلامية الأخرى، فقد كانت معظم هذه الأسواق ذات نظم وقوانين متشابهة⁽⁴⁾.

وقد اشتهرت الحواضر المغربية بكثرة أسواقها ومتاجرها، ومن ذلك مدينة تونس⁽⁵⁾، ومدينة أكرسيف الواقعة على بعد خمسة أيام من فاس، وكان يعقد فيها سوق في كل يوم خميس يجتمع له ممن حولها من القرى، ووجدت أسواق كثيرة في أكستتلا، أوجلة، وأوداغست، وبرقة⁽⁶⁾، وأقيمت الأسواق في بنزرت، وتنس، وبسكرة، ومدينة جادوا الواقعة على جبل نفوسة⁽⁷⁾، وسفاس⁽⁸⁾، وكان في طراق سوق حافل، وكذلك في القيروان ورقادة⁽⁹⁾، وفي مرسى مرسى الدجاج⁽¹⁰⁾.

(1) الحموي، معجم البلدان، ج5، ص(267، 268)؛ القزويني، آثار، ص276؛ انظر للمقارنة: كاتب مراكشي، ص118.

(2) أبو مصطفى، تاريخ، ص297.

(3) الونشريشي، ج3، ص(157، 217)، ج10، ص(242، 409)، ج11، ص125.

(4) مسعد، العلاقات، 152.

(5) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص71.

(6) م، ن، ج1، ص(284، 285، 328، 330، 463).

(7) م، ن، ج2، ص(56، 107، 502، 593).

(8) م، ن، ج3، ص252.

(9) م، ن، ج4، ص(31، 412، 63).

(10) م، ن، ج5، ص125.

وعدت مدينة سجلماسة ومنطقتها من المحطات التجارية المهمة التي ربطت بلاد المغرب بعلاقات تجارية خارجية مع جهات عديدة، نظراً لما تمتعت به من ثروة زراعية وحيوانية ونسيجية متنوعة، فضلاً عن مناخها وموقعها المحوري على شبكة الطرق التجارية، فقد ربطت بين مختلف أجزاء بلاد المغرب من جهة، وبين مناطق جنوب الصحراء وبلاد المشرق من جهة أخرى، وبخاصة خلال العصر المرابطي، وهذا ما انعكس على أهلها فأصبحوا من أغنى الناس بالأموال والذهب، لكثرة الوارد إليها والصادر منها⁽¹⁾. ونظراً لموقع مدينة سجلماسة سجلماسة على الطريق البري الوحيد الموصل لغانة وبلاد السودان؛ فقد كان يجتمع فيه التجار من سائر المغرب للوصول إلى تلك البلاد، من أجل الحصول على الذهب والمتاجرة به وتصديره إلى كافة الأقطار⁽²⁾، وعلى الرغم من صعوبة الطريق الواصل بين كلا المنطقتين، لكونها أرضاً صحراوية؛ إلا أن ذلك لم يؤثر سلباً على حركة التجارة، ولعب السماسرة دوراً كبيراً في هذه الحركة⁽³⁾. ومن أهم السلع المتبادلة التي شكلت محور العملية التجارية: الملح، وخشب الصنوبر، والأرز، وخرز الزجاج، والحلي كالأساور والحلق والخواتم النحاسية، التي كانت بلاد المغرب تصدرها إلى بلاد السودان وغيرها من البلدان، وأما أهم وارداتها: الذهب والرقيق والعاج⁽⁴⁾. ويستدل من ذلك على أن العلاقة بين كلا المنطقتين، كانت تقوم على أساس التبادل التجاري، نتيجة تنوع المنتجات، ورغبة المناطق الشمالية في الحصول على الذهب والرقيق والعاج، ورغبة مناطق الجنوب في الحصول على مصنوعات الشمال وأهمها الملح⁽⁵⁾.

ومن المراكز التجارية الهامة الأخرى، مدينة درعة الواقعة بالقرب من سجلماسة⁽⁶⁾، نظراً لما كانت تشتهر به من المحاصيل؛ وأهمها الكرويا والنيلاج والحناء، وجاد فيها الحناء حتى

(1) الحموي، معجم البلدان، ج3، ص217؛ القزويني، آثار، ص42؛ المقدسي، ص132؛ ابن حوقل، ص(61،90)؛ البكري، ص(148،151)؛ أبو الفداء، ص157؛ انظر: زايد، ص(112، 115).

(2) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص208؛ القزويني، آثار، ص57؛ انظر للمقارنة: الإدريسي، ج1، ص4.

(3) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص(14، 15)؛ القزويني، آثار، ص19.

(4) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص(14،15)؛ القزويني، آثار، ص19. انظر للمقارنة: ابن حوقل، ص99؛ كاتب مراكشي، ص200؛ القلقشندي، صبح، ج5، ص164؛ الوزان، ج2، ص126؛ مسعد، ص144.

(5) زايد، ص63.

(6) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص513.

عدت المركز الرئيسي لإنتاجه، وصُدِّرَ إلى مختلف البلدان لجودة نوعه، وكان التجار يميزونه عن غيره من إنتاج المناطق الأخرى⁽¹⁾، إضافة إلى غناها بمعدن الفضة، الذي كانت تحمله القوافل التجارية إلى البلدان البعيدة ومنها السودان⁽²⁾، وكان في مدينة درعة الكثير من الأسواق التجارية، التي كانت تعقد بشكل يومي وفي مواضع مختلفة⁽³⁾.

ولم يقتصر وجود المراكز التجارية على المناطق الداخلية، بل اشتهرت سواحل بلاد المغرب هي الأخرى بكثرة موانئها وتعدد مراكزها التجارية الساحلية، ومن أهم مدن هذه المراكز، مدينة مرسى الخزر، نظراً لغنى سواحلها بالمرجان⁽⁴⁾، فقصدها التجار من كل مكان لاستخراجه، وكان مرجانها لا يوجد له نظير في البلاد من حيث الجودة والغزارة، ولهذا كان أهلها يعتمدون بشكل أساسي في معيشتهم على صيده، فشكل لهم مصدراً مالياً مهماً⁽⁵⁾.

ومن المراكز التجارية الأخرى المهمة: مدينة سبتة، وعد مرساها من أجود المراسي البحرية⁽⁶⁾، وترجع أهمية هذه المدينة لكونها تربط بين المغرب والأندلس، ويقول ابن سعيد: "وهذه المدينة بين بحرين وهي ركاب البحرين تشبه الإسكندرية في كثرة الحط والقلاع وفيها التجار الأغنياء الذين يتبايعون المركب بما فيه من بضائع الهند وغيرها في صفقة واحدة"⁽⁷⁾. ومن المراكز المهمة الأخرى قلعة أبي الطويل، التي كان التجار يجتمعون فيها من الحجاز والعراق ومصر والشام، وسائر بلاد المغرب⁽⁸⁾، ثم يأتي بعد ذلك ميناء طبرقة، الذي كان التجار يقصدونه بكثافة، وتميز هذا الميناء بسعته؛ مما مكن السفن الكبيرة من الرسو فيه والإقلاع منه بسهولة ويسر⁽⁹⁾.

(1) الإدريسي، ج1، ص227؛ كاتب مراكشي، ص206؛ القلقشندي، صبح، ج5، ص171.

(2) ابن خردابة، المسالك، ص88؛ القلقشندي، صبح، ج5، ص286.

(3) البكري، ص152.

(4) الحموي، معجم البلدان، ج5، ص125؛ القزويني، آثار، ص261.

(5) ابن حوقل، ص77؛ مقديش، ج1، ص124.

(6) الحموي، معجم البلدان، ج3، ص206.

(7) ابن سعيد، الجغرافيا، ص139.

(8) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص442؛ انظر للمقارنة: البكري، ص49.

(9) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص18؛ شيخ الربوة، ص235؛ انظر للمقارنة: ابن حوقل، ص76.

ومما سجلته المصادر الجغرافية حول صادرات بلاد المغرب؛ فقد صدرت القمح، وكانت تعد مدينة كدال من أهم مراكزه، نظراً لكثافة إنتاجه فيها⁽¹⁾، وأما قمح مدينة مكناسة، فتميز هو الآخر بجودته الفائقة، ووصل إلى بلاد الأندلس⁽²⁾، ومن الصادرات الأخرى زيت الزيتون، وكانت مدينة سفاقس تعد مصدراً أساسياً من مصادره، ووصل زيتها إلى مصر وصقلية وبلاد الروم⁽³⁾. وعد النخيل ومنتجاته من أهم الصادرات المغربية، انطلاقاً من مدينة أوجلة جنوبي بركة، لغزارة إنتاجها وجودته، وكانت تصدره إلى مصر وبلاد السودان⁽⁴⁾، كما صدر من ودان إلى الكثير من الأقطار⁽⁵⁾، وخاصة صنف التمر المسمى البرني المعروف بجودته⁽⁶⁾.

وصدرت البلاد المغربية الأرز إلى مختلف البلاد، انطلاقاً من مدينة غماره⁽⁷⁾، وأما الملح فعد هو الآخر من أهم السلع التجارية الصادرة من المغرب إلى بلاد السودان بشكل خاص، ومن أهم مراكز تصديره مدينة سجلماسة وتغارة وكدالة، وكان تجار بلاد السودان يبيعون كل وقر منه بمائة دينار، فعد المورد الاقتصادي الأساسي لأهل تلك المدن⁽⁸⁾. وصدر المغاربة أيضاً مادة الزجاج، من نفرواة إلى الإسكندرية، إلى جانب تصديرها للمنتجات الصوفية⁽⁹⁾، وأما مسراته؛ فصدرت الخيول إلى مصر، لأنها كانت تشتهر بتربية أجود أنواعها⁽¹⁰⁾.

(1) القزويني، آثار، ص244.

(2) الحموي، معجم البلدان، ج5، ص(210، 343).

(3) م، ن، ج3، ص252؛ انظر للمقارنة: الإدريسي ج1، ص281؛ كاتب مراكشي، ص117؛ شيخ الربوة، ص234؛ التجاني، ص68؛ مقديش، ج1، ص109.

(4) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص126، 328؛ ابن سعيد، الجغرافيا، ص126؛ انظر للمقارنة: البكري، ص13، 6؛ الإدريسي، ج1، ص312؛ الحميري، الروض، ص64؛ الوزان، ج2، ص109.

(5) الحموي، معجم البلدان، ج5، ص421؛ ابن سعيد، الجغرافيا، ص127.

(6) اليعقوبي، البلدان، ص134؛ البكري، ص11؛ الإدريسي، ج1، ص115؛ أبو الفداء، ص127.

(7) ابن سعيد، الجغرافيا، ص139.

(8) القزويني، آثار، ص26؛ ابن سعيد، الجغرافيا، ص113.

(9) ابن سعيد، الجغرافيا، ص127.

(10) م، ن، ص146.

أما بلاد الأندلس فتميزت بتعدد موانئها ومراكزها التجارية سواء على البحر المتوسط، أو المحيط الأطلسي، ما كان له أثره في انتعاش حركة التجارة الخارجية، ومن المحطات المهمة في الأندلس؛ مدينة المرية نظراً لتمتعها بمرفأً ومرسى كبير للسفن والمراكب التجارية⁽¹⁾، وكانت وكانت تعد من أهم المراكز التجارية البحرية في الأندلس منذ عصر الخلافة الأموية، وبلغت ذروة ازدهارها التجاري في عصر المرابطين⁽²⁾، فمن مينائها، كانت تبحر السفن إلى شرق البحر المتوسط وإلى المغرب محملة بالمنتجات الأندلسية، وربما يعود هذا الازدهار إلى موقعها وصلاتها الوثيقة مع المراكز التجارية المتوسطية، وخاصة مع موانئ بلاد المغرب، فكانت السفن تتردد بينها وبين ثغور المغرب⁽³⁾، ويشير الإدريسي إلى أنه كانت تقصدها مراكب البحر من الإسكندرية والشام، وأنه لم يكن بالأندلس كلها أيسر من أهلها مالاً، ولا أتعبر منهم في الصناعات تصريفاً وادخاراً⁽⁴⁾.

وعدت مدينة مالقة هي الأخرى من بين أهم الثغور الأندلسية المطلّة على البحر المتوسط؛ وتميز ميناؤها بأهميته التجارية، نظراً لموقعها الجغرافي على طرق المواصلات البحرية؛ ولكونها من القواعد التجارية البحرية لشحن السفن أم تفرغها، وكذلك لوفرة إنتاجها الزراعي ونشاطها الصناعي⁽⁵⁾. ومن المحطات التجارية البحرية المهمة؛ مدينة دانية، من أعمال أعمال بلنسية، التي اشتملت على مرسى للسفن⁽⁶⁾، وكذلك مدينة طرطوشة⁽⁷⁾.

وعرفت بلاد الأندلس بغناها بالإنتاج الزراعي، والصناعي، والمعدني الذي كان يفيض عن حاجات أهلها، مما رفع من مستوى التصدير فيها، وعدت المنتجات الزراعية من أهم

(1) الحموي، معجم البلدان، ج5، ص(52، 140).

(2) الإدريسي، ج2، ص563؛ الزهري، ص102؛ ابن الوردي، ص69؛ أبو الفداء، ص177؛ الحميري، صفة، ص120، 119؛ انظر: العبادي، في تاريخ، ص83؛ أبو مصطفى، تاريخ، ص352.

(3) ابن سعيد، المغرب، ج2، ص193.

(4) الإدريسي، ج2، ص563؛ الحميري، صفة، ص(183، 184)؛ انظر: ارسلان، ج1، ص119.

(5) الحموي، معجم البلدان، ج5، ص140؛ الفلقشندي، صبح، ج5، ص219؛ المقرئ، ج1، ص206؛ انظر: أبو مصطفى، تاريخ، ص354.

(6) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص494؛ انظر للمقارنة: الإدريسي، ج2، ص557.

(7) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص34.

الصادرات الأندلسية، وكان لتجارة الزيت أهمية كبيرة في بلاد حوض البحر المتوسط. ونظراً لوفرة الزيتون في الأندلس فقد أنتجت كميات كبيرة من الزيت، تفي بحاجة الاستهلاك المحلي ويبقى الفائض للتصدير، وخاصة إلى مدن البحر المتوسط مثل الإسكندرية، وجزيرة اقریطش⁽¹⁾ وأفريقية، والمغرب، والممالك المسيحية الإسبانية وبلاد الروم⁽²⁾. وعتد مدينة إشبيلية من أهم المدن الأندلسية التي اشتهرت بتصديره إلى البلاد الإسلامية الواقعة في حوض البحر المتوسط؛ نظراً لوفرتة، ولما كان يتمتع به من جودة عالية، ومن أجل الاستمرار بهذا الدور؛ أقام الإشبيليون الآلاف من المعاصر لاستخراج زيت الزيتون⁽³⁾.

واختصت الأندلس بتصدير التين المجفف الذي اشتهرت به إشبيلية، وشلب، ومالقة، وكان يصدر إلى بلاد المغرب، ومصر، والشام، وربما وصل إلى الهند، وكان التين الأندلسي لا سيما تين مالقة يمتاز بطيبه وجودته⁽⁴⁾، كما صُدر اللوز المألقي إلى بلاد الروم وأفريقية ومصر⁽⁵⁾، وأما الزبيب فقد اختلفت به ألش، وكان يتجهز به إلى جميع البلاد الأندلسية، ومناطق أخرى من العالم، إذ كان من خاصيته أنه يحفظ لمدة طويلة دون أن يطرأ عليه أي تغير⁽⁶⁾. ودخل نبات الزعفران في نطاق الصادرات الأندلسية، ومن أهم مناطق تصديره، بلنسية بلنسية وبسطة وبياسة⁽⁷⁾، وكانت إشبيلية تعد ركيزة أساسية لإنتاجه بما يكفي حاجات الأندلس، وتصدير الفائض إلى كثير من الأصقاع⁽⁸⁾، وأما باغة هي الأخرى فاشتهرت به وصدّرتة إلى

(1) جزيرة اقریطش: كريت، جزيرة في البحر المتوسط، بينها وبين جزيرة صقلية تسعمائة ميل. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج1، ص280؛ الحميري، ص51.

(2) الإدريسي، ج2، ص541، الزهري، ص(89، 132)؛ الحميري، الروض، ص(19، 101)؛ المقري، ج1، ص199.

(3) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص232؛ القزويني، آثار، ص497؛ انظر للمقارنة: الإدريسي، ج2، ص541؛ الحميري، صفة، ص14؛ المقري، ج1، ص139؛ مقديش ج1، ص161؛ انظر: السيد، تاريخ، ص134.

(4) الحموي، معجم البلدان، ج5، ص52؛ ابن سعيد، الجغرافيا، ص140؛ الإدريسي، ج2، ص(570، 574)؛ الحميري، صفة، ص115؛ انظر: ارسلان، ج1، ص123.

(5) الزهري، ص93.

(6) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص291؛ القزويني، آثار، ص502، انظر للمقارنة: الإدريسي، ج2، ص557.

(7) الإدريسي، ج1، ص189؛ الحميري، الروض، ص193؛ المقري، ج4، ص204.

(8) الحميري، الروض، ص96.

سائر البلاد المغربية⁽¹⁾. كما صدر الأندلسيون العصفري الإشبيلي واللبي الذي لا نظير له⁽²⁾، ومن ومن المواد الخام الأولية التي كانت تصدرها الأندلس القطن الإشبيلي الذي كانت تعتمد عليه مدن أفريقية في صناعة المنسوجات⁽³⁾، ثم حرير البيرة الذي كان يصدر إلى كل بلدان المشرق⁽⁴⁾، واشتهرت الأندلس أيضاً بالنباتات الطبية وخاصة الجنطيانا، وكان يتوفر في لبلنة ويحمل منها إلى جميع الآفاق⁽⁵⁾.

وكان للمنسوجات الأندلسية شهرة كبيرة في جميع أنحاء العالم في العصور الوسطى، وبرزت المرية ومرسية ومالقة كأهم مراكز تصدير الحلل الموشاة، التي لقيت رواجاً كبيراً في الإسكندرية والشام والهند⁽⁶⁾، وصدرت إلى اليمن ومكة⁽⁷⁾. ومن الصادرات الأندلسية: الورق (الكاغد)، واشتهرت بتصديره مدينة شاطبة، وكان له سوق نافق في المشرق والمغرب⁽⁸⁾، وأخيراً؛ الخشب، وصدرته مدينة لتتكش الواقعة في أعمال جيان إلى سائر البلاد الأندلسية وإلى الكثير من الأقطار⁽⁹⁾.

(1) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص(387، 388).

(2) القزويني، آثار، ص555.

(3) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص232؛ الحميري، صفة، ص21.

(4) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص289.

(5) م، ن، ج5، ص12.

(6) م، ن، ج5، ص119؛ ابن سعيد، الجغرافيا، ص140. انظر للمقارنة: الإدريسي، ج2، ص565، 570؛ الزهري، ص31؛ أرسلان، ج1، ص(119، 232).

(7) ابن حوقل، ص114.

(8) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص112؛ انظر للمقارنة: الإدريسي، ج2، ص565.

(9) الحموي، معجم البلدان، ج5، ص14.

الفصل الرابع
الأوضاع العمرانية
في بلاد المغرب والأندلس

العمارة المدنية

العمارة الدينية

العمارة العسكرية

الفصل الثالث

الأوضاع العمرانية في بلاد المغرب والأندلس

العمارة المدنية

حقق المسلمون في بلاد المغرب والأندلس الكثير من الإنجازات الحضارية على مختلف المستويات، وخاصة العمرانية المدنية والحربية منها، فبنوا المدن وعمروها بمختلف المرافق الحيوية، ولم تهمل مصادر الدراسة التطرق لهذا الأمر. ولعل من أهم هذه المدن؛ مدينة تونس في بلاد المغرب الأدنى، الواقعة على بعد عشرة أميال من مدينة قرطاجنة. فعندما ولي حسان بن النعمان (ت. 86هـ/705م)⁽¹⁾ بلاد المغرب في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (65-86هـ/684-705م)؛ تمكن من فتح قرطاجنة، ولما ملكها هدمها⁽²⁾، وبنى من حجارته ورخامها عدة مدن، ومنها مدينة تونس⁽³⁾. وسوف يلاحظ أن مصادر الدراسة لم تتطرق لجميع المدن التي أنجزها المسلمون بعد الفتح، ومن المدن التي أشارت إليها؛ مدينة العباسية التي بناها إبراهيم بن الأغلب بن سالم (184-196هـ/80-812م)⁽⁴⁾ بالقرب من القيروان، ونسبها إلى بني العباس، وصارت دار ملك بني الأغلب⁽⁵⁾.

ومن أعظم الإنجازات الحضارية التي حققها الأدارسة (172-375هـ/788-985م) في بلاد المغرب، قيامهم بإنشاء مدن كثيرة أصبحت مراكز مهمة لنشر العلم والثقافة العربية الإسلامية، وتعد مدينة فاس في مقدمة هذه المدن. وانقسمت المدينة إلى عدوتي القرويين والأندلسيين، وبينهما نهر يسمى وادي فاس⁽⁶⁾، وقد اتفقت المصادر على أن مدينة فاس بنيت

(1) حسان بن النعمان: بن عدي الأزدي الغساني، أحد قادة الفتوح الإسلامية، لقب بالشيخ الأمين، تولى فتح بلاد المغرب وولايتها في عهد عبد الملك بن مروان، توفي في أرض الروم سنة 86هـ/705م. انظر: ابن عذاري، ج1، ص(24-27)؛ الزركلي، ج2، ص177.

(2) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص368؛ الناصري، ص43.

(3) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص368؛ المراكشي، المعجب، ص252.

(4) إبراهيم بن الأغلب بن سالم التميمي: والي العباسيين على أفريقية، وهو مؤسس إمارة الأغالبة في أفريقية، وكان فقيهاً وعالماً وشاعراً وخطيباً. انظر: القيرواني، ص251؛ النويري، ج24، ص105.

(5) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص85، ص411.

(6) م، ن، ج4، ص261؛ القزويني، آثار، ص102.

على مرحلتين؛ الأولى، وأسست فيها عدوة القرويين على الضفة اليمنى من وادي فاس، والثانية عدوة الأندلسيين والتي اختطت على الجانب الأيسر من الوادي⁽¹⁾. ويعود تاريخ بناء مدينة فاس إلى نهاية القرن الثاني الهجري، ويبدو أن الأمر قد اختلط على الحموي حين ذكر أن عدوة الأندلسيين قد أسست سنة 192هـ/ 808م، وفي السنة التالية أسست عدوة القرويين، في ولاية إدريس بن إدريس الفاطمي (177-213هـ/ 793-828م)⁽²⁾⁽³⁾، ويرى بروفنسال، أحد المؤرخين المحدثين، أن القرويين من بناء إدريس الأول في سنة 172هـ/ 788م، وأما الأندلسيين فمن بناء إدريس الثاني في سنة 192هـ/ 808م⁽⁴⁾ وهو الرأي الأقرب إلى الصحة. ومن المدن التي أشارت إليها مصادر الدراسة؛ مدينة تنس على يد البحريين من أهل الأندلس في عام 262هـ/ 876م⁽⁵⁾، ومنهم الكركدن وابن عائشة، والصقا، وصهيب، وغيرهم، وقد خربها الماء وهدمها في حدود سنة 620هـ/ 1223م⁽⁶⁾.

ومن مدن الدولة الفاطمية؛ مدينة المهديّة، نسبة لبانيها عبيد الله المهدي (297-322هـ/ 909-934م)⁽⁷⁾⁽⁸⁾، على رأس بري داخل في مياه الساحل الشرقي التونسي، مما جعلها تتمتع بالمنعة والقوة، فعرفت بجزيرة الخلفاء، وكان المهدي قد شرع في بنائها في سنة 300هـ/

(1) البكري، ص 115؛ الإدريسي، ج 1، ص 242؛ كاتب مراكشي، ص 180؛ أبو الفداء، ص 133؛ ابن عذارى، ج 2، ص 211؛ القلقشندي، صبح، ج 5، ص 153؛ الناصري، ص 73؛ الحميري، الروض، ص (434، 435).

(2) إدريس بن إدريس بن عبد الله: إدريس الثاني، ثاني ملوك الأدراسة في المغرب الأقصى، كان حافظاً للقرآن، عالماً بالحديث والسنة والفقه والعربية، حاذقاً في الشعر، والرمي بالسهم، وكان على دراية بمكائد الحروب، بويع سنة 177هـ/ 793م، وهو ابن إحدى عشرة سنة، مات مسموماً سنة 213هـ/ 828م. انظر: الناصري، ص (70-75)؛ الزركلي، ج 1، ص 278.

(3) الحموي، معجم البلدان، ج 4، ص 261؛ القزويني، آثار، ص 102؛ كاتب مراكشي، ص 180؛ الناصري، ج 1، ص 73.

(4) بروفنسال، الإسلام، ص (15، 21)؛ محمد، محاضرات، ص 270.

(5) الحموي، معجم البلدان، ج 2، ص 57؛ ابن عذارى، ج 1، ص 117؛ الحميري، الروض، ص 138.

(6) الحموي، معجم البلدان، ج 2، ص 57.

(7) عبيد الله المهدي (297-322هـ/ 909-934م): الإمام الفاطمي أبو محمد عبيد الله بن الحسن، نسب إلى علي بن أبي طالب، وسمي بالمهدي، وزعم أنه كان ابن يهودي من أهل سلمية الشام، وكان اسمه سعيداً فلما صار الأمر إليه سمي عبيد الله. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج 5، ص 267. انظر للمزيد من الاطلاع: ابن خلكان، ج 3، ص 117؛ ابن دقماق، الجواهر، ص 241؛ ابن العماد، ج 2، ص 295؛ الوزان، ج 2، ص 85؛ الزركلي، ج 4، ص 197.

(8) الحموي، معجم البلدان، ج 5، ص (267، 268)؛ القزويني، آثار، ص 276؛ ابن سعيد، الجغرافيا، ص 144؛ انظر للمقارنة: ابن حوقل، ص 73؛ الإصطخري، ص 38؛ البكري، ص 39؛ كاتب مراكشي، ص 118.

913م، وقيل 303هـ/ 916م، وربما بلغت مصادر الدراسة في وصف حصانة أبوابها عندما قيل أنه حصنها بسور محكم وأبواب حديدية، وجعل في كل مصراع من الأبواب مائة قنطار⁽¹⁾، ولها بابان بأربعة مصاريع، لكل باب منها دهليز⁽²⁾ يسع خمسمائة فارس⁽³⁾. ويبلغ وزن كل باب ألف قنطار، وطوله ثلاثون شبراً⁽⁴⁾، وكل مسمار من مساميره ستة أرتال⁽⁵⁾، وجعل فيها ثلاثمائة وستين صهريجاً، ولها مرسى محصن بالحديد، وبعد أن أتم بناءها سنة 305هـ/ 918م قال: "اليوم أمنت على الفاطميات، يعني بناته"، ثم أقام فيها وجعلها داراً لملكه، وعمرها بالدكاكين ورتب فيها أرباب المهن، كل طائفة في سوق، وبعد أن فرغ من بنائها أمر بعمارة مدينة أخرى سميت بزويلة⁽⁶⁾، التي اشتملت هي الأخرى على سور وأبواب متعددة، فسكن هو وعسكره بالمهدية، وأسكن العامة في زويلة، وكانت دكاكينهم وأموالهم في المهدية، وبزويلة مساكنهم، فكانوا يدخلون بالنهار للمعيشة ويخرجون بالليل إلى أهاليهم، فقيل للمهدي: "إن رعيتك في عناء من هذا، فقال: لكن أنا في راحة لأنني بالليل أفرق بينهم وبين أموالهم، وبالنهار أفرق بينهم وبين أهاليهم فأمن غائلتهم"⁽⁷⁾.

واختط القائم بأمر الله، محمد بن عبيد الله المهدي (322-334هـ/ 934-946م)⁽⁸⁾ مدينة المسيلة وسماها المحمدية⁽⁹⁾، وذلك عندما مر بموضع المسيلة وهو في طريقه إلى تاهرت،

⁽¹⁾ قنطار: وحدة قياس تساوي 100 رطل. انظر: هنتس، ص 40.

⁽²⁾ دهليز: كلمة فارسية معربة، وتعني المسافة ما بين الباب والدار. انظر: ابن منظور، ج 5، ص 349.

⁽³⁾ الحموي، معجم البلدان، ج 5، ص 267؛ انظر للمقارنة: ابن الأثير، ج 8، ص 640؛ شيخ الربوة، ص 235؛ أبو الفداء، ص 135؛ القلقشندي، صبح، ج 5، ص 101.

⁽⁴⁾ الحموي، معجم البلدان، ج 5، ص (267، 268)؛ القزويني، آثار، ص 276؛ انظر للمقارنة: كاتب مراكشي، ص 118.

⁽⁵⁾ رطل: وحدة وزن تساوي 12 أوقية، والأوقية 40 درهم. انظر: الزجالي، أمثال، ق 2، ص 399؛ هنتس، ص (30-35)؛ فاخوري، ص 387.

⁽⁶⁾ الحموي، معجم البلدان، ج 5، ص 267، 268؛ القزويني، آثار، ص 276؛ المراكشي، المعجب، ص 250؛ ابن خلكان، ج 3، ص 118؛ ابن دقماق، ص 242؛ ابن العماد، ج 2، ص 295.

⁽⁷⁾ الحموي، معجم البلدان، ج 3، ص 180، ج 5، ص 267، 268؛ القزويني، آثار، ص (94، 267)؛ المراكشي، المعجب، ص 250؛ أبو الفداء، ص 147.

⁽⁸⁾ محمد بن عبيد الله المهدي: أبو القاسم، القائم بأمر الله، وهو ثاني ملوك الدولة الفاطمية في المغرب، وأول من تلقب بأمر المؤمنين فيها، كان شجاعاً ولكنه قليل الخير، فاسد العقيدة، توفي سنة 334هـ/ 946م. انظر: الصفدي، ج 2، ص 423؛ الزركلي، ج 6، ص 259.

⁽⁹⁾ الحموي، معجم البلدان، ج 5، ص 77؛ ابن سعيد، الجغرافيا، ص 126؛ ابن عذاري، ج 1، ص 215؛ أبو الفداء، ص 139؛ شيخ الربوة، ص 237؛ القلقشندي، صبح، ج 5، ص 107.

فأعجبه وأمر علياً بن حمدون الأندلسي ببنائها، وسماها المحمدية باسمه⁽¹⁾. واختط بنو زيري (361-547هـ/971-1152م) بعض المدن المغربية، ومنها مدينة أشير الواقعة في غرب بلاد المغرب الأوسط مقابل مدينة بجاية، وقد شرع في بنائها زيري بن مناد الصنهاجي (334-360هـ/945-970م)⁽²⁾ في عام 324هـ/936م⁽³⁾، وقد أقامها في موضع خالٍ واسع مليء بعيون الماء، بناها من حجارة مدينتي مسيلة وطبنة، وحصنها بالأسوار، وأقام على جبلها حصناً منيعاً، له طريق واحدة، يحميه عشرة رجال، مما جعلها مدينة آمنة، وتملك الحصن بعده بنو حماد⁽⁴⁾. وأما مدينة بجاية قاعدة ملك بني حماد فقد؛ بناها الناصر بن علناس بن حماد بن زيري بن مناد بن بلكين (460-481هـ/1068-1088م)⁽⁵⁾ في حدود عام 457هـ/1065م⁽⁶⁾، وكانت وكانت ميناءً فقط ثم بنيت المدينة في أسفل جبل، وكانت تسمى الناصرية نسبة إلى بانيها⁽⁷⁾.

ولعب المرابطون دوراً كبيراً في العمارة المغربية؛ فقد شيّدوا المدن، وعلى رأسها مدينة مراكش، في عهد يد يوسف بن تاشفين (457-500هـ/1065-1107م)⁽⁸⁾، الذي أمر ببنائها⁽⁹⁾

(1) الحموي، معجم البلدان، ج5، ص7

(2) زيري بن مناد الصنهاجي: جد المعز بن باديس، أول ملوك الصنهاجيين في المغرب الأوسط، ويعد مؤسس الدولة الزييرية، عرف بشجاعته وحسن سيرته، وكان من موالى الفاطميين، وقتل سنة 360هـ/970م، وقيل وقع عن فرسه أثناء معركة فقتل. انظر: ابن خلكان، ج2، ص343؛ الزركلي، ج3، ص63.

(3) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص240؛ انظر للمقارنة: ابن حوقل، ص89؛ البكري، ص60؛ كاتب مراكشي، ص170؛ الحازمي، الأماكن، ص18؛ الحميري، الروض، ص60؛ مقديش، ج1، ص362.

(4) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص240؛ انظر للمقارنة: كاتب مراكشي، ص87؛ ابن خلدون، تاريخ، ج6، ص313.

(5) الناصر بن علناس بن حماد الصنهاجي: أمير شجاع من بني حماد، قتل بلكين محمد، وتولى بعده قلعة بني حماد، توفي في بجاية سنة 481هـ/1088م. انظر: الزركلي، ج6، ص349؛ السامرائي وأخرون، ص(94-97).

(6) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص403؛ انظر للمقارنة: كاتب مراكشي، ص128؛ شيخ الربوة، ص235.

(7) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص403.

(8) يوسف بن تاشفين: استعمله أبو بكر اللمتوني على سجالماة، قامت على يده دولة المرابطين في المغرب والأندلس، ولقب بناصر الدين وأمير المسلمين، ووصفه المؤرخون بالورع والزهد والبساطة والميل نحو التصوف، وكان مجاهداً شجاعاً، توفي وعمره مائة سنة عام 500هـ/1107م. انظر: ابن الأثير، ج10، ص(621، 622)؛ النويري، ج24، ص262؛ انظر: الفلاح، التاريخ، ج2، ص48.

(9) الحموي، معجم البلدان، ج5، ص11؛ ابن سعيد، الجغرافيا، ص125؛ انظر للمقارنة: الزهري، ص116؛ كاتب مراكشي، ص208؛ ابن عذاري، ج4، ص21؛ أبو الفداء، ص135؛ القلقشندي، صبح، ج5، ص171.

في عام 470هـ/1078م⁽¹⁾، ويبدو أنها أنشئت قبل ذلك، أي في عام 462هـ/1079م⁽²⁾. واختط واخط يوسف بن تاشفين مكناسة الحديثة، علماً أن مكناسة هي مدينتان صغيرتان، قديمة وحديثة، وبينهما حصن⁽³⁾، وكانت مدينة تلمسان هي الأخرى تنقسم إلى مدينتين مسورتين، إحداهما قديمة والأخرى حديثة، والحديثة اختطها المرابطون وأسمها تافزرت، وكان يسكن فيها الجند وأصحاب السلطان وغيرهم من الناس، وأما القديمة فكانت تسمى أفادير، وكان يسكنها الرعية⁽⁴⁾، ويشير الإدريسي إلى أن المدينة كانت حصينة ومسورة، وأنها كانت تنقسم إلى مدينتين يفصل بينهما سور⁽⁵⁾، ومن المدن المغربية الأخرى التي كانت تنقسم إلى مدينتين: مدينة مدينة ودان، وتسمى إحداهما لباك والأخرى توصي⁽⁶⁾.

وأما مدينة تاهرت، فقد بنيت مدينتان، وهما القديمة والحديثة⁽⁷⁾، والأخيرة بنيت لأنهم كلما أرادوا بناء تاهرت القديمة هدمت فبنوا الحديثة⁽⁸⁾، وكانت القديمة تسمى تاهرت عبد الخالق، الخالق، وبغداد المغرب⁽⁹⁾، ولها سور من الحجر وفيه ثلاثة أبواب: باب الصفا، وهو باب الأندلس، وباب النازل، وباب المطاحن⁽¹⁰⁾، ومن المدن المغربية: مدينة طنجة وهي مدينة جبلية قديمة بنيت من الحجارة وليس لها سور⁽¹¹⁾، وأما مدينة أجداية فقد أشار الحموي إلى أن سقف مبانيتها بنيت من الطوب، وليس من الخشب؛ لكثرة الرياح ودوام هبوبها عليها⁽¹²⁾.

(1) الحموي، معجم البلدان، ج5، ص111؛ الإدريسي، ج1، ص(233،234).

(2) عنان، ق1، ص38.

(3) الحموي، معجم البلدان، ج5، ص210.

(4) م، ن، ج2، ص52.

(5) الإدريسي، ج1، ص248.

(6) القزويني، آثار، ص280؛ انظر للمقارنة: البكري، ص11.

(7) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص9؛ القزويني، آثار، ص169؛ انظر للمقارنة: البكري، ص67؛ الإدريسي، ج1، ص255؛ أبو الفداء، ص139.

(8) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص9؛ البكري، ص67.

(9) القلقشندي، صبح، ج5، ص111.

(10) م، ن، ج5، ص111؛ الحميري، الروض، ص126.

(11) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص49؛ انظر للمقارنة: كاتب مراكشي، ص138.

(12) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص125، 126؛ انظر للمقارنة: البكري، ص4؛ كاتب مراكشي، ص144؛ الحميري، الروض، ص12.

وعرفت المدن المغربية بكثرة قصورها؛ ومنها سفاقس⁽¹⁾، ومراكش⁽²⁾، وقفصة التي بلغ بلغ عدد قصورها حوالي مائتي قصر⁽³⁾، ومنها قصر طراق⁽⁴⁾، وفي تونس قصر التوبة وبني الأغلب⁽⁵⁾، وفي نفيس⁽⁶⁾ قصر نفيس⁽⁷⁾، وعلى مرسى مادور الواقع في مدينة أجدابية ثلاثة قصور، ومنها قصر زيدان⁽⁸⁾، وفي طرابلس قصر ابن ميمون⁽⁹⁾، ويوجد قصر أحمد في آخر أفريقيا⁽¹⁰⁾، وهو قصر بناه أحد قادة الجيوش الوافدة إلى بلاد المغرب، وقد خربه الأعراب⁽¹¹⁾. وإلى الغرب من فاس قصر عبد الكريم⁽¹²⁾. ومن القصور الأخرى قصر كتامه⁽¹³⁾، وقصر مصمودة بالقرب من سبتة⁽¹⁴⁾، وهذا القصر حصن بحري كبير كانت تروح وتغدو إليه السفن من وإلى بلاد الأندلس⁽¹⁵⁾. فضلاً عن قصور مسراته⁽¹⁶⁾. وأما عن القناطر؛ فمنها قنطرة آجر⁽¹⁷⁾، وفي مدينة قابس ثلاث قناطر بنيت فوق أنهار المدينة الثلاثة، بني في أسفلها قنطرة على أربع حنايا ثم بني عليها قنطرة ثانية، ثم بني على الثانية قنطرة ثالثة من ثلاث حنايا⁽¹⁸⁾.

(1) الحموي، معجم البلدان، ج3، ص252.

(2) القزويني، آثار، ص112؛ المراكشي، المعجب، ص213؛ انظر أيضا: سالم، تاريخ، ص750.

(3) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص434؛ انظر للمقارنة: ابن حوقل، ص92؛ كاتب مراكشي، ص154.

(4) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص434؛ انظر للمقارنة: البكري، ص37؛ كاتب مراكشي، ص154.

(5) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص71.

(6) نفيس: بلدة تقع بالقرب من أغمات، وفيها قصر نفيس، انظر: الحموي، معجم البلدان، ج5، ص343.

(7) الحموي، ج5، ص343.

(8) م، ن، ج1، ص(125، 328).

(9) م، ن، ج5، ص421.

(10) ابن سعيد، الجغرافيا، ص146.

(11) الوزان، ج2، ص107.

(12) ابن سعيد، الجغرافيا، ص141؛ انظر للمقارنة: شيخ الربوة، ص235؛ أبو الفداء، ص133؛ الفلقشندي، صبح، ج5،

ص170.

(13) ابن سعيد، الجغرافيا، ص141؛ انظر للمقارنة: كاتب مراكشي، ص190.

(14) ابن جبير، ص7؛ انظر للمقارنة: الإدريسي، ج2، ص527؛ المراكشي، المعجب، ص253.

(15) الإدريسي، ج2، ص529.

(16) ابن سعيد، الجغرافيا، ص146؛ الوزان، ج2، ص111.

(17) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص127؛ القزويني، آثار، ص139.

(18) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص397.

ومن الآثار التي عرفت بها بعض المدن المغاربية أسطوانات مدينة القيروان، فقد ذكر القزويني "أن فيها أسطوانتين لا يدري جوهرهما ما هو، وهما ترشحان ماء كل يوم جمعة قبل طلوع الشمس، ومن العجب كونه يوم الجمعة، وقد قيل: إن ملوك الروم طلبوهما بثمن كبير، فقال أهل القيروان: "لا تخرج أعجوبة من العجائب من بيت الله إلى بيت الشيطان"⁽¹⁾، وفي جزيرة بني مزغناي، آثار عجيبة متقنة الصنع تدل على أنها كانت دار ملك للأمم السالفة، ومن آياتها الفسيفساء الحجرية الصغيرة الملونة، على شكل صور حيوانية⁽²⁾.

وحول بناء مدينة شرشال القريبة من بجاية؛ أورد القزويني قصة لا تخلو من السرد القصصي الأسطوري، ويبدو أنه استقاها من الرواية الشعبية التي كانت متداولة، ذلك أن المدينة اشتملت على أربع أسطوانات زرق طويلة، منها ثلاث لم تزل قائمة والرابعة ساقطة، وطول الواحدة منها نحو خمسين ذراعاً، وعرضها باع رجلين، وتتميز بملاستها وحسنها، وعلى كل أسطوانتين جائزة حجرية بيضاء مربعه طويلة، ولم يبق من الجوائز سوى جائزتين، وقيل: إن هذه الأسطوانات آثار لقصر بناه أحد الملوك لابن له، وقد حكم المنجمون "أن تصيبه لدغة من عقرب يخاف منها عليه التلف، فبنى هذا القصر من الحجر لئلا يتولد العقرب فيه لحجرته، ولا يصعد إليه لملاسة أسطواناته، فانفق أنه حمل إلى القصر سلة عنب كان فيها عقرب، فهم ابن الملك أن يتناول العنب من السلة، فلدغته ومات منها"⁽³⁾.

وتحدثت المصادر الجغرافية موضوع الدراسة حول المعالم المعمارية في بلاد الأندلس، خاصة المدن وبنائها، فذكرت مدينة قرطبة، وقيل إنها كانت مدينة حصينة مسورة بسور حجري، ولها بابان في نفس السور، وأبنيتها متشابكة من كل الجهات، وبها الأسواق، ومسكن العامة بربضها، وظلت مزدهرة حتى نهاية الحكم الأموي⁽⁴⁾. ومن المدن الأموية: مدينة تطيله، بنيت في عهد الأمير الأموي الحكم الربضي بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية (280-

(1) القزويني، آثار، ص 242.

(2) الحموي، معجم البلدان، ج 2، ص 154؛ انظر للمقارنة: كاتب مراكشي، ص 132.

(3) القزويني، آثار، ص (208، 209).

(4) الحموي، معجم البلدان، ج 4، ص 368؛ انظر للمقارنة: ابن حوقل، ص 108؛ ابن حيان، المقتبس، ص 194؛ انظر أيضاً: بروفنسال، ج 3، ص 323؛ فكري، ص 174.

306هـ/893-918م⁽¹⁾، وبنى ابنه عبد الرحمن الأوسط مدينة مرسية وسماها تدمير⁽²⁾، وكذلك مدينة أبده إحدى كور جيان، وأتم بناءها محمد بن عبد الرحمن (338-372هـ/949-982م)⁽³⁾.

وأما مدينة الزهراء، فعدت عروس مدائن الأندلس، اختطها عبد الرحمن الناصر (300-350هـ/912-961م)⁽⁴⁾، وكان بُدئ العمل في بنائها في عام 325هـ/937م⁽⁵⁾، على جبل العروس الواقع شمال غرب قرطبة، والمطل على السهول الممتدة على نهر الوادي الكبير⁽⁶⁾. وأنفق الناصر على عمارتها أموالاً طائلة، حيث قسم إيرادات الدولة المالية إلى ثلاثة أقسام: ثلث لجنده، وثلث لبيت ماله، وثلث للزهراء وعمارتها⁽⁷⁾، وقيل إن مبلغ ما أنفق في بناء الزهراء مائة مائة مدى من الدراهم القاسمية بكيل قرطبة، وكان يصرف عليها في السنة ما يعادل مليون وثمانمائة ألف دينار⁽⁸⁾، خاصة إذا علمنا أنه جلب إليها الرخام من الكثير من الأقطار⁽⁹⁾.

وفي إشارة من الحموي إلى بناء مدينة ماردة واقعه غربي قرطبة، فقد ذكر أنها مدينة راقية في بنائها، كثيرة الرخام، عالية البنيان، وفيها آثار قديمة حسنة تقصد للفرجة والتعجب، وهي إحدى القواعد التي تخيرتها قياصرة الروم قديماً للسكنى⁽¹⁰⁾، ويذكر القزويني بأن مدينة لبلة بنيت على أربعة أصنام⁽¹¹⁾. وأقيم في بجانة الكثير من الفنادق المبنية من الحجارة؛ لكثرة

(1) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص39.

(2) م، ن، ج5، ص125.

(3) م، ن، ج1، ص85.

(4) م، ن، ج3، ص180؛ انظر للمقارنة: ابن حوقل، ص107؛ الزهري، ص87؛ الإدريسي، ج2، ص580؛ الحميري، الروض، ص295.

(5) الحموي، معجم البلدان، ج3، ص180.

(6) الإدريسي، ج2، ص175؛ المقرئ، ج2، ص65، ج1، ص337؛ انظر أيضا: عنان، ج1، ق2، ص(436-440).

(7) الحموي، معجم البلدان، ج3، ص180.

(8) المقرئ، ج2، ص(67، 100، 104، 105).

(9) الحموي، معجم البلدان، ج3، ص180.

(10) م، ن، ج5، ص46.

(11) القزويني، آثار، ص555.

ساكنيها وزوارها⁽¹⁾. وأقيمت المسارح في مدينة شلب⁽²⁾، وأما مربيطر القرية من بلنسية ففيها ملعب وصفه الحموي بقوله: "إن الإنسان إذا نزل فيه سعد، وإذا سعد عليه نزل"⁽³⁾.

ومن القناطر الأندلسية قنطرة نهر تاجه الواقع بين مدينتي إشبونه وطلبيرة، وكانت تعرف بقنطرة السيف⁽⁴⁾؛ لأنها عبارة عن قوس واحد من أحد طرفي الوادي إلى الطرف الآخر، الأخر، ولم يتردد القزويني في زج القصص الأسطورية حول عملية بناء قنطرة السيف، خاصة ما ذكره حول مساهمة الجن في ذلك، حتى أصبحت أعجوبة تسر الناظرين⁽⁵⁾، وتستمر الرواية الأسطورية بالقول إن القنطرة هي من بناء الخزر الأول، وإن ارتفاع قوسها سبعون ذراعاً ونحوها وعرضه سبعة وثلاثون ذراعاً، أو نحوها، وعلى متن هذا القوس برج عظيم ارتفاعه على ظهر القنطرة أربعون ذراعاً، وقد بني البرج والقنطرة بأحجار عظيمة طول الحجرة منها ثمانية أذرع وعشرة أذرع، وأكثر من ذلك⁽⁶⁾. ونظراً لجهل الكثير من أصحاب المصادر الجغرافية الإسلامية بتاريخ مدن شبه الجزيرة الإيبيرية؛ راحوا ينسجون من خيالهم، أو استناداً لما تداولته العامة من قصص، روايات أسطورية حول ظروف بناء هذه المدن، وأقحموا موضوع الطلاس الذي كان سائداً في بلاد المغرب في رواياتهم، ومن ذلك قصة بناء مدينة قادس وجزيرتها الواقعتين على ساحل الأطلسي جنوب غرب الأندلس⁽⁷⁾.

ومن المعالم التي أتت عليها مصادرنا الجغرافية؛ بيت الملوك في طليطلة، ولم تخل رواياتها من الأسطورة، فقليل: وكان فيه لكل من مات من ملوكهم تاج كتب عليه عمر صاحبه ومدة ولايته، وكان بالمدينة بيت آخر لأحد ملوكهم قفل عليه قفلاً، ووصى لمن يكون بعده أن لا

(1) القزويني، آثار، ص 509.

(2) م، ن، ص 541.

(3) م، ن، ص 563.

(4) الحموي، معجم البلدان، ج 4، ص 45؛ القزويني، آثار، ص 546؛ انظر: الزهري، ص 85، الإدريسي، ج 2، ص 547، شيخ الروبة، ص 244؛ المقري، ج 1، ص 162.

(5) القزويني، آثار، ص 546.

(6) الزهري، ص 85، الإدريسي، ج 2، ص 547.

(7) للتفاصيل؛ انظر: الحموي، معجم البلدان، ج 4، ص 330؛ القزويني، آثار، ص 551؛ انظر للمقارنة: الزهري، ص (90)،

يُفتح، حتى تولى الملك لذريق (710-712م/91-93هـ)⁽¹⁾ الحكم، فدخل البيت الأول ووجد فيه أربعة وعشرين تاجاً على عدد ملوكها، ووجد على باب البيت الآخر أربعة وعشرين قفلاً، وحينها ظن أن فيه مالا، فأراد فتحه، فاجتمع الأساقفة وحذروه من ذلك قائلين: "الملك فينا ما دام هذا البيت مقفلاً، فإذا فتح فقد ذهب الملك"، ولكن لذريق لم يأبه بقولهم، ففتحته ثم ندم على ذلك بعد أن رأى بأمر عينه ضياع ملكه على يد العرب⁽²⁾.

العمارة الدينية

عُدَّ تشييد المساجد المحور الرئيس للنهضة العمرانية في المدن الإسلامية، وذلك بسبب الاهتمام الكبير الذي أولاه المسلمون لبناء المساجد والإكثار منها، ومثلَّ المسجد باكورة الأعمال الإنشائية في المدن الجديدة، أو القديمة الداخلة في حوزة المسلمين، مما أسبغ عليها سماتها الإسلامية التي تميزت بها⁽³⁾. وشغلت المساجد الجامعة قلب المدينة الإسلامية، وكان قصر الإمارة يؤسس ملاصقاً للجامع، أو على مقربة منه، اقتداءً بجامع الرسول في المدينة، ولذلك لم تقتصر مظاهر اهتمام المسلمين بالمسجد على اتباع هذه السنة فحسب؛ بل ليكون مركزاً للمدينة وبؤرة لها، لما يتمتع به من مكانه خاصة في نفوس المسلمين⁽⁴⁾.

ومن أعظم المساجد الإسلامية التي بنيت في بلاد المغرب مسجد القيروان، ويعود بناؤه إلى عقبة بن نافع الفهري، في ولايته الأولى (50-55هـ/670-675م)، ويعرف بالمسجد الأعظم، وكان قد تحير في قبلته، فبقي مهموماً، وبات ليلة فسمع قائلاً يقول: "في غد ادخل الجامع فإنك تسمع تكبير، فاتبعه، فأى موضع انقطع الصوت فهناك القبلة، فلما أصبح سمع الصوت ووضع القبلة" واقتدي بها في بقية المساجد⁽⁵⁾. ويبدو أن القبلة بالشكل الدقيق كانت من الأمور التي شغلت عقبة، لأن ضبط قبلة أول مسجد أقيم للناس في بلاد المغرب مهم لسائر

(1) لذريق: آخر ملوك القوط الغربيين في إسبانيا، هلك بعد معركة وادي لكة. انظر: ابن عذاري، ج2، ص6-8؛ البستاني، دائرة، ج8، ص(752،753)؛ صلواتي، الموسوعة العربية الميسرة، ج4، ص1818.

(2) القزويني، آثار، ص546؛ انظر للمقارنة: ابن الفقيه، ص(134، 135)؛ الحميري، الروض، ص34.

(3) سالم، ص54؛ أبو مصطفى، تاريخ، ص204.

(4) أبو مصطفى، تاريخ، ص204.

(5) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص477؛ انظر للمقارنة: البلاذري، ص279؛ الدباغ، معالم، ج1، ص9؛ ابن الأثير، ج3، ص234؛ ابن عذاري، ج1، ص20؛ انظر: سالم، ص120.

المساجد اللاحقة، ومن ناحية أخرى؛ فقد حرص أن يكون مسجده في أبهى صورة، فجعل الكثير من أعمدته من المرمر الأحمر القاني المطعم بتوشیحات بيضاء، فبدأ كأنه رخام سماقي، ووضع عمودين طويلين منها قرب المحراب⁽¹⁾.

وفي تونس جامع يطل على البحر، رفیعٌ ومتقن البناء⁽²⁾، وفي مدينة فاس ثلاثة جوامع، يخطب يوم الجمعة في جميعها⁽³⁾، وأشادت المصادر الجغرافية بجامع أجدابية، ويعود فضل بنائه إلى أبي القاسم القائم بن عبيد الله المهدي، ويتميز بحسن بنائه وبصومعة مئنة بديعة⁽⁴⁾، وكانت المصادر المبكرة قد أتت على ذكره، وذكرت حسنه ونظافته⁽⁵⁾، ومن المساجد الأخرى؛ تلك التي التي بنيت في سفاقس⁽⁶⁾. وبني في رقادة جامع الفتح في عهد إبراهيم بن أحمد بن الأغلب في سنة 264هـ/ 878م، إلى جانب قصر الفتح⁽⁷⁾، وفي أصيلة جامع⁽⁸⁾ بني على ساحل البحر، تكون من خمس بلاطات⁽⁹⁾، كما أشارت مصادر الدراسة إلى جوامع بنزرت⁽¹⁰⁾، وقابس⁽¹¹⁾، وجزائر بني مزغناي⁽¹²⁾، ومدينة الرماده⁽¹³⁾، وأكستلا⁽¹⁴⁾، ثم جامع وقصر القيروان⁽¹⁵⁾، الذي

(1) الناصري، 88؛ الوزان، ج2، ص88.

(2) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص71؛ انظر للمقارنة: البكري، ص31؛ كاتب مراكشي، ص120؛ انظر أيضا: سالم، تاريخ، ص350.

(3) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص261.

(4) م، ن، ج1، ص125؛ انظر للمقارنة: البكري، ص4؛ كاتب مراكشي، ص144؛ الحميري، الروض، ص12.

(5) اليعقوبي، البلدان، ص133؛ ابن حوقل، ص70.

(6) الحموي، معجم البلدان، ج3، ص252؛ انظر للمقارنة: البكري، ص19؛ التجاني، ص69؛ الحميري، الروض، ص365.

(7) الحموي، معجم البلدان، ج3، ص63؛ انظر للمقارنة: البكري، ص27؛ ابن عذاري، ج1، ص117؛ ابن خلكان، ج3، ص119؛ انظر أيضا: سالم، تاريخ، ص371.

(8) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص252.

(9) الحميري، الروض، ص42.

(10) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص593.

(11) م، ن، ج3، ص328؛ انظر للمقارنة: البكري، ص17.

(12) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص154؛ الحميري، الروض، ص163.

(13) الحموي، معجم البلدان، ج3، ص76؛ انظر: البكري، ص4؛ الحميري، الروض، ص268.

(14) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص285.

(15) م، ن، ج3، ص411.

تميز بصومعة مستديرة مبنية بسبع طبقات من الآجر والأعمدة، ووصفت بجمالها ودقة بنائها⁽¹⁾.
بنائها⁽¹⁾.

وأشار القزويني إلى وجود مسجد يعرف بمسجد الجدار في تلمسان، وتعود تسميته إلى أن المسجد أقيم على الجدار المذكور في قصة الخضر وموسى، قال تعالى: [فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا]⁽²⁾، وقيل إن الجدار كان مائلاً فمسحه الخضر بيده فاستقام⁽³⁾، أما جامع جامع مدينة مراکش، فاكتمى ابن سعيد بذكر طول مئذنته البالغ ست وثلاثين قامة⁽⁴⁾⁽⁵⁾، وفي هذا هذا مبالغة واضحة.

أما فيما يخص بلاد الأندلس؛ فلعل من أشهر مساجدها: الجامع الأموي الكبير في مدينة قرطبة، ويعد من أكبر المساجد الإسلامية، وأجمعها لمحاسن العمد والبنيان، ويبلغ طوله أربعمائة ذراع وعرضه ثلاثمائة، وعمده ورخام بنيانه من الفسيفساء والذهب، وعلى جانبه سقايات وحياض للمياه⁽⁶⁾، وقد أسهب الإدريسي والحميري في وصفه، مبينين مدى عظمة بنائه وحسنه⁽⁷⁾، وأشار الحموي إلى مسجد آخر في قرطبة كان يعرف باسم مسجد طرفه⁽⁸⁾.

وتطرق ابن سعيد إلى ذكر مئذنة اشبيلية، البالغ طولها خمساً وثلاثون قامة⁽⁹⁾، وكان قد أتم بناء مسجد اشبيلية ومنارته يعقوب المنصور بن يوسف بن تاشفين (585-595هـ/1184-

(1) الحميري، الروض، ص476.

(2) سورة الكهف، آية77.

(3) القزويني، آثار، ص172؛ انظر للمقارنة: البكري، ص76.

(4) قامته: وحدة قياس لطول، يراد بها بالأصل طول الإنسان، تتراوح ما بين 1,70متر و2 متر. انظر: فاخوري، موسوعة وحدات، ص(147، 148).

(5) ابن سعيد، الجغرافيا، ص147.

(6) القزويني، آثار، ص552؛ انظر للمقارنة: الزهري، ص87.

(7) الإدريسي، ج2، ص(575، 579)؛ الحميري، الروض، ص456.

(8) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص35.

(9) ابن سعيد، الجغرافيا، ص147.

1199م)⁽¹⁾، وعندما سيطر المسيحيون الإسبان على إشبيلية عام 646هـ/1248م حولوا مسجدها إلى كنيسة، وسمى الإسبان المئذنة فيما بعد لاختيرالدا، ومعناها الدوارة؛ لأن الصاعد إلى قمته يسير في طريق حلزوني واسع بدون درج، حتى قيل: إن بعض خلفاء الموحدين كان يصعد بداخلها على ظهر فرسه⁽²⁾.

ولم يهمل الجغرافيون المسلمون الإشارة إلى بعض الكنائس المسيحية التي أنشئت في بلاد الأندلس، ومن أهمها كنيسة شنت مرية (سانتا ماريا)⁽³⁾، وصفوا عظمة بنائها وحسنه، وأشاروا إلى سواربها الفضية "ولم يرَ الرؤوان مثلها"، وتتميز بعرضها، وارتفاعها العالي⁽⁴⁾، وفي الأندلس كنيسةتان عرفتا بشجر الزيتون، وهي كنيسة غرناطة⁽⁵⁾، وكنيسة لورقه⁽⁶⁾. ومن الكنائس الأخرى كنيسة الأسرى بقرطبة، وقد نقل القزويني عن العذري سبب تسميتها بهذا الاسم، ذلك أن مغيب الرومي⁽⁷⁾ لما هم بفتح قرطبة؛ تحصن المسيحيون بهذه الكنيسة، فحاصروهم فحاصروهم المسلمون ثلاثة أيام، مما أدى إلى استسلامهم ووقوعهم في الأسر⁽⁸⁾.

وفي جزيرة الكنيسة في المحيط الأطلسي كنيسة عرفت باسم كنيسة الغراب⁽⁹⁾، وقد اتفق اتفاق كل من القزويني وشيخ الربوة على وصفها، بأنها كنيسة مبنية من الصخر داخل جبل ولها قبة كبيرة، وعليها غراب دائم الوقوف على قبتها، وفي مقابلها مسجد يزوره الناس، ويقولون: إن

(1) يعقوب المنصور بن يوسف بن تاشفين: أبو يوسف وهو ثالث الخلفاء الموحدين، حكم (580-595هـ/1184-1199م)، توفي في مراكش ومن أهم أعماله بناء مسجد الكتبية في مراكش. انظر: ابن الأثير، ج12، ص (145-147)؛ الناصري، ج1، ص(174-183).

(2) العبادي، في تاريخ، ص20.

(3) شنت مرية: من أعمال شنتبرية. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج3، ص417.

(4) الحموي، معجم البلدان، ج3، ص417؛ القزويني، آثار، ص542.

(5) القزويني، آثار، ص547.

(6) م، ن، ص556.

(7) مغيب الرومي: وهو مغيب بن الحارث بن الحويرث بن جبلة بن الأيهم الغساني، مولى عبد الملك بن مروان وابنه الوليد، دخل الأندلس مع طارق بن زياد، وفتح قرطبة سنة 92هـ/711م. انظر: ابن عبد الحكم، ص279؛ ابن الأثير، ج4، ص540؛ ابن عذاري، ج2، ص(6، 10)؛ المقري، ج3، ص(12-14)؛ ابن خلكان، ج5، ص320.

(8) القزويني، آثار، ص553.

(9) م، ن، ص179؛ ابن سعيد، الجغرافيا، ص178؛ انظر للمقارنة: الإدريسي، ج2، ص544؛ شيخ الربوة، ص143.

الدعاء فيه مستجاب، وقد اشترط على قساوسة تلك الكنيسة ضيافة كل مسلم يقصد ذلك المسجد، فكلما وصل جماعة من المسلمين أدخل الغراب رأسه في روزنة القبة، وصاح صيحات بعدد الواصلين، فيخرج الرهبان بالطعام، وزعم القساوسة أنهم ما زالوا يرون غراباً على تلك الكنيسة⁽¹⁾. وأشار الإدريسي أن هذه الكنيسة تعود إلى عهد الروم، ولها أموال يتصدق بها عليها، وكرامات يحملها الروم الواردون عليها، وقال: "ولا سبيل لأحد من المجتازين بها أن يخرج منها حتى يأكل من ضيافة الكنيسة، ضريبة لازمة وسيرة دائمة لا ينتقلون عنها ولا يتحولون منه، ورثها الخلف عن السلف"⁽²⁾.

العمارة العسكرية

تميزت المدن المغربية بعمارتها العسكرية وحصانة مدنها وأسوارها وقلاعها وأبراجها، ومن أهم تلك المدن مدينة سبتة⁽³⁾، لكونها محاطةً بالأسوار والقلاع والأبراج المبنية من الحجر والصخر⁽⁴⁾، وكذلك مدينة بونه⁽⁵⁾. وعرفت مدينة تنس بحصانتها نظراً لكونها مدينة مسورة، وفيها قلعة صغيرة من الصعب الوصول إليها، ولهذا اتخذها الحكام مسكناً⁽⁶⁾. ومن المدن المسورة: مدينة أصيلة، ولسورها خمسة أبواب⁽⁷⁾، وأما مدينة باجة فتميزت بحصانة سورها المنيع وكثرة أبوابه⁽⁸⁾، وللمدينة حصن قديم مبني من الصخر متقن البناء، قيل: إنه يعود إلى عهد عيسى عليه السلام⁽⁹⁾، ولمدينة نفزواة سور مبني من الصخر والطوب، وفيه ستة أبواب⁽¹⁰⁾،

(1) القزويني، آثار، ص 179؛ انظر للمقارنة: شيخ الربوة، ص 143.

(2) الإدريسي، ج 2، ص 544.

(3) الحموي، معجم البلدان، ج 3، ص 206؛ القزويني، آثار، ص 532.

(4) كاتب مراكشي، ص 137؛ أبو الفداء، ص 133؛ الفلقشندي، صبح، ج 5، ص 157.

(5) الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 607؛ انظر للمقارنة: كاتب مراكشي، ص 127.

(6) الحموي، معجم البلدان، ج 2، ص 56؛ القزويني، آثار، ص 173؛ انظر للمقارنة: ابن حوقل، ص 78؛ المقدسي، أحسن، ص 189؛ البكري، ص 61؛ الإدريسي، ج 1، ص 251؛ كاتب مراكشي، ص 133؛ شيخ الربوة، ص 235؛ الوزان، ج 2، ص 35.

(7) الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 252؛ انظر للمقارنة: الإدريسي، ج 2، ص 530؛ الحميري، الروض، ص 42.

(8) الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 373، 374؛ أبو الفداء، ص 147.

(9) كاتب مراكشي، ص 160.

أبواب⁽¹⁾، وتميزت مدينة أنكاد الواقعة بالقرب من تلمسان بسور ترابي في غاية الارتفاع والعرض⁽²⁾، وأما مدينة بسكرة فعرفت بمناعة أسوارها⁽³⁾، فضلاً عن أحاطتها بالحصون الكثيرة⁽⁴⁾.

وتعد مدينة سفاقس من المدن الحصينة نظراً لعظمة أسوارها الصخرية⁽⁵⁾، وتشير المصادر إلى أن للمدينة سوراً حجرياً له أبواب حديدية منيعة⁽⁶⁾، وعلى أسوارها محارس للرباط⁽⁷⁾، ومن المدن الحصينة المسورة مدينة الرمادة⁽⁸⁾، ومدينة سوق حمزة، إذ أحيط بها سور حجري⁽⁹⁾. وتميزت تونس هي الأخرى بحصانة سورها، علاوة على الخندق الحصين المحيط بها⁽¹⁰⁾. وأما مدينة مرسى الدجاج؛ فكان سورها يلتف من الشرق إلى الغرب من حولها، وله مدخل واحد من جهة الشرق⁽¹¹⁾.

ومن حصون بلاد المغرب: حصن ابن بخائة، وهو اسم لمدينة تاهرت القديمة⁽¹²⁾، التي تميزت بحصانتها ومثانة أسوارها ذات الأبواب الأربعة: وهي باب الصفا، المنازل، الأندلس، والمطاحن، ولسورها قسبة منيعة تسمى المعصومة، وتشرف على سوق المدينة⁽¹³⁾، وأما حصن تينملل، فكان يتميز بصعوبة الوصول إليه؛ لكثرة المنحدرات الصخرية، وإحاطته بالجبال من

(1) الحموي، معجم البلدان، ج5، ص341؛ انظر للمقارنة: البكري، ص37.

(2) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص323.

(3) م، ن، ج1، ص502.

(4) كاتب مراكشي، ص173.

(5) الحموي، معجم البلدان، ج3، ص252؛ انظر للمقارنة: البكري، ص19؛ التجاني، ص68؛ شيخ الربوة، ص234؛ أبو الفداء، ص135؛ القلقشندي، ج5، ص(103، 104)؛ الوزان، ج2، ص87.

(6) ابن حوقل، ص77؛ المقدسي، ص187؛ الإدريسي، ج1، ص280؛ انظر أيضاً: مقديش، ج1، ص108.

(7) الإدريسي، ج1، ص280.

(8) الحموي، معجم البلدان، ج3، ص76؛ انظر للمقارنة: اليعقوبي، البلدان، ص131؛ الحميري، الروض، ص268.

(9) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص347؛ انظر للمقارنة: البكري، ص65.

(10) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص(70، 71)؛ انظر للمقارنة: اليعقوبي، ص138؛ الإدريسي، ج1، ص285؛ القلقشندي، ج5، ص102.

(11) الحموي، معجم البلدان، ج5، ص125؛ انظر للمقارنة: البكري، ص65.

(12) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص9.

(13) م، ن، ج2، ص9؛ انظر للمقارنة: كاتب مراكشي، ص178.

كافة الجوانب، ولهذا أقيم من أجل العبور إليه جسر كان يرفع في حالات الحرب⁽¹⁾، ويعود الفضل في تحصين حصن تينملل إلى محمد بن تومرت⁽²⁾.

هذا إلى جانب حصن أزقى⁽³⁾، والحصن الأغلبي في جزيرة شريك⁽⁴⁾، وحصن الملح

في صحراء كدالة، الذي بني الملح⁽⁵⁾، وحصن اقليبية البحري⁽⁶⁾، وقلعة بنزرت الحصينة بأسوارها الصخرية القديمة، التي كانت تعد قاعدة للمرابطين ضد هجمات الروم⁽⁷⁾، ثم قلعة بسر بسر التي تنسب إلى فاتحها بسر بن أرطاة⁽⁸⁾، وهي بالقرب من مجانة⁽⁹⁾. ومن القلاع المغربية قلعة فاس الواقعة في أعلى المدينة، وتتميز بمرور نهر المفروش منها⁽¹⁰⁾، وقلعة ودان الحصينة⁽¹¹⁾، وقلعة صمطمط الواقعة إلى الشمال من نهر نول⁽¹²⁾، وقلعة جبال فازار، التي كانت تستخدم لحفظ الطعام والمخاريط لسكان الجبل⁽¹³⁾.

وإلى جانب ما ذكر؛ فقد أقيمت الرباطات والزوايا في شتى أنحاء المغرب، مما كان له أثر كبير في الحياة الدينية والاجتماعية والجهادية، وبنيت الرباطات في المناطق الداخلية والساحلية على حد سواء، واجتمعت فيها طوائف من أتقياء المسلمين للجهاد في سبيل الله والدفاع

(1) ابن سعيد، الجغرافيا، ص125.

(2) الادريسي، ج1، ص230.

(3) ابن سعيد، الجغرافيا، ص112.

(4) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص(158، 159).

(5) ابن سعيد، الجغرافيا، ص113.

(6) م، ن، ص143.

(7) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص593؛ انظر للمقارنة: كاتب مراكشي، ص125؛ شيخ الربوة، ص235.

(8) بسر بن أبي أرطاة: اسمه عمير بن عويمر بن عمران بن سيار، قيل أنه ولد قبل وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بسنتين، وقيل أنه روى عنه، وعد من القادة العسكريين الكبار. انظر: السبلاني، ص277؛ ابن سعد، طبقات، ج7، ص409.

(9) الحموي، معجم البلدان، ج5، ص67؛ انظر للمقارنة: ابن عبد الحكم، ص205؛ ابن حوقل، ص74؛ القيرواني، ص74.

(10) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص261.

(11) م، ن، ج5، ص421؛ الفزويني، آثار، ص280؛ انظر للمقارنة: البكري، ص9.

(12) ابن سعيد، الجغرافيا، ص123.

(13) م، ن، ص141.

عن أراضي المسلمين⁽¹⁾، فكثرت الرباطات، وبنيت المحارس على أسوارها⁽²⁾، وبخاصة على سواحل مدينة بنزرت، وتميزت مناراتها بعلوها الكبير، ووصلت إلى مائة وستين درجة، كما هو الحال بالنسبة لرباط سفاقس⁽³⁾.

وأما المدن الأندلسية فتميزت هي الأخرى بحصانة أسوارها وقلاعها، ومنها مدينة الجزيرة الخضراء⁽⁴⁾، ولها سور على البحر⁽⁵⁾، بني بالحجارة المفرغه بالجير، وله ثلاثة أبواب⁽⁶⁾، ومدينة غرناطة⁽⁷⁾، ومدينة شنترين⁽⁸⁾، ومدينة طرطوشة التي تميزت بإحاطتها بالحصون من كافة الجهات⁽⁹⁾، ومما يدل على حصانة المدينة؛ سورها الذي يعد من أعظم الأسوار، حتى إنه لم يكن يستطيع أي جيش خرق أسوارها، ويصف القزويني مدى حصانة أسوارها وصفاً لا يخلو من المبالغة، عندما قال أنه حتى البعوض يصعب عليه دخولها⁽¹⁰⁾. ولمدينة قرطبة سور حصين من الحجارة، وفيه بابان⁽¹¹⁾، في السور الشرقي، وكان اسم أقربهما إلى النهر الباب الجديد، ويسمى أيضاً باب الحديد، وباب سرقسطة، وأما الباب الثاني، فيقع شمالي السور، ويسمى باب ابن عبد الجبار، ويعرف أيضاً بأسم باب طليطلة وباب رومية⁽¹²⁾.

وفي بعض أنحاء الأندلس الكثير من الحصون، منها ما يتبع كوره ماردة⁽¹³⁾، كحصن الصخيرة⁽¹⁾، وحصن شنت قروش⁽²⁾، وحصن أم جعفر⁽³⁾، وأما سرقسطة فمن حصونها حصن

(1) الونشريشي، ج2، ص(361، 362)؛ انظر أيضاً: أبو مصطفى، جوانب، ص(110، 111).

(2) ابن حوقل، ص73؛ الإدريسي، ج1، ص280؛ الحميري، الروض، ص366.

(3) الحموي، معجم البلدان، ج3، ص252؛ انظر للمقارنة: البكري، ص(19، 20)؛ الحميري، الروض، ص366.

(4) الجزيرة الخضراء: مدينة أندلسية تقع شرقي شذونة، قبلي قرطبة، وتقابل مدينة سبتة المغربية. انظر: الحموي، معجم البلدان، ج2، ص158.

(5) الحموي، معجم البلدان، ج2، ص158.

(6) الإدريسي، ج2، ص539؛ انظر أيضاً: حتاملة، ج1، ص391.

(7) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص221؛ ابن سعيد، الجغرافيا، ص166.

(8) الحموي، معجم البلدان، ج3، ص407.

(9) م. ن، ج4، ص34؛ انظر للمقارنة: الإدريسي، ج2، ص(555، 734)؛ الحميري، الروض، ص391.

(10) القزويني، آثار، ص544.

(11) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص368.

(12) المقرئ، ج2، ص13.

(13) الحموي، معجم البلدان، ج5، ص64.

حصن ملوندة⁽⁴⁾، وحصن شلوقة⁽⁵⁾، وحصن برقوليش⁽⁶⁾، وحصن بيطرة⁽⁷⁾، وفي غربها الكثير من الحصون كحصن باروشه⁽⁸⁾، وكذلك حصن شنت مرية⁽⁹⁾، وتتميز المدينة نفسها بسورها العظيم المبني من الفضة⁽¹⁰⁾، ويبدو أن الفضة لم تكن تستخدم للبناء، إنما أراد بذكر ذلك أن يبين عظمة البناء، ويتبع لهذه المدينة بعض الحصون، ومنها حصن أركون⁽¹¹⁾، وحصن بشبراط⁽¹²⁾. ومن الحصون التابعة لكورة رية، حصن شنت بيطره المنيع⁽¹³⁾، وحصن أتريش، ويشتهر هذا الحصن بخروج فتنة عمر بن حفصون (ت.305هـ/917م)⁽¹⁴⁾ منه، وكان يلجأ إليه عند الخوف⁽¹⁵⁾، وكذلك حصن أرطة الليث⁽¹⁶⁾، وحصن ببشتر شمال مالقة، وهو حصن منفرد بالامتناع⁽¹⁷⁾، وحصن بمارش⁽¹⁸⁾.

-
- (1) م، ن، ج3، 449.
- (2) م، ن، ج3، ص416؛ انظر: حاملة، ج1، ص64.
- (3) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص297.
- (4) م، ن، ج5، ص227.
- (5) م، ن، ج3، ص417.
- (6) م، ن، ج1، ص462.
- (7) م، ن، ج1، ص632.
- (8) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص381.
- (9) م، ن، ج3، ص416.
- (10) القزويني، آثار، ص542؛ الحميري، الروض، ص347.
- (11) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص184.
- (12) م، ن، ج1، ص504.
- (13) م، ن، ج3، ص416.
- (14) ابن حفصون: وهو عمر بن حفصون، وقيل حفص، بن عمر بن جعفر بن شتيم بن ادفونش، وهو نائر مولدي، ثار على الأمير محمد بن عبد الرحمن سنة 267هـ/880م، نعتة المؤرخون بالخبت والنفاق. انظر: ابن عذاري، ج1، ص(75-78)؛ الناصري، ج1، ص58؛ الزركلي، ج5، ص(44، 45).
- (15) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص111.
- (16) م، ن، ج1، ص183.
- (17) م، ن، ج1، ص396؛ انظر للمقارنة: الإدريسي، ج2، ص537؛ شيخ الربوة، ص243؛ الحميري، الروض، ص79.
- (18) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص586.

ومن الحصون الأندلسية الأخرى، حصن شريون التابع لمدينة بنسوية⁽¹⁾، وحصن شبطران من أعمال طليطلة⁽²⁾، وحصن أريلية القريب من طليطلة، وقد استولى عليه المسيحيون عام 533هـ/1138م⁽³⁾، ثم حصن رندة، ويعد هذا الحصن من أمنع المعاقل الإسلامية وأفضلها موقعاً⁽⁴⁾، ومما زاد من حصانته، وقوعه فوق ربوة عالية، مما أتاح له أن يكون من أهم القواعد العسكرية في الأندلس⁽⁵⁾، ومن الحصون الأندلسية أيضاً حصن لاردة⁽⁶⁾، وأشتون من أعمال جيان⁽⁷⁾، وحصن باجة، وهو حصن مسور صخري قديم⁽⁸⁾، وحصن لبدة الذي بني من الحجر والآجر⁽⁹⁾، وحصن طليطلة⁽¹⁰⁾، وحصن لورقة الذي عد من أقوى المعاقل⁽¹¹⁾.

وأشارت المصادر الجغرافية إلى المزيد من الحصون الأندلسية، كحصن أشونة من نواحي أستجة⁽¹²⁾، وبطيل من أعمال شذونة⁽¹³⁾، وأنتقيرة بين مالقة وغرناطة⁽¹⁴⁾، وجليانة⁽¹⁵⁾، وعد حصن بربطانية الواقعة شرقي الأندلس من أحسن القواعد، وتميز أهل تلك النواحي بالمجادة والممانعة⁽¹⁶⁾، ومن الحصون الأخرى حصن بربشتر من أعمال سرقسطة، وعرف عنه

(1) م، ن، ج3، ص 387.

(2) م، ن، ج3، ص364.

(3) م، ن، ج1، ص198.

(4) م، ن، ج3، ص84؛ القزويني، آثار، 532؛ شيخ الربوة، ص242؛ ابن بطوطة، ص767.

(5) الونشريشي، ج5، ص22؛ انظر: حتاملة، ص454.

(6) الحموي، معجم البلدان، ج5، ص7؛ انظر للمقارنة: الإدريسي، ج2، ص538.

(7) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص233.

(8) م، ن، ج374؛ انظر للمقارنة: اليعقوبي، ص138؛ كاتب مراكشي، ص160؛ الفلقشندي، صبح، ج5، ص105؛

الحميري، الروض، ص75.

(9) الحموي، معجم البلدان، ج3، ص245، ج5، ص11؛ انظر للمقارنة: اليعقوبي، ص135؛ ابن حوقل، ص71.

(10) الحموي، معجم البلدان، ج4، ص43.

(11) م، ن، ج5، ص30؛ انظر أيضاً: الإدريسي، ج2، ص561؛ المراكشي، المعجب، ص268.

(12) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص239.

(13) م، ن، ج1، ص251.

(14) م، ن، ج1، ص307.

(15) م، ن، ج2، ص182؛ انظر للمقارنة: المقري، ج1، ص49.

(16) الحموي، معجم البلدان، ج1، ص441؛ انظر للمقارنة: شيخ الربوة، ص255.

حصانته الفائقة⁽¹⁾، واشتملت منطقة سرقسطة على الكثير من الحصون الأخرى، ومنها حصن القصر، وحصن الباكّة، وحصن قصر مينوئش⁽²⁾.

ومن حصون الأندلس، حصن بنة بين طليطلة وسرقسطة، عمّره محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام⁽³⁾، وحصن بيطرة، وبهذا الاسم عدة حصون، أحدها من أعمال أشقة، وآخر يعرف بحصن بيطرة لش، وهو من أعمال مارده⁽⁴⁾، وحصن البونت (البنّت)⁽⁵⁾. وعلى جبل الشارات الممتد من شرق الأندلس إلى غربيها وجدت حصون كثيرة، ومنها حصن المائدة الواقع إلى الشمال من طليطلة، ويقال إن مائدة سليمان -عليه السلام- كانت محفوظة فيه، ومنه أخذها طارق بن زياد (ت. 102هـ/720م)⁽⁶⁾ حين فتح طليطلة⁽⁷⁾، وعلى نهر تاجه النازل من جبل الشارات حصن يسمى باسم النهر⁽⁸⁾، ومن الحصون الأندلسية الأخرى حصن القبذاق، وحصن قبرة، وحصن أركش⁽⁹⁾، وإلى الشرق من شنترين حصن قنطرة السيف⁽¹⁰⁾، ويعد من عجائب الأرض، ويتميز بمناعته وحصانته، ولهذا الحصن باب واحد فقط⁽¹¹⁾، وله برج عظيم بني فوق قوس القنطرة ويبلغ ارتفاعه أربعين ذراعاً، وقد بني هذا البرج إلى جانب القنطرة من حجارة ضخمة بلغ طول الحجر الواحد منها ثمانية أذرع، وعشرة أذرع وأكثر من ذلك⁽¹²⁾، ثم قلعة

(1) الحميري، الروض، ص 90.

(2) الحموي، معجم البلدان، ج 1، ص 441.

(3) م، ن، ج 1، ص 594.

(4) م، ن، ج 1، ص 632.

(5) م، ن، ج 1، ص 606.

(6) طارق بن زياد الليثي: فاتح الأندلس، أصله من البربر، تولى قيادة الجيش الإسلامي لفتح الأندلس، فتح مع قائده موسى بن نصير تلك البلاد، توفي سنة 102هـ/720م. انظر: ابن عذاري، ج 1، ص 43؛ الزركلي، ج 3، ص 217.

(7) ابن سعيد، الجغرافيا، ص 179.

(8) م، ن، ص 179.

(9) انظر للمقارنة: الإدريسي، ج 2، ص (537؛ 571)؛ ابن جبير، ص (7، 8).

(10) ابن سعيد، الجغرافيا، ص 179.

(11) الإدريسي، ج 2، ص 546.

(12) الزهري، ص 85.

شبرت الواقعة بالقرب من طرطوشة⁽¹⁾، وتعد قلعة فهمين القريبة من طليطلة من أحسن القلاع الأندلسية⁽²⁾.

وأخيراً؛ فمن الملاحظ أنّ المصادر الجغرافية ميدان البحث قد ركزت بصورة أكبر على الحصون والقلاع الواقعة في النصف الجنوبي من بلاد الأندلس، ولعل ذلك عائد إلى انحسار الوجود الإسلامي في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي؛ إذ لم يعد يشمل سوى مملكة غرناطة الواقعة في أقصى الجنوب، وأمّا كثرة تلك القلاع فمردّها إلى الصراع بين الممالك المسيحية والمسلمين طيلة فترات العصر الأندلسي. وعلى الرغم من ذلك؛ فإن المصادر المذكورة لم تتناول هذه المعالم العسكرية بتوسع، وإنما أتت عليها باختصار.

وبهذا يكون الستار قد أُسدل على آخر فصول هذه الدراسة بعد أن حاولت الوقوف على صورة بلاد المغرب والأندلس في كتابات الجغرافيين المسلمين خلال القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي. فاللهم لك الحمد والمنة والفضل والشكر عدد خلقك ورضا نفسك ومداد كلماتك وزنة عرشك.

(1) الحموي، معجم البلدان، ج3، ص364.

(2) القرويني، آثار، ص550.

الخاتمة

بعد أن تم الانتهاء من كتابة هذه الدراسة بعون الله وفضله؛ فإنه يمكن إجمال أبرز النتائج التي توصلت إليها في النقاط الآتية:

- تميزت المصادر الجغرافية بموسوعية معلوماتها، فاشتملت على معلومات في شتى المجالات؛ الجغرافية والتاريخية والسياسية، والحضارية بكافة جوانبها الاجتماعية والاقتصادية والعمرانية، واتضح أن هذه المصادر قد أولت بلاد المغرب عناية أكثر من بلاد الأندلس في مختلف النواحي، ولعل ذلك مرده أن بلاد الأندلس في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي قد اقتصر على مملكة غرناطة في الجزء الجنوبي من شبه الجزيرة الإيبيرية، وهي مملكة قليلة في مساحتها وعدد مدنها إذا ما قورنت ببلاد المغرب.

- قدمت مصادر الدراسة وصفاً للحياة الاجتماعية للبربر في بلاد المغرب، وتحدثت عن أصلهم، وقبائلهم وأماكن سكنهم، ودياناتهم وبعض عاداتهم قبل الإسلام، ولم تخل معلوماتها من بعض صفاتهم الحميدة في مواضع مختلفة، كالكرم والشجاعة وغيرها، ولم تغفل الإشارة إلى جهود بعض فاتحي بلاد المغرب المسلمين، وانتشار الإسلام في تلك البلاد، ومذاهب الخوارج التي ظهرت فيها. وأما البلاد الأندلسية فلم تحظ بالاهتمام لدى مصادر الدراسة من هذه النواحي.

- تأثرت مصادر الدراسة بآراء المصادر التاريخية والجغرافية المبكرة؛ فتحاملت كثيراً على البربر ووسمتهم بالشر والهمجية والجهل وسوء الخلق وسهولة الانقياد، بصورة فيها الكثير من المبالغة، وقد لا يتفق ذلك مع الواقع التاريخي في العديد من الجوانب، وبخاصة أن البربر كانوا قد شكلوا مادة الإسلام وحضارته في بلادهم، وكان لهم الفضل الأكبر في فتح الأندلس، والدفاع عنها، وإثرائها من الناحية الحضارية.

- عكست مصادر الدراسة ازدهار بلاد المغرب والأندلس من الناحية الاقتصادية، نظراً لموقعهما المهم على البحر المتوسط والمحيط الأطلسي، وبسبب الظروف المناخية المعتدلة، وخصوبة أراضيها، وغناها بالموارد اللازمة للنشاط الاقتصادي، وهذا ما جعل الجانب

الاقتصادي عموماً يأخذ حيزاً كبيراً من اهتمام مصادر الدراسة، التي أشارت للحياة الزراعية والصناعية والتجارية. فعلى الصعيد الزراعي: أشارت إلى مصادر المياه الضرورية للزراعة، وبخاصة مياه الأمطار، وتطرقت إلى أهم الأنهار والينابيع والأودية في كلا البلدين، فضلاً عن أشجارهما ومزروعاتهما، والتقنيات الزراعية التي استخدمها مزارعوهما، إلى جانب ذكر الحيوانات البرية والبحرية. وتحدثت مصادر الدراسة عن أهم الصناعات المغربية والأندلسية، كالصناعات الغذائية، والنسيجية، فضلاً عن الثروات المعدنية، وأهم مراكز التبادل التجاري الداخلية والخارجية.

- اشتملت مصادر الدراسة على كثير من معالم الحضارة العمرانية المدنية والدينية والعسكرية في المغرب والأندلس، كالمدن والقصور والقناطر والحمامات والموانئ، والمساجد والكنائس، والحصون والأسوار.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً. المصادر

ابن الأثير، أبو الحسن، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد (ت. 630هـ/1233م): الكامل في التاريخ، 12 جزء، ط2، دار صادر، بيروت، 1982م.

الإدريسي، أبو عبدالله، محمد بن عبدالله بن إدريس الحسيني (ت. 658هـ/1963م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، جزآن، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1989م.

الإصطخري، أبو اسحاق، إبراهيم بن محمد الفاسي (ت. 346هـ/957م): المسالك والممالك، (د.ط)، كتابخانه، طهران، 1927م.

ابن بسام، أبو الحسن، علي بن بسام الشنتريني (ت. 542هـ/1147م): الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، 4 أقسام، 8 أجزاء، تحقيق إحسان عباس، (د.ط)، دار الثقافة، بيروت، 1978م.

ابن بطوطة، أبو عبدالله، محمد بن عبدالله (ت. 779هـ/1377م): رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، (د.ط)، دار التراث، بيروت، 1980م.

البغدادي، أبو منصور، عبد القاهر بن طاهر بن محمد التميمي الأسفريني (ت. 429هـ/1038م): الفرق بين الفرق وبيان الفرقه الناجيه، ط4، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1980م.

البكري، أبو عبيد الله، عبدالله بن عبد العزيز (ت. 487هـ/1103م): المغرب في بلاد أفريقيا والمغرب (من كتاب المسالك والممالك)، (د.ط)، مكتبة المثني، بغداد، 1997م.

البلاذري، أبو الحسن، أحمد بن يحيى بن جابر (ت. 279هـ/892م): البلدان وفتوحها وأحكامها، تحقيق سهيل زكار، ط1، دار الفكر، بيروت، 1992م.

البيروني، أبو الريحان، محمد بن أحمد الخوارزمي (ت. 440هـ/1048م): الجماهر في الجواهر، تحقيق يوسف الهادي، ط1، شركة النشر العلمي، ايران، 1995م.

التجاني، أبو محمد، عبدالله بن محمد(ت.717هـ/1317م): رحلة التجاني (قام بها في البلاد التونسية والقطر الطرابلسي)، (د.ط.)، المطبعة الرسمية، تونس، 1958م.

ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد السلام(ت. 728هـ/1328م): العقيدة الواسطية (اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة أهل السنة والجماعة)، ط3، نشر وزارة الأوقاف، قطر، (د.ط.).

الثعالبي، أبو منصور، عبد الملك بن محمد النيسابوري(ت.429هـ/1038م): لطائف اللطف، تحقيق عمر الأسعد، ط1، دار المسيرة، بيروت، 1980م.

ابن جبير، أبو الحسين، محمد بن جبير الكناي الأندلسي(ت.614هـ/1217م): رحلة ابن جبير، (د.ط.)، دار التراث، بيروت، 1958م.

ابن الجوزي، أبو الفرج، الحافظ جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي القرشي البغدادي (ت. 597هـ/ 1201م): أخبار الحمقى والمغفلين، (د.ط.)، الناشر زاهد القدسي، القاهرة، 1983م.

حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله الجليبي(ت. 1067هـ/1656م): كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، 6 أجزاء، (د.ط.)، دار الفكر، بيروت، 1982م.

الحازمي، أبو بكر، محمد بن موسى بن عثمان الهمذاني زين الدين(ت.584هـ/1188م): الأماكن، تحقيق حمد بن محمد بن الجاسر، (د.ط.)، دار اليمامة، 1964م.

ابن حجر، أبو الفضل، شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني(ت.852هـ/ 1448 م): لسان الميزان، 7 أجزاء، ط2، مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1390م.

ابن حزم الأندلسي، أبو محمد، علي بن أحمد بن سعيد(ت.456هـ/1064م): جمهرة أنساب العرب، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983م.

الحموي، شهاب الدين، ياقوت الحموي الرومي البغدادي(ت. 626هـ/ 1229م):

معجم الأديباء، 20 جزء، ط3، دار الفكر، بيروت، 1980م.

معجم البلدان، 7 أجزاء، تحقيق: فريد الجندي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت،
1990م.

الحميدي، أبو عبدالله، محمد بن أبي نصر(ت. 488هـ/ 1095م): جذوة المقتبس في تاريخ
علماء الأندلس، جزآن، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتب الإسلامية، بيروت،
القاهرة، 1983م.

الحميري، أبو عبدالله، محمد بن محمد(ت. 900هـ/ 1494م): الروض المعطار في خبر الأقطار،
ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984م.

ابن حوقل، أبو القاسم، محمد النصيبي(ت. 367هـ/ 978م): كتاب صورة الأرض، (د.ط)،
منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1979م.

ابن حيان، حيان بن خلف بن حسين(ت. 469هـ/ 1076م): المقتبس من انباء أهل الأندلس، دار
الكتاب العربي، بيروت، 1973م.

ابن الخطيب، لسان الدين السلماني(ت. 776هـ/ 1374م): الإحاطة في أخبار غرناطة، 4 أجزاء،
تحقيق محمد عبدالله عنان، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1974م.

ابن خلدون، أبو زيد، ولي الدين عبد الرحمن بن محمد الإشبيلي(ت. 808هـ/ 1406م):

مقدمة ابن خلدون، 3 أجزاء، تحقيق علي وافي، ط3، دار النهضة، القاهرة، (د.ت).

تاريخ ابن خلدون (كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر
ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)، 8 أجزاء، (د.ط)، مؤسسة الأعلمي،
بيروت، 1971م.

ابن خلكان، أبو العباس، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت. 681هـ/1282م): **وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزمان**، 7 أجزاء، تحقيق أحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، (د.ط).

الدباغ، أبو زيد، عبد الرحمن بن محمد بن علي الأنصاري الأزدي (ت. 696هـ/1297م): **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، تحقيق إبراهيم شيوخ، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1968.

ابن دقماق، صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيمن الصلابي (ت. 809هـ/1406م): **الجواهر الثمين في سير الملوك والسلطين**، تحقيق محمد علي، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1985م.

الدلجي، أحمد بن علي (ت. 838هـ/1434م): **الفلاحة والمفلكون**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، ص1993م.

الدميري، محمد بن موسى بن عيسى (ت. 808هـ/1405م): **حياة الحيوان الكبرى**، (د.ط)، دار الفكر، بيروت، (د.ت).

الذهبي، أبو عبدالله، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت. 748هـ/1347م):

تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، 52 جزء، تحقيق عمر تدمري، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989م

سير أعلام النبلاء، 25 جزء، ط7، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1990م.

العبر في خبر من غير، 4 أجزاء، تحقيق: أبو هاجر محمد زغلول، (د.ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

الرازي، أبو عبدالله، محمد بن أبي عبد القادر (ت. 660هـ/1261م): **مختار الصحاح**، تحقيق: يوسف محمد، ط3، المكتبة العصرية، بيروت، 1997م.

الزجالي، أبو يحيى، عبيد الله بن أحمد القرطبي(ت. 694هـ / 1295م): أمثال العوام في الأندلس، جزآن، تحقيق محمد بن شريف، (د.ط)، مطبعة محمد الخامس، المغرب، 1971م.

الزركلي، خير الدين (ت. 1396هـ / 1976م): الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)، 9 أجزاء، ط14، دار العلم للملايين، بيروت، 1999م.

الزهري، أبو عبدالله، محمد بن أبي بكر (ت. 556هـ / 1161م): كتاب الجغرافية، تحقيق محمد صادق، (د.ط)، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ت).

ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع (ت. 230هـ / 844م): الطبقات الكبرى، 19 جزء، دار صادر، بيروت، (د.ت).

ابن سعيد، المغربي، أبو الحسن، علي بن موسى الغرناطي الأندلسي(ت. 685هـ / 1286م):

اختصار القدر المعلى في التاريخ المحلي، ط2، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1980م.

كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، (د.ط)، المكتبة التجارية، بيروت، 1970م.

رايات المبرزين وغايات المميزين، تحقيق عبد المتعال القاضي، ط1، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1973م.

المغرب في حلى المغرب، مجلدين، ط3، دار المعارف، القاهرة، 1993م.

المقتطف من أزاهر الطرف، ط1، الهيئة المصرية، القاهرة، 1983م.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن محمد بن عثمان السيوطي(ت. 911هـ / 1505م):

حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، جزآن، (د.ط)، دار الكتب العلمية، بيروت،
1997م.

بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جزآن، تحقيق محمد أبو الفضل، ط2، دار
الفكر، بيروت، 1979م.

أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم (ت.665هـ/1266م): تراجم
رجال القرنين السادس والسابع بالذيل على الروضتين، ط2، دار الجيل، بيروت،
1974م.

شيخ الربوة، أبو عبدالله، شمس الدين محمد بن أبي طالب الأنصاري الصوفي الدمشقي
(ت727هـ/1327م): نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، (د.ط)، نشر أوتوها رواتس،
المانيا، 1923م.

الصفدي، أبو الصفاء، صلاح الدين بن أبيك (ت764هـ/1363م): الوافي بالوفيات، 22 جزء،
تحقيق هلموت رتير، ط2، دار فراند شتاين، 1962م.

الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت599هـ/1202م): بغية الملتمس في تاريخ
رجال أهل الأندلس، تحقيق روحية السويقي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.

الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير (ت310هـ/922م): تاريخ الطبري (تاريخ الرسل
والملوك)، 11 جزء، تحقيق محمد أبو الفضل، ط4، دار المعارف، 1960م.

ابن عبد الحكم، أبو القاسم، عبد الرحمن بن عبدالله (ت257هـ/871م): فتوح مصر وأخبارها،
(د.ط)، مكتبة مذبولي، القاهرة، 1999م.

ابن عذاري، أبو عبدالله، محمد المراكشي، (ت695هـ/1266م)، البيان المغرب في أخبار
الأندلس والمغرب، 4 أجزاء، (د.ط)، دار الثقافة، بيروت، (د.ت).

ابن العماد، أبو الفلاح، شهاب الدين عبد الحي بن أحمد بن محمد الفكري الحنبلي الدمشقي(ت. 1089هـ/1678م)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، 11 جزء، تحقيق محمود الأرنؤوط، ط1، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، 1986م.

ابن العوام، أبو زكريا، يحيى بن محمد بن أحمد ابن العوام الإشبيلي(ت.553هـ/1158م): **الفلاحة**،(د.ط)، (د.ن)، (د.م)، (د.ت).

العيني، أبو محمد، محمود بن أحمد بن موسى بدر الدين العيني(ت.855هـ/1451م): **عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان**، تحقيق عبد الرزاق الطنطاوي،(د.ط)، الزهراء للأعلام العربي، القاهرة، 1989م.

أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل بن محمد"صاحب حماة"، (ت.732هـ/1331م)، **تقويم البلدان**، (د.ط)، دار صادر، بيروت، (د.ت).

ابن فرحون، برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون اليعمري المدني المالكي(ت. 799 هـ / 1397م): **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، (د.ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).

ابن الفقيه، أبو بكر، أحمد بن محمد الهمذاني(ت.365هـ/975م): **كتاب البلدان**، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1996م.

فيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب(ت.817هـ/1415م): **القاموس المحيط**، 4 أجزاء، (د.ط)، دار الجيل، بيروت، 1952م.

ابن قتيبة، أبو محمد، عبدالله بن عبد المجيد بن مسلم الدينوري (ت.276هـ/889م): **المعارف**، تحقيق محمد الصاوي، ط2، دار إحياء التراث الإسلامي، بيروت، 1970م.

القزويني، أبو يحيى، زكريا بن محمد بن محمود(ت.682هـ/1283م):

آثار البلاد وأخبار العباد، (د،ط)، دار صادر، بيروت، 1960م.

عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، (د.ط.)، المكتبة الأموية، عمان، 1980م.

القفطي، أبو الحسن، جمال الدين علي بن يوسف (ت642هـ/1244م): إنباه الرواة على أنباه النحاة، 4 أجزاء، تحقيق محمد أبو الفضل، ط1، درا الفكر العربي، القاهرة، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، 1986م.

القلقشندي، أبو العباس، أحمد بن علي (ت. 821هـ / 1418م):

صبح الأعشى في صناعة الإنشا، 14 جزء، تحقيق محمد حسين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م.

نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1980م.

القيرواني، أبو اسحاق، إبراهيم بن القاسم الرقيق (ت. 363هـ / 973م): تاريخ أفريقية والمغرب" قطعة منه تبدأ من أواسط القرن الأول إلى أواخر القرن الثاني عشر الهجري"، تحقيق المنجي الكعبين، ط2، الدار العربية، تونس، 2005م.

كاتب مراكشي، (من كتاب القرن السادس الهجري / 12م): كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول، (د.ط.)، دار الشؤون، بغداد، (د.ت).

الكتبي، محمد بن شاکر (ت764هـ/1363م): فوات الوفيات والذيل عليها، 5 أجزاء، تحقيق إحسان عباس، (د.ط.)، دار الثقافة، بيروت، (د.ت).

ابن كثير، أبو الفداء، إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت. 774هـ / 1463م):

البداية والنهاية، 12 جزء، ط2، مكتبة المعارف، بيروت، 1977م.

تفسير القرآن العظيم، 7 أجزاء، ط1، دار الأندلس، بيروت، 1966م.

المالكي، أبو بكر، عبدالله بن محمد(ت.449هـ/1057م): رياض النفوس(في طبقات علماء القيروان وأفريقية وزهادهم ونسائهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم)، 4 أجزاء، تحقيق بشير البلوش،(د.ط)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م.

المراكشي، محي الدين عبد الواحد بن علي التميمي(ت647هـ/1249م): المعجب في تلخيص أخبار المغرب، (د.ط)، نشر المجلس الإسلامي الأعلى، القاهرة، 1963م.

المروزي، أبو عبدالله، نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي(ت229هـ/844م): الفتن، حققه مجدي الشورى، (د.ط)، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997م.

المزي، أبو الحجاج، جمال الدين يوسف عبد الرحمن بن يوسف(ت742هـ/1341م): تهذيب الكمال في أسماء الرجال، 22 جزء، تحقيق أحمد عبيد، (د.ط)، دار الفكر، بيروت، 1994م.

ابن المستوفي، أبو البركات، شرف الدين مبارك بن أحمد اللخمي الأربلي(ت637هـ/1239م): تاريخ اربل " البلد الخامل بمن ورده من الأمائل"، تحقيق سامي الصقار، (د.ط)، دار الرشيد، بغداد،(د.ت).

المسعودي، أبو الحسن، علي بن الحسين(ت346هـ/957م): مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق مصطفى السيد، 4 أجزاء، (د.ط)، المكتبة التوفيقية، القاهرة،(د.ت).

المقدسي، أبو عبدالله، محمد بن أحمد بن أبي بكر المقدسي(ت.380هـ/990م): أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991م.

مقديش، أبو الثناء، محمود سعيد(ت.1228هـ/1813م): نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والإخبار، مجلدان، تحقيق علي الزوري، محمد محفوظ، ط1، دار العرب الإسلامي، بيروت، 1988م.

المقري، أبو العباس، أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت. 1041هـ / 1631م): **نفتح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، 10 أجزاء، تحقيق محمد عبد الحميد، (د.ط.)، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت.).

المنذري، أبو محمد، زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي (ت. 656هـ / 1258م): **التكملة لوفيات النقلة**، 4 أجزاء، تحقيق بشار معروف، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1981م.

ابن منظور، أبو الفضل، جمال الدين محمد بن مكرم (ت. 711هـ / 1311م): **لسان العرب**، 15 جزء، (د.ط.)، دار صادر، بيروت، (د.ت.).

الناصرى، أبو العباس، أحمد بن خالد السلاوي (ت. 1315هـ / 1897م): **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، 9 أجزاء، تحقيق جعفر الناصري، (د.ط.)، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1997م.

ابن النجار، محب الدين بن النجار البغدادي (ت. 643هـ / 1245م): **المستفاد من ذيل تاريخ بغداد**، تحقيق محمد خلف، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986م.

النويري، أبو العباس، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت. 733هـ / 1332م): **نهاية الإرب في فنون الأدب**، نشر المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 1983م.

الهندي، علاء الدين المتقي بن حسام الدين الفوري (ت. 975هـ / 1567م): **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**، (د.ط.)، 16 جزء، تحقيق بكرى حياني، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1989م.

ابن الوردي، أبو حفص، سراج الدين عمر بن مظفر (ت. 861هـ / 1457م): **خريدة العجائب وفريدة الغرائب**، تحقيق أنور زنتاتي، ط1، مكتبة الثقافة، القاهرة، 2008م.

الوزان، الحسن بن محمد الفاسي (ت. 957هـ / 1550م): **وصف أفريقيا**، جزآن، ترجمة محمد حجي، محمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م.

الونشريشي، أبو العباس، أحمد بن عيسى (ت.914هـ/1508م): المعيار المغرب والجامع
المغرب عن فتاوى أهل أفريقية والأندلس والمغرب، جزآن، تحقيق محمد حجي، (د.ط.)،
نشر وزارة الأوقاف والشؤون للمملكة المغربية، مراكش، 1981م.

اليافعي، أبو محمد، عبدالله بن سعد بن علي بن سليمان اليمني المكي (ت.768هـ/1366م):
مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعد من حوادث الزمان، 4 أجزاء، ط2،
مؤسسة الأعلمي، بيروت، 1970م.

اليقوي، أبو يعقوب، أحمد بن إسحاق (ت.392هـ/1002م): البلدان، (د.ط.)، مطبعة برييل،
ليدن، 1890م.

ابن يوسف، أبو الحسن، علي بن يوسف الحكيم (عاش في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر
الميلادي): الدوحة المشتبكة في ضوابط دار السكة، تحقيق حسين مؤنس، (د.ط.)،
صحيفة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، 1958م.

اليونيني، موسى بن محمد قطب الديني (ت.726هـ/1326م): ذيل مرآة الزمان، 4 أجزاء،
(د.ط.)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1992م.

ثانياً. المراجع العربية والمعربة

أحمد، أحمد: الرحلة والرحالة المسلمون، (د.ط.)، دار البيان العربي، جدة، 1975م.

أرسلان، شكيب: الحل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، 3 أجزاء، (د.ط.)، دار المكتبة
الحياة، بيروت، (د.ت.).

أشباح، يوسف: تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ط2، مؤسسة الخانجي، القاهرة،
1958م.

الأشقر، محمد سليمان: زبدة التفسير بهامش مصحف المدينة المنورة، ط5، دار النفاس،
الأردن، 2006م.

بروفنسال، ليفي: الإسلام في المغرب والأندلس، (د.ط)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1990م.

البكائي، لطيفة: حركة الخوارج، نشأتها وتطورها إلى نهاية العهد الأموي (37-132هـ)، ط1، دار الطليعة، بيروت، 2001م.

التركي، عبدالله عبد المحسن: الأندلس (الدرس والتاريخ)، (د.ط)، جامعة الإسكندرية، الإسكندرية، 1994م.

حاتمة، محمد عبده: الأندلس التاريخ والحضارة والمحنة" دراسة شاملة"، (د.ط)، مطابع الدستور التجارية، عمان، 2000م.

حميدة، عبد الرحمن: أعلام الجغرافيين العرب ومقتطفات من آثارهم، ط2، دار الفكر، دمشق، 1980م.

بني خالد، موسى: دور القبائل البربرية في العلاقات السياسية الفاطمية والأموية في الأندلس، (د.ط)، مؤسسة حمادة، أربد، 2004م.

خصباك، شاكر: في الجغرافيا الحديثة (دراسة في التراث الجغرافي العربي)، ط1، دار الحداثة، بيروت، 1988م.

خطاب، محمود: قادة فتح المغرب العربي، ط3، جزآن، بيروت، 1978م.

الدوري، عبد العزيز: تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، ط2، دار المشرق، بيروت، 1974م.

ابن أبي دينار، محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني: كتاب المؤنس في أخبار أفريقية وتونس، ط1، 1966م.

زايد، أسماء: الصلات التجارية بين بلاد المغرب الأقصى والسودان في عصر المرابطين، (د.ط)، دار المدار الإسلامي، بنغازي، 2008م.

زغلول، سعد: تاريخ المغرب العربي، 4 أجزاء، (د.ط)، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1979م.

زيدان، جرجي: تاريخ آداب اللغة العربية، 4 أجزاء، (د.ط)، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1967م.

السامرائي، خليل؛ وآخرون: تاريخ المغرب العربي، ط1، دار المدار الإسلامي، بنغازي، 2004م.

سالم، عبد العزيز:

تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، ط2، الإسكندرية، 1982م.

قرطبة حاضرة الخلافة في الأندلس، جزآن، (د.ط)، مؤسسة الشباب الجامعة، الإسكندرية، 1997م.

سركيس، فؤاد: معجم المطبوعات العربية والمعربة، (د.ط)، مطبعة سركيس، مصر، 1928م.

السعدي، عباس: ياقوت الحموي: دراسة في التراث الجغرافي العربي مع التركيز على العراق في معجم البلدان، (د.ط)، دار الطليعة، بيروت، 1992م.

شبانة، محمد: الدويلات الإسلامية في المغرب: دراسة تاريخية حضارية، (د.ط)، دار العالم العربي، القاهرة، 2008م.

شفق، رضا زاده: تاريخ الأدب الفارسي، ترجمة محمد هنداوي، (د.ط)، دار الفكر العربي، القاهرة، 1947م.

صادق، حسن: جذور الفتنة في الفرق الإسلامية (منذ وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام حتى اغتيال السادات)، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2003م.

المنجد، صلاح الدين: (البلاذري، ياقوت، ابن خلكان)، (د.ط)، مؤسسة التراث العربي، بيروت، 1956م.

طه، جمال: الحياة الاجتماعية بالمغرب الأقصى في العصر الإسلامي (عصري المرابطين والموحدين)، ط1، دار الوفاء، الإسكندرية، 2004م.

العبادي، أحمد مختار:

في تاريخ المغرب والأندلس، (د.ط)، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، 2004م.

مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب في بلاد المغرب والأندلس، (د.ط)، مؤسسة الشباب الجامعة، الإسكندرية، 1983م.

عبيدات، وداد: الموحدون في الأندلس، المغرب والأندلس ما بين سنتي (541-607هـ) / (1146-1268م)، (د.ط)، دار الكتاب الثقافي، أربد، 2006م.

العتار، نجاح: الأندلس من نفح الطيب، (د.ط)، مؤسسة وزارة الثقافة، دمشق، 1990م.

عطية الله، أحمد: القاموس الإسلامي، ط1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1970م.

علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، 10 أجزاء، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، مكتبة النهضة، بغداد، 1980م.

عنان، محمد عبدالله: دولة الإسلام في الأندلس، 6 أجزاء، ط2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1990م.

أبو عيانة، فتحي محمد: دراسات في التراث الجغرافي العربي، (د.ط)، دار المعرفة الجامعة، الإسكندرية، 2005م.

الغنيمي، عبد الفتاح: موسوعة تاريخ المغرب العربي، 3 مجلدات، 6 أجزاء، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1994م.

فاخوري، محمود: موسوعة وحدات القياس المغربية والإسلامية وما يعادلها بالمقادير الحديثة: (الأصول، المساحات، الأوزان، المكايل الطيبة)، (د.ط)، مكتبة لبنان، بيروت، 2002م.

فروخ، عمر: تاريخ الأدب العربي، 3 أجزاء، ط3، دار العلم للملايين، بيروت، 1992م.

أبو الفضل، محمد أحمد: تاريخ مدينة المرية الأندلسية في العصر الإسلامي، ط1، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996م.

الفلاحي، حامد: التاريخ الأندلسي من الفتح إلى سقوط غرناطة، جزآن، (د.ط)، دار الكتاب الثقافي، أربد، 2003م.

كحالة، عمر: معجم المؤلفين " تراجم مصنفى الكتب العربية"، 6 مجلدات، 12 جزء، (د.ط)، مكتبة المثنى، دار أحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).

كراتشكوفسكي، أغناطيوس: تاريخ الأدب الجغرافي العربي، تحقيق ايغور بلياييف، ترجمة صلاح هاشم، (د.ط)، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1963م.

مارون، جورج: شعراء الأمكنة وأشعارهم في معجم البلدان لياقوت الحموي، جزآن، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 1997م.

محمد، نبيلة: محاضرات في تاريخ المغرب والأندلس، (د.ط)، مكتب كريدتيه إخوان، بيروت، 1982م.

مرزوق، محمد: الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني، (د.ط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1974م.

مسعد، سامية مصطفى: العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية، ط1، عين الدراسات، القاهرة، 2006م.

مصطفى، إبراهيم؛ الزيانت، أحمد: المعجم الوسيط، (د.ط)، دار الدعوة، استانبول، 1989م.

أبو مصطفى، كمال السيد:

تاريخ وحضارة الأندلس في العصر الإسلامي، (د.ط.)، مؤسسة الشباب الجامعة،
الإسكندرية، 1993م.

جوانب من حضارة المغرب الإسلامي، (د.ط.)، الناشر مؤسسة شباب الجامعة،
الإسكندرية، 1997م.

معلوف، أمين: معجم الحيوان، (د.ط.)، مطبعة المقتطف، القاهرة، 1932م.

المنجد، صلاح الدين: أعلام التاريخ والجغرافيا عند العرب، مؤسسة التراث العربي، (د.ط.)،
بيروت، 1959م.

مؤنس، حسين: تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس، ط2، مجمع اللغة العربية، القاهرة،
1986م.

نجم، زين العابدين: معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية، ط1، القاهرة، 2006م.

هنّس، فالتر: المكايل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة كامل
السعدي، ط2، منشورات الجامعة الأردنية، 1970م.

الهيّتي، صبري: التراث الجغرافي العربي الإسلامي، ط1، مؤسسة الوراق، الأردن، 2007م.

الوائلي، عبد الحكيم: موسوعة قبائل العرب، 6 أجزاء، ط3، دار أسامة، عمان، 2009م.

ثالثاً. الموسوعات

بدوي، عبد الرحمن: موسوعة الفلسفة، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،
1984م.

البستاني، بطرس: دائرة المعارف، 11 جزء، دار المعرفة، بيروت، 1980م.

تبيلسي، برو(سوزان): الموسوعة العربية، ط1، شركة العريس، دمشق، 2002م.

الحنفي، عبد المنعم: موسوعة الفلسفة والفلسفة، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1999م.

الصلواتي، ياسين: الموسوعة العربية الميسرة والموسعة، ط1، مؤسسة التاريخ العربي،
2001م.

العابد، محمد: الموسوعة العربية العالمية، 30 جزء، ط2، مؤسسة أعمال الموسوعة، الرياض،
1999م.

كامل، فؤاد: الموسوعة الفلسطينية المختصرة، ترجمة جلال العشري، عبد الراشد الصادق،
(د.ط)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1963م.

منتصر، عبد الحليم: عجائب المخلوقات، التراث الإنسانية" سلسلة تتداول بالتعريف والبحث
والتحليل روائع الكتب التي أثرت في الحضارة الإسلامية"، 5 مجلدات، وزارة الثقافة
والإرشاد القومي، القاهرة، (د.ت).

رابعاً. الرسائل العلمية والدوريات

حسون، صالح: الفكر الجغرافي للقزويني المتعلق بدراسته للمدن، عدد4، مج1، مجلة التربية،
الجامعة المستنصرية، كلية التربية، قسم الجغرافيا، 2011م.

أبو ليل، رقية: ياقوت الحموي شهاب الدين أبو عبدالله بن عبدالله (ت.682هـ/1229م)
وكتابه معجم البلدان (الأوضاع الاقتصادية: دراسة تاريخية)، جامعة النجاح، نابلس،
2011م.

يوسف، هدى: الموصل في كتاب آثار البلاد وأخبار العباد للقزويني(ت.682هـ/1283م)،
دراسات موصلية، عدد15، 2007م.

**An-Najah National University
Faculty of Graduate Studies**

**The Maghreb and Al-Andalus in Muslim
Geographers Writings Through the 7th. H./ 13th.
A.D. Century (Study in Cultural History).**

**By
Nehaya Fouad Fareed Masoud**

**Supervised by
Dr. Amer Al-Qubbaj**

**This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements
for the Degree of Master of History, Faculty of Graduate Studies,
An-Najah National University, Nablus, Palestine.**

2018

**The Maghreb and Al-Andalus in Muslim Geographers Writings
Through the 7th. H./ 13th. A.D. Century (Study in Cultural History).**

By

Nehaya Fouad Fareed Masoud

Supervised by

Dr. Amer Al-Qubbaj

Abstract

This study aims to highlight aspects of political and civilizational situations in the Maghreb and Al-Andalus through the writings of geographers of the 7th. H./13th A.D century: *Mo'jam Al-Boldan* of Yaqout Al-Hamawi (d. 626 H./1229 A.D), *Athar Al-Bilad wa Akhbar Al-Ebad* of Zakaria Al-Qazwini (d. 682 H./1283 A.D), and *Kitab A-Jaghraphia* of Ibn Sa'id Al-Maghribi (d. 685 H./1286 A.D). The sources mentioned are geographical in nature; they focused their attention on geographical aspects, but this did not prevent from addressing various aspects. They included important information on various political, social, economic and urban aspects, especially in the Maghreb and Al-Andalus. It was noted that these sources were not limited in their subjects to the information of the century in which their authors lived, but included information they had transmitted from their predecessors.

Bilad Al-Maghreb, according to the sources of the study is the region extends from the province of Barqa east to the Atlantic Ocean to the west, and from the Mediterranean north to the Sahara and southern Sudan to the south. Al-Andalus was the lands of the Iberian peninsula under Islamic rule, whose borders were not fixed, as a result of the never-ending conflict between the Christian kingdoms and Muslims there.

The sources of the study concerned with tribal and population aspects, especially in the Maghreb; the Berbers constituted the vast majority of their population. The sources referred to the reasons for their designation as barbarians, their origins, sections, customs and traditions, and their religions before Islam. These sources were influenced by some early historical writings; wrote that the Berbers are wicked, ignorant and bad morals, maybe because of their strange customs and traditions. In contrast; Al-Andalus did not receive the same attention from the sources of study about these subjects.

On the other hand, mentioned sources included many aspects of economic life in the Maghreb and Al-Andalus, the first of which is agricultural, due to the fertility of their lands, stable climatic conditions, and various water sources such as rivers, springs and valleys. Because of this, due to the active relationship between the different elements of economic life, the commercial and industrial movement in the Maghreb and Al-Andalus Flourished both internally and externally. Finally; the geographic sources reported that Muslims of these two countries have had many cultural achievements in various fields, in particular; building cities, which contained various secular, religious and military facilities such as markets, ports, baths, palaces, mosques and fortresses. As for the scientific life in the Maghreb and Al-Andalus; the sources of the study did not mention in detail.